
الحكومة العالمية
للامام المهدى (عج)
آية الله العظمى مكارم شيرازى

بسم الله الرحمن الرحیم

الحکومه العالمیه للامامالمهدی (عج)

کاتب:

ناصرمکارم شیرازی

نشرت فی الطباعهٔ:

مدرسه الامام علی بن ابی طالب علیه السلام

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)

اشارة

سرشناسه: مکارم شیرازی، ناصر، ۱۳۰۵ -
عنوان و نام پدیدآور: الحکومه‌العالمیه للامام‌المهدی (عج)/مکارم‌الشیرازی.
مشخصات نشر: قم: مدرسه‌الامام علی‌بن‌ابی‌طالب (ع)، ۱۴۲۶ ق= ۱۳۸۴.
مشخصات ظاهری: ۲۵۲ ص.
شابک: ۱۰۰۰۰ ریال۹۶۴-۵۳۳-۰۰۵-X:
یادداشت: عربی.
یادداشت: پشت جلد به انگلیسی:.Global governance of Mahdi
یادداشت: عنوان دیگر: الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج).
یادداشت: کتابنامه به صورت زیرنویس.
عنوان دیگر: الحکومت‌العالمیه للامام‌المهدی (عج).
موضوع: محمدبن حسن (عج)، امام دوازدهم، ۲۵۵ق -
موضوع: مهدویت
شناسه افزوده: مدرسة الامام علی بن ابی طالب (ع)
رده بندی کنگره: BP۲۲۴/م۷ح۸ ۱۳۸۴
رده بندی دیویی: ۲۹۷/۴۶۲
شماره کتابشناسی ملی: ۱۹۴۲۸۵۲

السؤال الذی یساور جمیع الباحثین

ذلک الیوم الذی:

تغطی فیه سحب الظلم والفساد المعتمة سماء العالم ذلک الیوم الذی:

تغرس فیه البلدان الغاشمة مخالبها القذرة فی اعناق طبقات المجتمع البشری المحرومة والمعدمة.

ذلک الیوم الذی:

تغیب فیه کافة المعاییر سوی معیار المادیة المقیتة لیکون الاساس فی تقییم الفکر.

ذلک الیوم الذی:

تعمد فیه أبواق الدعایة الاستکباریة الشرقیة والغربیة إلی اظهار الحقّ بصورة الباطل والباطل بصورت الحقّ بغیة تحقیق اطماعها ومآربها المشبوهة.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷

ذلک الیوم الذی:

تجلّی فیه ظهور المستضعفین بسیاط التمییز العنصری والتفاضل العرقی وقصر النظر وضیق الافق والظلم والجور.

اجل آنذاک:

نصوب أبصارنا الراجية نحو طلعتك البهية أيّها المصلح العالمى العظيم، إلى نهضتك وحكومتك العالمية.

فاسأل اللّه أن يوفقنا لتهذيب أنفسنا والتحلى بسعة الافق وشمولية الفكر والاستعداد لخوض غمار الجهاد والالتحاق بصفوف الأوفياء فى ممارسة العملية الاصلاحية ورفع راية العدل والأمن والسلام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٨

١- هل سيكون مستقبل البشرية مفعماً بالعدل والسلام والأمن والأمان والتحرر من كافة أنواع الظلم والجور والإستغلال والإستعباد؟ أم ستشهد هذه البشرية- كما يتكهن البعض- مزيداً من الفوضى والاضطراب والتعقيد، وبالتالى نشوب الحرب الذرية والنووية الشاملة التى تطيح باصول المدنيات والحضارات الإنسانية، فإن كان هنالك ثمة بقاء لُاناس على سطح الكرة الأرضية فسوف لن يكون سوى لبعض الأفراد المتخلفين والمعاقين والبائسين؟

٢- إن صحّ الاحتمال الأوّل فى أنّ المستقبل سيشهد العدل والسلام فكيف سيكون ذلك؟

٣- إن كان العالم يحث الخطى نحو «العدل» و «السلام» و «التآخى»، فهل يمكن تنفيذ هذه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٩

المبادئ دون النهضة؟ وبعبارة اخرى: هل يسع الاصلاحات «التدريجية» تغيير التوجه السائد لدى العالم رغم انطوائه على كلّ هذه المطبات؟

٤- إن كانت النهضة ضرورية فهل تقتصر على القوانين المادية، أم يتعذر عليها ذلك دون الاستلهام من المبادئ المعنوية والقيم والمثل الإنسانية؟

٥- لو سلمنا بقيام مثل هذه النهضة، فما هى الصفات التى ينبغى أن يتمتع بها زعيم هذه النهضة؟

٦- هل ستقود هذه النهضة على سبيل الضرورة إلى تشكيل «الحكومة العالمية الواحدة»؟

٧- هل هناك من ضرورة لتوفر بعض الظروف المعينة لمثل هذه الحكومة؟

٨- أمتوفرة مثل هذه الاستعدادات فى عالمنا المعاصر؟ وإن لم تكن كذلك فهل ينطلق هذا العالم فى العصر الراهن باتجاه تمهيد تلك المقدمات أم بالاتجاه المعاكس؟

٩- هل ترتبط هذه الامور- على كلّ حال- بالعقيدة العالمية العامة بالنسبة لظهور المصلح السماوى المطلق؟

١٠- ما طبيعة عقيدة المسلمين بظهور «المهدى»

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٠

وما كيفية ارتباطها بهذه القضايا المصيرية؟

١١- هل يسوقنا الاعتقاد بهذا الظهور إلى ممارسة العملية الاصلاحية للعالم من خلال النهضة الشاملة، أم يبعدنا عنها كما يذهب البعض إلى ذلك؟

١٢- هل تمثل هذه الفكرة والعقيدة الدينية العامة حقيقة واقعية تنطلق من أدلة منطقية، أم لا تعدو الوهم والخيال بغية الاشباع الكاذب لرغبات الإنسان المكبوتة باتجاه ضالته الكبرى فى الوصول إلى «السلام» و «العدالة...»؟

سعينا فى هذا الكتاب للرد على هذه الأسئلة والاستفسارات بعيداً عن كافة أشكال التعصب والرؤى المتطرفة واجتناب الأحكام التى لا تستند إلى العقل والمنطق؛ الردود التى تنطلق من أعماق النفس وتحاكى الفكر وتلبى تطلعات «العقل» و «العاطفة» وتشبع حاجات الروح ومتطلباتها.

لقد أوردت عدة أبحاث منذ زمان بهذا الشأن، غير أنّ كثرة المشاغل فى قم لم تسمح لى ب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١١

«شرح» و «ترتیب» و «اکمال» ذلک، کما أنّ وساوسی المتواصلة فی تدوین الکتاب حالت دون طبعه بتلک الکیفیة، حقاً کان الکتاب بسیطاً ولیس ناضجاً.

إلّا أنّ بعض الأحداث دفعتنی إلی موقع لم أکن أتصوره أبداً. چاه بهار ...! أی أبعد منطقة إیرانیة نائیة ذات أسوأ مناخ، تبعد عن العاصمة طهران حوالی ۲۳۰۰ کیلومتر، کما لا تسع إمکاناتها المحدودة أبسط صور المعیشة، حیث یعانی سکنتها الأمرّین ویفتقرون إلی أدنی المتطلبات.

وقد تزامن هذا السفر لحسن الحظّ مع فصل الشتاء، الشتاء الذی کان یفیض بعطر الربیع تارة، وتفوح منه رائحة الصیف تارة اخری، مع ما یتمتع به من برودة قارسة. ولما کان تسعون بالمئة من أهالی تلک المنطقة من أبناء العامة، فقد اغتنمت الفرصة لألتقی بعض مثقفیهم- لاتذکر الأیّام التی قضیتها فی الحجاز- وقد عقدت الجلسات والاجتماعات التی کان هؤلاء الاخوة یمثلون أغلبیتها الساحقة؛ وکانت لهذه الجلسات ثمراتها الرائعة ونتائجها المطلوبة وللّه الحمد.

طبعاً کان المجال واسعاً فی تلک المنطقة النائیة

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲

المحاذیة لمیاه بحر عمان الزرقاء، تحت قبة السماء المفعمة لیالیها بالنجوم والکواکب وفی ظلّ العزلة؛ فما کان منی إلّاأن سارعت فی استغلال تلک الفرصة الذهبیة لاعکف علی تلک الأبحاث (إلی جانب الاستغراق فی بعض المطالعات والدراسات الفقهیة التی لم أوفق إلیها کما ینبغی فی قم المقدسة)؛ بالتالی خلصت إلی هذه النتیجة وهی أنّ «النفی» کان مرحلة ضروریة من عدة نواحٍ «عسی أن تکرهوا شیئاً وهو خیر لکم».

آمل أن تکون أبحاث هذا الکتاب قد انطوت علی الاجابة عن استفسارات الشریحة الواعیة التی تحاول الوقوف عن کثب وبصورة علمیة تحقیقیة علی قضیة ظهور المصلح العالمی المطلق.

کما أرجو الاستلهام من مطالعة هذا الکتاب فی مواصلة مسیرتنا الجهادیة فی مجابهة «الظلم والفساد»، حتّی تحقیق الأهداف المنشودة فی القضاء علی الطواغیت والجبابرة وتطهیر المجتمع من أرجاسهم. ولا- یسعنا فی الختام إلّا أن نتوقع إلی حد کبیر وجود بعض النقائص فی محتویات هذا الکتاب، ولا سیّما بالنظر إلی قلة

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۳

التحقیقات الواردة بخصوص مطالب هذا الکتاب.

وعلیه فإننا نفتح صدورنا أمام الاخوة القرّاء الأعزاء لیتحفونا باقتراحاتهم وانتقاداتهم ومراسلتنا مباشرة علی العنوان التالی (قم- الحوزة العلمیة).

چاه بهار- ناصر مکارم الشیرازی

شهر صفر سنة ۱۳۹۸ ه

شهر شباط سنة ۱۹۷۸ م

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۴

المستقبل المشرق

اشارة

لدینا عدّة أسباب

تجعلنا نرى إشراقة مستقبل العالم

۱- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية

۲- الانسجام مع النظام العام للخليقة

۳- ردود الأفعال الاجتماعية (قانون رد الفعل)

۴- الإلزامات والضرورات الاجتماعية

۵- الفطرة و «السلام والعدل العالمى»

۱- مسيرة المجتمع البشرى التكاملية

لا ـ شك أنّ القرائن تشير على ضوء النظرة الابتدائية أنّ «الدنيا» تمضى قدماً نحو «الفاجعة»؛ الفاجعة الوليدة: «هجران العواطف» و «تعميق الهوة بين المجتمعات الغنية والفقيرة» و «تصاعد حدة الخلافات والنزاعات ما بين الدول الكبرى والضعيفة» و «ارتفاع منحنى الجرائم والجنايات» و «الاختلال الأخلاقى والفكرى والروحى» و «النتاجات المقيتة وغير المتوقعة التى أفرزتها حياة المكننة» وما شاكل ذلك.

الفاجعة التى تتبين ملامحها من خلال مقارنة الوضع السائد مع الماضى القريب، والتى تعتبر من العناصر المؤثرة فى تنمية روح التشاؤم فى الأعماق الفكرية لأكثر الأفراد تفاؤلًا.

يقول الخبراء العالميون:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷

«إنّ حجم القنابل النووية التى تغص بها ترسانة الدول الكبرى تكفى لابادة كلّ ما على سطح الكرة الأرضية ولسبع مرات وليس لمرة واحدة! ولا يبدو من العبث صنع مثل هذه الأسلحة بتلك التكاليف الفادحة التى تحسب بالأرقام النجومية، لقد صنعت لتستخدم فى الحرب الذرية الرهيبة؛ كما لا يبدو من الصعب اختلاق بعض الذرائع لانطلاق شرارة هذه الحرب فى هذا العالم المتخم بالصدامات الحدودية واشتباك المصالح والمناطق الساخنة المشرفة على الانفجار.

وأننا لنلمس «الشعور بالسيطرة والهيمنة» و «جنون القوة» التى تساور أذهان زعماء الدول العظمى والتى تكفى لنشوب هذه الحرب. وعليه يمكن توقع حدوث «فاجعة كبرى» فى المستقبل القريب، ولعلّ البشرية مهددة بالفناء فى خضم حرب نووية شاملة، أو إثر الفقر الاقتصادى الذى يفرزه احتكار الدول العظمى، أو بفعل نفاد مصادر الطاقة أو تلوث البيئة».

رغم كلّ هذه العناصر المدعاة للتشاؤم، إلّاأنّ الدراسات والمطالعات العميقة تشير إلى المستقبل المشرق الذى ينتظر البشرية:

ستزول كلّ هذه السحب القاتمة والزوابع المرعبة.

ستنطلق تباشير الصباح من عتمة الليل.

وسيدمغ ربيع العدل والقسط شتاء الجهل والفساد والعنف والظلم.

سينجلى هذا الغم القاتل والعواصف المميتة والسيول الهدامة، ولو أمعنا النظر فى آفاق المستقبل لاستجلينا شاطئ النجاة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸

والدليل المنطقى الأوّل على هذا الموضوع هو قانون المسيرة التكاملية الذى يحكم المجتمعات:

فالإنسان لم يعِش الحياة الرتيبة قط منذ اليوم الذى تعرف فيه على ذاته، بل اندفع بوحى من نوازعه الباطنية- ولعلّه بصورة تلقائية- للنهوض بوضعه ومجتمعه نحو الأمام. فقد استوطن من حيث المسكن الكهوف والمغارات ذات يوم، وشيد اليوم ناطحات السحاب التى تستوعب كلّ واحدة منها سكان مدينة صغيرة وبكلّ الوسائل والامكانات الضرورية لمعيشتهم!

ومن حیث الملبس، ارتدی یوماً أوراق الأشجار، أما الیوم فهو یمتلک آلاف الأنواع من الألبسة وبمختلف الموضات والفصالات، ولم یکتف بالبحث عن انتقاء الألوان والمودیلات.

وأما مأکله فقد کان یتناول الأطعمة الغایة فی البساطة آنذاک، بینما تنوعت الیوم مأکولاته وتشعبت أطعمته بحیث یتطلب ذکر أسمائها کتاباً ضخماً.

کما کان مرکبه یوماً رجلیه؛ والیوم یستقل السفن الفضائیة ویحلق فی عنان السماء ویکتشف الکواکب والمجرات.

وکما کانت صفحة واحدة تستوعب یوماً کافة علومه ومعارفه- وإن لم یتوصل حینها إلی اختراع الخطّ- لکن تعجز الیوم حتّی ملایین الکتب والمؤلفات وفی مختلف التخصصات عن بیان معلوماته ومعارفه.

کان اکتشافه للنار آنذاک واختراع «العتلة» والظفر بالحربة الحادة الرأس من قبیل «الخنجر» ممّا یعتبره ذروة الابداع والاختراع، کما شعر بالفرح

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹

المفرط والسرور التام حین اطاح بجذع نخلة لیجعله بمثابة قنطرة یعبر بواسطتها من هذه الضفة من النهر إلی الاخری، فی حین تمکن فی العصر الراهن من استخدام الصناعات الثقیلة والاختراعات العملاقة التی تخطف أبصار الناظرین وتقفز به أنظمة العقول الالکترونیة المعقدة إلی عالم من الأحلام والآمال.

والغریب فی الأمر أنّ طموحه لم یتوقف عند هذا الحد، بل واصل سعیه الحثیث لیتسلق قمم التطور والنهوض دون أدنی کلل أو تعب.

ونخلص ممّا تقدّم إلی أنّ باطن الإنسان یشده إلی عشق السمو والتکامل؛ والحقیقة هی أنّ هذا الأمر یمثل إحدی أعظم الامتیازات التی تمیز الإنسان عن الحیوانات وسائر الکائنات الحیة التی تعشعش ملایین السنین فی موضع معین وتعیش حیاة ظاهریة رتیبة.

کما نخلص إلی نتیجة مؤداها عدم خمود تلک الجذوة المتوقدة فی أعماق الإنسان والتی لا تنفک تسوقه إلی الکمال، وتعبئ طاقاته وامکاناته بغیة التغلب علی المصاعب والمطبات التی تعترض طریق حیاته. لتقذف به فی خاتمة المطاف فی المجتمع الذی یختزن «التکامل الأخلاقی» إلی جانب «التکامل المادی»، المجتمع الذی تغیب فیه مفردات الحرب وسفک الدماء المضاد للتکامل.

المجتمع الذی تنضوی فیه کافة مقدرات الناس لسیادة العدل والسلام، وتموت فیه روح العدوان والاستعباد التی تمثل العقبة الکؤود التی تقف حائلًا دون تکامله المادی والمعنوی.

لعلّ هنالک من یزعم أنّ مسیرة التکامل الماضیة إنّما ترکزت جمیعاً علی

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۰

النواحی المادیة، ولا یوجد ما یشیر إلی امتدادها لتشمل الجوانب المعنویة.

إلّا أنّ الاجابة عن هذا السؤال واضحة لما یلی:

أوّلًا: یمکن الوقوف علی العدید من المبادئ المعنویة والاصول الإنسانیة فی مسیرة التکامل الماضیة؛ فالعلوم التی بلغها الإنسان- علی سبیل المثال- فی ظلّ مسیرته التکاملیة وبالذات غیر المادیة لیست بالقلیلة، فلیست هناک من نسبة علی سبیل المثال للمقارنة والشبه بین إیمان الإنسان باللّه آنذاک والذی کان یعبر عنه بعبادته للحجر والخشب وما ینحته من التمر، وما هو علیه الحکیم العارف الیوم من ادراک وعبادة.

ثانیاً: التکامل تکامل فی کافة المواقع؛ ولیس هنالک من حدود کامنة فی هذا الإنسان بالنسبة لعشقه لذلک التکامل. أضف إلی ذلک فإن الاصول المادیة والمعنویة لیست منفصلة عن بعضها. فمثلًا الروح العدائیة والمتسلطة المتطلعة للهیمنة تقضی علی الحیاة المادیة للإنسان علی غرار ما تفعله القنبلة الذریة، بل لیس للأخیرة من فاعلیة دون الاولی.

ومن هنا نفهم أنّ هذا التکامل سیتواصل فی کافة المجالات.

وعلى هـذا الضوء تلوح أوّل بارقـة أمل بغية الانفتاح على مسـتقبل مشـرق زاهر وعالم مفعم بالسـلام والوئام والاخوة والمساواة فى ظلّ «قانون المسيرة التكاملية للمجتمعات».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱

۲– الانسجام مع نظام العام للخليقة

يتألف عالم الوجود من سلسلة من الأنظمة. ووجود القوانين المنظمة والشاملة فى كافة أرجاء هذا العالم دليل على وحدة هذا النظام.
وتعتبر قضـية النظم والقانون على مستوى الخليقة من القضايا الأساسية لهذا العالم. على سبيل المثال، لو رأينا مئات الأجهزة الالكترونية الضـخمة تعمـل مع بعضـها البعض لتمهـد السبيـل من خلال حساباتها الدقيقـة أمام رواد الفضاء بغيـة الانطلاق إلى الأقمار والكواكب، وكـانت هـذه الحسابـات صائبـة بحيث تهبط السـفينة الفضائيـة على الموضع المتوقع فى القمر، رغم حالـة الحركـة السـريعة التى عليها الأـرض والقمر، فـإن ذلـك يجعلنـا نلتفـت إلى أنّ هـذه العمليـة إنمـا تتم من خلاـل نظـام دقيـق يحكم المنظومـة الشمسـية وسـياراتها وأقمارها؛ ذلك لأنّها إن انحرفت عن مسارها الثابت والمنظم لاختلت أوضاع رواد الفضاء وقذفوا فى المتاهات.
ولو تجاوزنا ذلك العالم العظيم ودخلنا العالم الصـغير فالأصـغر فالنظم الحاكم هنا– سيّما فى عالم الكائنات الحية– يبدو أنصع وضوحاً وحيوية بحيث لا مكان هنالك للفوضى. على سبيل المثال فإن اختلال نظام الخلايا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲

الدماغية للإنسان يكفى فى تحويل حياته إلى صورة مفجعة مليئة بالهموم والأحزان. نشرت إحدى الصحف خبراً مفاده أنّ طالباً جامعياً نسـى كلّ ماضـيه إثر حادثـة مروريـة أصـيب خلالها برجـة دماغيـة؛ بينما لم يكن يشـكو من سائر أعضائه؛ لم يعد يعرف أخته وأخيه، ويشـعر بـالخوف والهلع من امّه التى احتضـنته وأرضـعته وضـمته بين ذراعيها وسـهرت الليالى على راحته، فهو ينظر بريب لهـذه المرأة الأجنبية ما عساها تريد منه!
حمـل إلى مسـقط رأسه، ثم إلى الغرفـة التى ترعرع وكبر فيها، يتأمل أعماله اليدويـة واللوحات الفنيـة، لعله يعود إلى رشـده فيقول إنّه يشاهـد هـذه الغرفـة وما فيها لأوّل مرة! وربّما كان يظن أنّه قـدم من كوكـب آخر ليرى كلّ الأشـياء التى تبـدو له جديـدة ولم يكن قد تعرف عليها من قبل. بالطبع إنّما توقفت بعض الخلايا الدماغيـة ذات الصـلة بالذاكرة والتى تربط الماضـى بالحاضـر، دون سائر خلاياه التى ربّما جاوز عـددها المليار! مع ذلك فإن هذا الاختلال الموضـعى البسـيط أدّى إلى تلك الآثار السـلبية الفادحة! ولو اتجهنا صوب الـذرة وجعلناهـا تحت المجهر لبـدت لنا بشـكل منظومـة شمسـية، والعكس بالعكس لو صـغرنا على سبيل الفرض المنظومـة الشمسـية لظهرت كالذرة، فهنالك نظام واحد يحكمهما؛ نظام واحد لأعظم المنظومات وأصغرها!!
فهل يسع الإنسان فى مثل هذا العالم والذى يشـكل فيه جزءاً من الكلّ أن يعيش وضعاً استثنائياً بحيث يخرج من هذا النظام ولا ينسجم معه.
وهل يستطيع المجتمع البشرى أن يسلك «اللانظام» والفوضى والظلم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳

والجور وينأى بنفسه بعيداً عن مسيرة الخليقة وهذا العالم العظيم بما ينطوى عليه من دقة ونظام!
أفلاـ نتـدبر من خلال نظرتنا إلى الأوضاع العامـة لهـذا العالم أن تخضع البشـرية برمتها شاءت أم أبت للنظام الـذى يحكمه، فتسـتجيب لقوانينه المنظمة والعادلة، فتعود إلى مسارها الأصلى وتتأقلم مع هذا النظام!
إننا إن تأملنا البنية المعقدة لأى‌من أجهزة الإنسان لرأيناها تسير على هدى قوانين وأنظمة دقيقة وغاية فى الدقة؛ فإن كان الأمر كذلك فأنى للمجتمع البشـرى أن يتمرد على الضوابط والمقررات الصـحيحة والعادلة! أننا ننشد البقاء ونجهد أنفسـنا من أجل الظفر به، غير أنّ

مستوى تفكير المجتمع لم يبلغ الدرجة التى تجعله يعلم بأنّ مواصلته لهذا الطريق إنّما تنتهى إلى الفناء والزوال، لكنه يفيق إلى عقله شيئاً فشيئاً ليقف على هذه الحقيقة.

وأننا لنسعى لتحقيق مصالحنا، غير أننا نغفل عن أنّ استمرارنا فى ممارسة أوضاعنا الفعلية إنّما تهدد بالصميم جميع منافعنا ومصالحنا. ونضع نصب أعيننا بعض الأرقام والاحصاءات الحية- على سبيل المثال قضية سباق إلى التسلح- لنرى كيفية ضياع ما يشكل نصف أنشط القوى الفكرية والطاقات الجسمية لمجتمعات العالم إلى جانب نصف ثرواتها وامكاناتها فى هذا المجال، ليس الضياع فحسب، بل توظف من أجل القضاء على النصف الآخر!

إننا لندرك على ضوء تنامى مستوانا الفكرى ضرورة الالتحاق بركب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴

قافلة النظام العام لعالم الوجود، وكما نرانا حقّاً جزءاً من هذا الكل، فإن علينا تفعيل ذلك على مستوى العمل، لنتمكن بالتالى من تحقيق أهدافنا وفى كافة المجالات.

النتيجة: هى أنّ نظام الخليقة يعد الدليل الآخر على المستقبل الزاهر للبشرية على ضوء نظام اجتماعى صائب.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۵

ردود الأفعال الاجتماعية

إنّ قانون الفعل ورد الفعل الذى ينصّ على أنّ لكلّ فعل رد فعل يساويه فى المقدار ويعاكسه فى الاتجاه، بحيث لو اصطدم جسم بجدار بقوة معينة فإنّ هنالك ما يدفعه بنفس تلك القوة إلى الخلف، لا يقتصر على الأبحاث الفيزيائية، بل يبدو أكثر وضوحاً فى القضايا الاجتماعية.

ولعلّ الدراسات التأريخية ترشد إلى أنّ النهضات والثورات العملاقة إنّما كانت على الدوام ردود أفعال مباشرة تجاه ضغوط مسبقة؛ وربّما لم تقع ثورة عارمة فى العالم، إلّاإثر ضغوط شديدة سبقتها ومهدت لها. بعبارة اخرى أنّ التغييرات والتطورات وليدة التشددات؛ مثلًا:

۱- النهضة العلمية لأوربا (عصر النهضة)- كانت ردّة فعل ازاء الف سنة من الجهل والتخلف السائد فى القرون الوسطى، ومدى حجم الضغوط التى مارسها القائمون على شؤون الكنيسة بغية الابقاء على حالة التخلف لدى الناس- التى قضت على العوامل التى تقف وراء الجهل ورفعت راية العلم والمعرفة فأخذت تخفق فى كلّ مكان.

۲- الثورة الفرنسية عام ۱۷۸۹- التى شكلت قفزة نوعية فى المجال

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۶

السياسى والاجتماعى، فوقفت بوجه الاستبداد والاستغلال الطبقى والمنطق الغاشم والمتغطرس للأنظمة الحاكمة، وجعلت المجتمع الفرنسى ومن ثمّ سائر المجتمعات الأوربية تدخل مرحلة تأريخية جديدة يسود فيها القانون- طبعاً إلى حدود معينة- بدلًا من الاستبداد والطغيان.

۳- الثورة ضد العبودية- التى انطلقت شرارتها الاولى عام ۱۸۴۸ من بريطانيا- والتى افرزتها المعاملة الفضة والغليظة للأسياد تجاه العبيد، فأججت نار الثورة لدى العبيد من جانب، واثارة عواطف المجتمع لصالح أولئك العبيد من جانب آخر، فانتهى الأمر إلى زوال نظام الاستعباد، وإن اتخذ هذا الاستعباد صيغ اخرى أكبر سعة وأعظم خطورة، حيث ظهر «الاستعمار» بذريعة «إعادة بناء البلدان المتخلفة»! على كلّ حال فكان ينبغى القضاء على نظام الاستعباد، لكن اسلوب التعامل مع العبيد عجل فى القضاء عليه.

۴- الثورة على الاستعمار، فى عصرنا الراهن كانت وما زالت ردود فعل مباشرة لأساليب المستعمرين وتصرفاتهم، والتى ألهبت مشاعر

قطاعـات النـاس وجعلتهم يهبون لمناهضـة القوى الاسـتعمارية، وإن لم تتمخض هـذه المواجهـة عن اسـتقلال تام اقتصادى واجتماعى وسياسى وفكرى؛ غير أنها أفرزت أوضاعاً يصعب مقارنتها بما كانت عليه سابقاً.

۵- الثورة الشـيوعية- عام ۱۹۱۷ م كردّة فعل لظلم الرأسـمالية وهضـمها لحقوق أغلبيـة طبقات المجتمع الكادحـة والمحرومـة؛ رغم ما ذكرناه فى موضـعه- من أنّ هذه الثورة لم تحرر هذه الطبقات الضـعيفة وترفع من شأنها واستعاضت عن ذلك النظام الاستبدادى بنظام ظالم آخر تمثل فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۷

«ديكتاتورية البرولتاريا» والتى تمثل فى الواقع هيمنة بعض رموز الحزب.

۶- الثورة على التمييز العنصرى كردّة فعـل قـام بهـا ذوو البشـرة السوداء «الزنوج» ضـد ذوى البشـرة البيضـاء، إلى جـانب حرمانهم من حقوقهم الاجتماعية.

ولو تصـفحنا التاريـخ وعـدنا إلى الوراء فإننـا سـنواجه قـانون ردّ الفعـل فى كلّ مكان. تاريـخ الأنبياء هو الآخر ينطوى على سلسـلة من النهضات والحركات التى أفرزها ما سـبقها من ضـغوط اجتماعية قوية، وقد وجه الأنبياء تلك النهضات فى مسارها الصـحيح من خلال قيادتها على ضوء التعاليم السـماوية. ولعلنا لا نتلمس مظاهر هذا القانون فى التاريخ القديم والمعاصـر فى القصـص الواقعية لحياة الامم والشعوب فحسب، بل إننا نرى نماذج ذلك القانون فى أساطير سائر الأقوام.

فقد جاء فى اسطورة «الضحاك» و «كاوه الحداد» أنّ دماغ الإنسان كان طعام الحيتان التى يحملها على كتفه، وكان عليه أن يخرج كلّ يوم دماغـاً من جمجمـة ويعطيهـا الحيتـان كى تقرّ وتهـدأ! ولعـلّ هـذه هى حقيقـة «الاسـتعمار» الـذى يقتات على الأدمغـة؛ حيث يعتبر الاستعمار الفكرى الدعامة الأساسية لكافة أنواع الاستعمار!

ثمّ يطالعنا من بين ذلك المجتمع المحروم والذى يعانى من سـطوة الضـحاك، حداداً ذاق طعم النار فشمر عن ساعديه وجعل صدريته راية للثورة فواجه طغيان الضحاك وأطاح به.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۸

وتضـمن علم النفس المعاصـر بحثاً يكشف عن هذا القانون. يفيد هذا البحث: إنّرغبات الإنسان ما لم تشبع بالصورة المناسبة فإنّ هذه الرغبات تكبت فى اللاشـعور لتنتقل من مرحلة «الشعور الظاهر» إلى مرحلة «الباطن» فتثير عقدة فى الضمير الباطن لدى هذا الإنسان. بل أبعد من ذلك أنّ البعض يعتقد أنّ الضمير الباطن ليس بشىء سوى هذه الرغبات المكبوتة، وأنها لا تستقر فى ضمير الإنسان وتنطفىء جذوتها، وتسعى دائماً لأن تطفو على السطح؛ وتبدو متفاوتةً ردود فعل هذه العقد لدى الأفراد، لكن يمكن القول إنّها عادة ما تعبر عن نفسها بإحدى الصيغ الآتية:

۱- عن طريق إيجاد بعض الاختلالات النفسية وعرقلة التفكير التلقائى.

۲- عن طريق الهروب من المجتمع والتقوقع والتشاؤم.

۳- عن طريق الثأر من المجتمع الذى جعله كذلك.

۴- عن طريق الاشباع الفارغ والخيالى.

۵- عن طريق «التصعيد» والتحليق نحو المراحل الأرفع!

مثلًا، افرض أنّ فتى كانت له رغبـة شديـدة بفتاة، وحال والـداه دون الزواج من هذه الفتاة، فالواقع أنّ هذه الرغبة الجامحة سـتكبت فى عقله الباطن، وهى ليس فقط لا تزول، بل ستظهر سريعاً بصيغة ردود أفعال عنيفة.

فلربّمـا جعلته مجنونـاً، أو تسوقه إلى التقوقع والانطواء، أو تحيله إلى إنسان يحب الثأر والانتقام وبالتالى تجعله مجرماً خطيراً، أو تشـده إلى الشعر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۹

والأدب، ليعيش تلك الأجواء الرومانسية التى تسوقه إلى الأحلام بغية الوصال بالمحبوب.

لكن قد يتبدل نفس هذا العشق المادى أحياناً إلى عشق سماوى وربانى عميق، فينزع من قلبه ما سوى اللّه ليكون شخصاً عارفاً وحكيماً منطوياً على أفكار رفيعة متعالية؛ طبعاً ينشأ هذا الاختلاف من سائر الاختلافات النفسية والاستعدادات الروحية لمختلف الأفراد.

وبناءاً على ما تقدّم فإننا نلاحظ أنّ الضغوط النفسية إنّما تواجه عادة بردود فعل عنيفة وثورات ونهضات متنوعة.

النتيجة:

يشير هـذا القـانون إلى أنّ أوضـاع العـالم الراهنـة حبلى بـالثورة. فضـغوط الحروب والمظـالم والممارسات الشـنعاء والتميز العنصـرى وانتهاك العدالـة، إلى جانب فشل الإنسان وشـعوره بالاحباط من القوانين السائـدة فى القضاء على هذه الضـغوط ومعالجتها، سـيجعلها تبرز إلى السـطح فى خاتمـة المطـاف بصـيغة ردود فعل عنيفـة. وبالتالى فإنّ هـذه الرغبات الإنسانيـة المكبوتـة سـتتحول فى ظل تنامى مسـتوى يقظـة الامم إلى عقـدة اجتماعيـة تنطلق من العقل الباطن للمجتمع لتطيـح بهـذا النظام السائد لدى المجتمعات البشـرية، وتقدم مشـروعها الحـديث؛ المشـروع الـذى يغيب فيه سـباق التسـلح المقيت من جـانب، كمـا لا تشم فيه رائحـة النزاعات البغيضـة والحروب الدموية الطاحنة ومفردات الاستعمار والاستبداد والظلم والفساد من جانب آخر.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۰

وهذه بارقة أمل اخرى على إشراقة المستقبل الذى ينتظر المجتمع العالمى.

الالزامات والضرورات الاجتماعية

المراد من «الالزام الاجتماعى» أنّ وضع الحياة الاجتماعية للإنسان يبلغ مرحلة بحيث يشعر بحاجته إلى مطلب معين بصفته ضرورة.

ونعلم بالطبع أنّ الإنسان يريـد بادئ الأمر أن يكون حراً من جميع النواحى دون أدنى قيود أو حدود تعكر صـفو حياته، غير أنّه يدرك شيئاً فشـيئاً أنّ مثل هـذه الحريـة تنأى به بعيداً وتحرمه من سلسـلة من الاعتبارات التى تتمتع بها الحياة الجماعية، وبالتالى لا تلبى رغباته الأصـيلة والأساسـية، ولو لم يقر ببعض القيود والبنود التى يصـطلح عليهـا بالقـانون، فسوف لن يكون نصـيب المجتمع الـذى يعيش فيه سوى الفوضى والهرج والمرج والفناء.

وهنـا ينصـاع إلى القـوانين والمقررات. كمـا أنّ تطـور المجتمعـات يسـهم كـلّ آن فى مضاعفـة هـذه القيـود، وعليه أن يقر بهـا جميعاً كضـرورة. أضـرب مثلًا بسيطاً على هذا الموضوع بشأن مقررات السياقة والاشارات الضوئية، فالإنسان الذى يمتلك سيارة حديثة سريعة يرغب بأن يمارس حريته فى الذهاب إلى أى مكان، والوقوف فى الموضع الذى يحب، ويسير بالسرعة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۲

التى تعجبه، ومواصلة الحركة فى تقاطع الطرق بعيداً عن الوقوف وضياع الوقت وانتظار إشارة المرور؛ لكنه سرعان ما يفهم أنّه إن فعل ذلك فليس هنالك ما يمنع الآخرين منه، وبالتالى سوف لن يكون هناك سوى الفوضى والارباك وأنواع المخاطر.

وعليه فإنّ عـدم صواب هـذا العمل لا يخفى اليوم حتّى على الأطفال؛ ولابـدّ من وجود بعض المقررات وإن تأخر الإنسان لساعات قبل بلوغه المكان الذى يريد، كما لابدّ أن تكون هنالك بعض الغرامات والضوابط الشديدة (العادلة والمنسجمة مع العقل) وإلّا فإنّ مئات الأفراد سيفقدون أرواحهم كلّ يوم أو تتحطم سياراتهم الشخصية.

هذا ما نقوله «عن الضـرورة» أو «الإلزام الاجتماعى» إلّاأنّ المهم هو أنّ «الحاجة الواقعية» لمجتمع تبدو ملحة بحيث يقر بضـرورتها على الأقل مفكرو المجتمع وقادته؛ ويتوقف هـذا فى الدرجـة الاولى على الوعى الاجتماعى لأفراد المجتمع، ومن ثمّ اتضاح النتائج السـلبية

لأوضاع المجتمع القائمة واستحالة مواصلة الدرب. ولذلك لا نرى من جدوى للصرخات التى تطلق هنا وهناك بشأن تلوث البيئة، وليس هنالك من يكترث للمقررات المتعلقة بنظافة البيئة.

لكن حين يرى الناس- على سبيل المثال- التلوث الذى يصيب منطقة معينة كطهران بحيث يبرز فيها العديد من الأمراض التى تهدد صحة الناس، ويتعذر عليهم التنفس، وتصاب عيونهم بالحرقة، حتّى قال بعض الإحصائيين: يصاب بالعمى عشرة أشخاص يومياً؛ ويسود اللعاب لمجرد التواجد بضع ساعات فى المدينة، وانتشار الأمراض الجلدية وضيق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۳

الأجهزة التنفسية وإصابة القلب والكبد وظهور حالات التسمم، فهنا ينصاع إلى المقررات الشاقة والمعقدة بصفتها ضرورة، ويستجيب لكافة الامور من قبيل اغلاق المصانع والمعامل الضخمة، والتخلى عن آلاف الوسائط النقلية ذات الدخان، والامتناع عن ممارسة أغلب الانشطة الاقتصادية ذات الأرباح الباهضة والتى توجب تلوث الأجواء.

ونعود الآن إلى أصل الموضوع على ضوء هذا المثال؛ لعلّ الصورة التى رسمها إنسان القرن السابع عشر والثامن عشر عن القرن العشرين إثر مشاهدته للتطور الصناعى إنّما كانت جنة، فاعتقد أنّ تلك الثورة الصناعية التى انطوت على كلّ هذا التطور والازدهار ستؤدى يوماً إلى:

اكتشاف المصادر الجوفية الواحد تلو الآخر؛

السيطرة العلمية على الطاقة «الذرية» التى تعد أهم وأعظم مصادر الطاقة؛

تحقيق حلم الإنسان بالتحليق فى السماء؛

بمجرّد أنّ يضغط الإنسان على زر سينظف البيت وينضج الطعام وتغسل الثياب ويدفأ البيت فى فصل الشتاء ويبرد فى الصيف؛ وما أن يضغط على زر حتّى تحرث الأرض فيلقى فيها البذور فيجنى محاصيلها بالماكنة والحاصودة فيعلبها ويجهزها للاستهلاك و...

آنذاك يجلس الإنسان فى موضعه وينعم بالرفاه والدعة!

لكنه غفل عن أنّ إنسان الصناعة وحياة المكننة سوف لا يتمتع بهذه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۳۴

الرفاهية، بل سوف لا ينتهى هذا التطور التكنولوجى سوى إلى المزيد من التعقيدات والارباكات التى تكدر صفو الحياة، وسيلقى شبح «الحروب العالمية» بظلاله المرعبة على كافة مرافق حياته بما فيها قطاع الصناعة بالشكل الذى يحيلها خراباً ودماراً! حينئذٍ يدرك مدى خطورة هذه الحياة! فإن كان الكلام فى الماضى عن الحروب التى تؤدى بحياة بضعة آلاف من الناس، فالحديث اليوم عن حرب متوقعة أدنى نتائجها حضارة العالم والمدنية والعودة القهقرى إلى العصر الحجرى! وسيفهم تدريجياً أنّ المقررات السابقة لم تعد كافية لحفظ النجاحات الباهرة التى حققها فى ميدان الصناعة والحضارة، ولابدّ من الانصياع لمقررات إضافية جديدة.

كما سيشعر شيئاً فشيئاً بأنّ «قيام الحكومة العالمية الواحدة» التى ستضع حداً لسباق التسلح المهلك والقضاء على أطماع الدول الكبرى وما تثيره من نزاعات وصدامات، سيكون «ضرورة» و «واقع لابدّ من تحققه»، آنذاك ستزول هذه الحدود المصطنعة ذات الطبيعة المعقدة لتعيش البشرية برمتها تحت راية واحدة وتمارس حياتها فى ظلّ قانون واحد جامع!

وسيأتى اليوم الذى يتكامل فيه الشعور الاجتماعى والوعى لدى العالم ليرى بوضوح ذلك التوزيع الظالم للثروات بحيث ينعم البعض بالرفاهية وطيب العيش ويفرد فيه بعض الأماكن للحيوانات (كالكلاب والقطط) من قبيل المستشفيات والأطباء والمبانى الشاهقة، بينما يأن البعض الآخر من الجوع والعطش والحرمان من أدنى متطلبات العيش ووسائل الحياة.

لا- شك فى أنّ العالم لم ولن يذوق طعم الأمن والاستقرار إن ظلّ مفتقراً للنظام الذى يتكفل بالتوزيع العادل للثروات، وسوف لن يقتصر البلاء على

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۳۵

البلدان الفقیره دون تلک الغنیة. فإن بلغت هذه الامور مرحلة الضرورة إثر اتضاح وظهور ردود الفعل المقیتة التی یفرزها الواقع الموجود وتنامی الشعور الاجتماعی العام، آنذاک ستکون الثورة والنهضة حتمیة الوقوع، علی غرار ما حصل فی الماضی.

وعلیه فإنّ «الالزام الاجتماعی» یعد العنصر الآخر الذی سیدفع بالمجتمع البشری شاء أم أبی نحو حیاة مفعمة بالعدل والسلام، ویرسی قواعد الحکومة العالمیة علی أساس مشروع جدید.

ملامح من الوعی الذاتی للناس:

اشارة

کان الموضوع فی أنّ القرائن الموجودة هل تشیر إلی أنّ مستقبل العالم یتمثل فی العدل والسلام أم الظلم والقضاء علی الجیل الإنسانی؟

ظفرنا لحدّ الآن من خلال أربعة طرق علی بعض الأدلة الواضحة التی تؤید الاحتمال الأوّل، لکن قد یقال بالمقابل إن کان الأمر کذلک مالنا لا نری فی ظلّ هذه الأوضاع والحیاة المعاصره ما یشیر إلی أنّ البشریة تتجه نحو تحقیق الأهداف المذکورة، بل بالعکس لیس هنالک- وعلی ضوء الوضع القائم- سوی الیأس والاحباط!

نحن بدورنا نقر بأن الأمر یبدو کذلک للوهلة الاولی، إلّاأنّ التأمل یفید أنّ الإنسان المعاصر یحث الخطی باتجاه الهدف المذکور وتبدو ملامح وعیه الذاتی علی مستوی الفکر والحیاة، رغم کلّ هذه الانتهاکات والاعتداءات

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۳۶

والمظالم والدمار.

وبالرغم من أنّ هذه الخطوات لیست بالکبیرة، أو الجدیة کما ینبغی، مع ذلک فهی طفرة جدیرة بالاهتمام بالنسبة للاعداد الفکری للأجواء.

وإلیک بعض نماذج هذه القرائن:

۱- تشکیل المجامع الدولیة واعداد میثاق حقوق الإنسان

نعلم أنّ الحرب العالمیة الاولی والثانیة أشبه شیء بحالة الجنون الادواری فی العالم البشری، لکنها افرزت بعض العناصر التی تدعو إلی الوعی والیقظة إزاء تلک الآثار السلبیة الممیتة.

لقد تشکلت «عصبة الامم» عقیب الحرب العالمیة الاولی، لکنها لم تلبث حتّی تعالی زئیر قذائف مدافع الحرب العالمیة الثانیة. ورغم قصر مدة تلک التجربة إلّاأنها أدّت إلی تشکیل مرجعاً عالمیاً یبدو أکثر رصانة من سابقه أصطلح علیه باسم «منظمة الامم المتحدة» التی أصدرت تلک الوثیقة الرائعة «میثاق حقوق الإنسان».

طبعاً لا ننکر أنّ أغلب مواده وفقراته من قبیل المثل المعروف لدینا «القط والجرس» ولا یمکن أن نظفر بمن یسعه تعلیق الجرس علی القط فی الظروف الراهنة، مع ذلک لا یسعنا أن ننکر أیضاً کونه یشکل خطوة إیجابیة رغم ما یکتنفه من نقص ومثلبة، وأنّ أغلب الناس تؤمن بصحّة هذا الاسلوب وإن تعثروا فی العمل. ولکم أن تلاحظوا الآن ألیست هذه المواد التی سنوردها من المیثاق المذکور، هی تلک التی ذکرناها فی الأبحاث السابقة؟!

المادة الاولی: جمیع الأفراد یردون أحراراً إلی الدنیا، وهم اخوة فی

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٣٧

الحقوق والاعتبار، لكلّ منهم عقل وضمير، وينبغى أن يعامل بعضهم البعض الآخر بروح التاخى...

المادة الثالثة: لكلّ حقّ الحرية والحياة والأمن و...

المادة الخامسة: لا يحقّ لأحد أن يعذب آخر ويعامله معاملة سيئة وظالمة خلافاً للمبادئ الإنسانية.

المادة السادسة: ينظر القانون إلى كلّ شخص بصفته إنساناً إينما كان.

المادة السابعة: الكلّ سواسية أمام القانون، ويتمتعون جميعاً بحماية القانون دون تمييز ويتساوون فى الحقوق.

المادة السادسة والعشرون: لكلّ فرد حقّ التربية والتعليم ... وأن تكون غاية هذا التعليم إيصال الإنسان إلى التنمية والازدهار، ويراعى حقوق الناس وحرياتهم...

المادة التاسعة والعشرون: كلّ فرد مكلف إزاء المجتمع بتوفير ممهدات حريته وتبلور شخصيته.

وأخيراً فإن المادة الثلاثين من الميثاق المذكور تغلق الطريق بوجه جميع المستغلين.

المادة الثلاثون: لا ينبغى تفسير أى من مواد هذا الميثاق بحيث يتضمن حقّاً لدولة أو جمعية أو فرد من شأنه القضاء على الحقوق والحريات الواردة فيه.

نُذكِّر ثانية بعدم تفاؤلنا إلى هذا الحدّ فى أنّ هذه الشعارات البراقة التى تسحر القلوب إنما تشبه إلى حدّ بعيد وفى ظلّ الظروف الراهنة حلماً جميلًا بعيداً جدّاً عن التحقق الخارجى، لكن لا يسعنا بالمقابل إنكار هذه الحقيقة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٣٨

فى أنّ الميثاق المذكور جعل البشرية تدخل مرحلة تاريخية جديدة.

نعلم أنّ «منظمة الامم المتحدة» هى فى الواقع بحكم «المنظمة الامّ» وقد انبثقت منها عدة شعب إحداها تتمثل فى «مجلس الأمن».

الفارق بين هذا «الابن» وتلك «الامّ» أنّه ليست لهذه الأخيرة من قدرة تنفيذية، ولا تعدو مقرراتها كونها سلسلة من الوصايا الرسمية لبلدان العالم.

ومن هنا فإنّ بعض الأفراد المتشائمين لا يرى فى هذه المنظمة الدولية سوى أنها «منبر خطابة» أو «صالة الخطاب العالمى» أو «البرلمان الحرّ» وما إلى ذلك من المسميات؛ لكن مهما يكن الأمر فهى تستبطن هذه الفائدة فى اشتراك كافة بلدان العالم فيها فى التصويت على أساس «التكافؤ والمساواة»، ولمقرراتها آثارها النفسية والمعنوية الواضحة لدى الشعوب والرأى العام العالمى. بينما يتمتع «مجلس الأمن» بقدرة إجرائية وتنفيذية كافية! ولو أراد لاستطاع تفعيل قراراته، لكن ممّا يؤسف له افتقاره للقدرة الكافية على التصويت والاقتراع؛ ذلك لتمتع الدول العظمى الخمس «أمريكا وروسيا والصين وفرنسا وبريطانيا» الدائمة العضوية بحقّ النقض «الفيتو» حيث يسعها احباط أى قرار لا يروق لها.

ولعلّ هذا الحقّ الذى خلفه الاستعمار إنما يهدد هذا المركز الدولى ويعطل جميع مشاريعه وقراراته.

ونخلص ممّا سبق إلى أنّ هنالك مؤسسة تتمتع بقدرة الاجراء دون التصويت واخرى تصوت دون أن تكون لها قدرة على الاجراء والتنفيذ!

لكن رغم كلّ هذه الاشكالات فإن هذه المنظمة الدولية وانجازاتها، وهذه المؤسسة ذات الضجيج العالى والقليلة الأثر إن راعينا العدل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٣٩

والانصاف، استطاعت أن تقوم لحدّ الآن ببعض الأعمال المهمة- رغم صغرها- وبغض النظر عن فاعليتها فإنّ صورتها الظاهرية هذه، دليل على تبلور اسلوب حديث من التفكير فى العالم انطلق من مراحل «شبه جديدة» أقرب شىء للعفوية والمزاح وتتحرك باتجاه مراحل أكثر جديةً؛ بحيث تشعر جميع بلدان العالم رغم اختلافها فى المذاهب والأساليب بحاجة إلى وجود هذه المنظمة، ولاترى

صحّة تجاهلها.

۲- الحوار عن خلع الأسلحة

رغم أنّ هـذا الموضوع لم يخرج لحدّ الآن من دائرة النقـاش وعقـد الاجتماعـات واستهلاك الأوراق؛ وكلّ ما صـدر لحـدّ الآن من المنظمات العالمية لنزع الأسلحة إنما يدلّ على «اتساع سباق التسلح»، إلّاأن ترحيب عامة بلدان العالم بهذا الاقتراح يكشف عن ظهور اليقظة والوعى فى الضمير العـالمى؛ وعلى الأقل فإن كافة الـدول الكبرى والصـغرى وقفت على عظم حاجتها لكلّ هـذه «الثروات» و «الأدمغة» لتوظف فى «القضايا العمرانية» بدلًا من هدرها فى صنع الآلات العسكرية مع ما تتطلبه من طاقات بشرية، فالكلّ يسعى على طريقته لينقذ نفسه من هذا الفخ الخطير، ولابدّ أن تأتى الساعة التى تستغل فيها هذه الثروات الإنسانية والاقتصادية العظيمة لصالح البنى التحتية والمراكز الخيرية الضعيفة. لقد قدمت إحدى مؤسسات الاحصاء العالمية بعض الاحصاءات الخيالية بشأن الميزانية التى ترصدها كلّ دولة من الدول العظمى لجيوشها وجنودها- الجنود الذين يمثلون أعظم أعضاء المجتمع فتوة وحيوية- مع ذلك تشير الاحصائية المذكورة إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۰

وجود نزعة تفكيرية إلى جانب ذلك البرنامج الفاحش، والتى تصرح باستحالة استمرار هذا البرنامج ولابدّ من إعادة النظر فيه.

وهذا بدوره يشكل خطوة اخرى نحو تحقيق ذلك الهدف العظيم.

۳- هجوم السلام!

يتحدّث الجميع فى عالمنا المعاصر عن السلام؛ حتّى طلاب الحرب! ذلك لأن النفرة من الحرب أصبحت شاملة عامة، وما زالت الصور المرعبة لآثار الحروب العالمية المدمرة عالقة فى الذاكرة ولا يمكن نسيانها! رغم أنّ التحمس للصلح والسلام- كسائر معظم رغبات الإنسان- لم تتجاوز حدود الأمنية؛ وما زال يستغل هنا وهناك كشعار. مع ذلك فإن هـذا الوضع- على كلّ حال- يشير إلى «عطش عام» إلى «ماء الصلح» من قبل الجميع. والواقع هو أنّ الناس تنظر إلى ذلك بصفته الركيزة الأساسية للنهوض بكافة مرافق الحياة، ولا سيّما بالنظر إلى أنّ الحروب الحديثه باهضة التكاليف ومدمرة، فقد يعانى بلد من تخلف اقتصادى وعمرانى لعشرات السنين إثر بضعة أيّام من الحرب، ناهيك عن تكبده أفدح الخسائر بالأموال والأرواح، ولربّما بلغت المليارات من الدنانير وآلاف القتلى والجرحى. حقّاً لا ينبغى الاستخفاف بهذه الرغبة العامة؛ لأن كلّ نهضة وحركة إنما تنطلق بادئ الأمر على أساس كونها «أمنية» و «رغبة دون سند» أو «شعار براق»، ومن ثمّ تتحول إلى «ضرورة» و «واقع قائم» يغير تدريجياً أركان المجتمع.

تفيد التقارير أن وقف إطلاق النار بين فيتنام وأمريكا نقض خمسمئة مرة، لكننا رأينا فى خاتمة المطاف كيف بلغ المرحلة الجدية والقطعية،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۱

والضرورة التى ينبغى تحققها إنما تحققت بانتصار فيتنام.

۴- مشروع الحكومة الإسلامية «۱»

حظىَ هـذا المشروع أخيراً بـالكثير من الأنصـار، وورد الحـديث بشأنه فى مختلف الأوساط، حتّى ذهب البعض إلى أنّ مشروع اللغة الدولية الـذى أخذ يتنامى تأثيره ويتسع مؤخراً إنما يعد مقدمة لذلك المشروع الكبير. وهذا بدوره يمثل خطوة مؤثرة اخرى بغية بلوغ ذلك الهدف النهائى.

طبعاً ممّا لا شک فیه أنّ التوجه الراهن للعالم فی ظلّ هذه الظروف لا یبدو مستعداً لمثل هذه الحکومة؛ ذلک لأن قضیة الاعراق السوداء والبیضاء لم تحل فی المجتمع الذی یعد مدنیاً متحضراً کالولایات المتحدة، وما زال السود (الزنوج) یأنون فی هذا المجتمع من التمییز العنصری المقیت. وما زال النظام العنصری فی جنون أفریقیا یحظی بدعم الدول العظمی، وما زالت الهوة قائمة بین الفئات الثلاث «المتخلفة» و «السائرة نحو التنمیة» و «النامیة» بل تعمقت أکثر فأکثر.

لکن بالرغم من کلّ ذلک- کما قلنا- فإن سعة هذه الأفکار وانتشارها واستیعابها من قبل أغلب قطاعات العالم وإن لاح فی الافق البعید، إلّاأنّه دلیل حی علی نضج الاستعداد الروحی والفکری والاجتماعی لتحقق العدل والسلام العالمی.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۴۲

ناهیک عمّا أوردنا فإنّ بعض القرائن الاخری هنا وهنالک فی المجتمعات البشریة من قبیل «السوق المشترکة» و «المحافل الدولیة الکبری» وکافة اشکال النزوع نحو الحیاة الجماعیة والجنوح نحو الوحدة، تشیر جمیعاً إلی أنّ العالم قطع مسیرة طویلة نحو الهدف المذکور؛ ویبشرنا فی خاتمة المطاف ببلوغ هذا الهدف.

الفطرة و «العدل والسلام العالمی»

اشارة

یمکن دراسة کلّ قضیة من خلال طریقین؛ «العقل» و «العاطفة والفطرة» والفطرة هی الالهام والادراک الباطنی الذی لا یحتاج إلی الدلیل، أی یقره الإنسان ویؤمن به دون قیام الدلیل والبرهان. وربّما تکون هذه الالهامات الباطنیة أعظم أصالة من أحکام العقل، حیث هذه ادراکات ذاتیة، وتلک معلومات اکتسابیة.

ویصطلح عادة علی هذه الالهامات لدی الحیوانات ب «الغریزة»؛ ولهذه الغرائز قاعدة عریضة فی الحیوانات إلی جانب دورها المهم؛ بل یمکن القول إنّ المحور الأصلی لحیاة الحیوانات إنما یستند إلی الغرائز.

وقد تکون انعکاسات هذه الغرائز علی درجة من الدهشة بحیث یشعر الإنسان إزائها بالعجز رغم امتلاکه لکلّ هذه الوسائل الصناعیة المتطورة والأدوات الالکترونیة المعقدة. مثلًا، کثیرة هی الحیوانات والحشرات التی تتحسس وضع الجو، لعلّ ذلک أحیاناً لیوم واحد وأحیاناً اخری لستة أشهر، بل قرأت فی صحیفة أنّ نوعاً من الجراد یتکهن بأوضاع الجو قبل سنة، حقّاً أنّه لمن المثیر للدهشة أنّ إنسان عصر الفضاء ورغم کلّ ما

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۴۴

یمتلکه من أجهزة دقیقة صنعت لأجل التکهن بالأنواء الجویة، ونصبه لکلّ المراصد فی مختلف المناطق وإعداده للخرائط الجویة وما یرصد لها من میزانیة ضخمة لا یسعه التکهن بهذه الأوضاع لأکثر من ست ساعات، وبالعبارات التالیة المذبذبة:

غائم جزئی.

غائم تماماً.

مع احتمال زخات مطر.

ولعلّه یکون مصحوباً بمطر شدید.

ویحتمل أن یکون صحواً ومشمساً...!

أمّا تلک الحشرة العالمة بالأنواء الجویة فهی تتکهن بالأوضاع قبل ستة أشهر ودون الاتصال بسائر الحشرات؛ أی تتنبئ بأوضاع الشتاء فی فصل الصیف وتعد نفسها للتکیف مع تلک الأوضاع.

ولعلّ سبب قلة معلومات الإنسان الفطرية مقارنة بسائر الكائنات الحية إلى الحيز العظيم من القدرة العقلية المودعة لديه والتى يمكنها معالجة نقصه فى سائر المجالات؛ لكن على كلّ حال فإن الإنسان يستلهم من هذه الفطره فى تلبية حاجاته الضرورية وشؤونه المعاشية فى حياته، ولهذا السراج دوره فى ارشادنا إلى مسيرتنا القادمة.

والسؤال الـذى يطرح نفسه هنا: هل لهـذه الالهامات الفطرية أن تساعدنا بشأن ما نحن بصدده، أى نهاية العالم بالحرب وسفك الدماء والظلم والجور أو قيام حكومة العدل والسلام والأمن أم لا؟

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۵

الجواب بالايجاب عن هذا السؤال؛ فهنالك قرينتان مهمتان يمكنهما ارشادنا إلى هذه الحقيقة:

۱- حبّ العدل والسلام

هنالك حبّ للعدل والسلام كامن فى عمق روح كلّ إنسان؛ فالجميع يتلذذ بالعدل والسلام؛ والكلّ يسعى إلى عالم يسوده هذان الركنان؛ رغم كلّ الخلافات السائدة بين الشعوب من حيث اسلوب التفكير والسن والآداب والعادات والتقاليد والمدارس والمذاهب والنزعات والرغبات؛ فالجميع مغرم بالعدل والسلام دون استثناء، ولا أظن هناك دليلًا أعظم من كون القضية فطرية؛ فالمفروغ منه أنّ شمولية وعمومية المتطلبات دلالة على فطريتها.

فهل هذا عطش كاذب؟ أم أنّه حاجة حقيقية تهتدى إليها الفطره بمعونة العقل، ليؤكد ضرورتها الملحة؟ (ينبغى التأمل).

أفلا يدلّ عطشنا الدائمى على وجود الماء فى الطبيعة، ولو لم يكن للماء وجود خارجى فهل من وجود فى باطننا للعطش والرغبة فيه؟ إننا لنصرخ، ونتأوه، وتتعالى أصواتنا فى طلب العدل والسلام؛ وهذا دليل على تحقق هذه الرغبة فى خاتمة المطاف وتطبيقها فى العالم.

ليس هنالك أصلًا من مفهوم للفطرة الكاذبة، ذلك لأننا نعلم أنّ الخلق وعالم الطبيعة وحدة واحدة متصلة، وليست مركبة من سلسلة موجودات منفصلة عن بعضها البعض الآخر.

الجميع بمنزلة شجرة عظيمة امتدت أغصانها العملاقة لأنحاء الوجود،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۶

وربّما كانت هنالك مسافة تقدر بملايين السنين الضوئية بين غصنين من أغصانها أو حتّى بين بذورها، إلّاأنّ هذه المسافة ليست دليلًا على انفصالها وتفككها، بل تعد من خصائص سعتها وعظمتها.

إنّ كلّ جزء فى هذه الوحدة العظيمة دليل على الكلّ، وكلّ فرع مرتبط بالآخر، وردود أفعالها مرتبطة مع بعضها؛ وكلّ واحدة قرينة على وجود الاخرى، والجميع يسقى من جذر واحد. وعلى هذا الأساس فإن «كلّ عشق أصيل وفطرى يحكى عن وجود معشوق فى الخارج وأنّه جذبة واندفاع نحوه». و «العشق» الذى لا مكان لمعشوقه سوى فى عالم الرؤيا هو «عشق مزيف»؛ وليس للزيف من مكان فى عالم الطبيعة؛ والانحراف عن مسار الخلق فقط من شأنه استبدال الموجود المزيف بواقع أصيل. (ينبغى التأمل).

على أيّة حال فإن فطرة الإنسان تنادى بوضوح أنّ العدل والسلام سيعم العالم فى نهاية المطاف وينهار الظلم والجور، فهذه حاجة إنسانية مطلقة.

۲- الانتظار المطلق للمنقذ

يبدو أنّ الجميع متفق على أنّ كافة شعوب العالم تنتظر زعيماً ثورياً عظيماً اصطلحت عليه باسم معين، إلّاأنّهم يتفقون جميعاً على صفاته الكلية ومبادئ ثورته. وبناءً على ما تقدّم فإنّ قضية الإيمان بظهور المنقذ والمصلح المطلق الذى يعالج أنين البشرية ويضع حدّاً لمعاناتها لا يقتصر على المسلمين أو بعض المذاهب والمدارس الشرقية؛ بل تفيد «الوثائق والأدلة» أنّ هذه الفكرة قديمة ومتأصلة لدى

جميع شعوب الشرق والغرب، وإن تأكدت هذه القضية لدى بعض الأديان كالديانة الإسلامية. وهذا دليل آخر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۷

وشهادة حية على كون هذه المسألة فطرية.

ونشير هنا بصورة مقتضبة إلى نماذج هذا الاعتقاد لدى الامم والشعوب من أجل غايتين؛ الاولى: الالتفات إلى عمومية هذه المسألة، والاخرى:

الالتفات إلى المبادئ المشتركة بشأن مشاريع ذلك المصلح الكبير لدى جميع تلك الأقوام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۴۹

الشعوب والمصلح العظيم

مشروع المصلح فى كتب الزرادشت:

۱- ورد فى كتاب «زند» بعد الصراع الأبدى بين الأخيار والأشرار:

«آنذاك يكون النصر للاخيار، ويقضون على الأشرار...

وما أن يتغلب الأخيار حتّى تتحقق السعادة فى العالم وينعم بنو آدم بالخير والرفاه».

۲- روى «جاماسب» فى رسالة سفره عن زرادشت أنّه قال:

«يخرج رجل من أرض تازيان ... رجل عظيم الرأس والبدن وطويل الساق ويتجه إلى ايران بجيشه الكبير ودين جده فيملأ الأرض عدلًا.

نماذج هذا الاعتقاد فى كتب الهند والبراهمة».

۱- جاء فى أحد الكتب الهندية «وشن جك»:

«ستعود الدنيا آخر الأمر إلى رجل يحب اللَّه ومن خاصة عباده.

واسمه مبارك وميمون»!

۲- كما جاء فى كتاب آخر اسمه «ديده»:

«سيظهر آخر الزمان بعد خراب الدنيا ملك هو إمام الخلق. واسمه

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۰

منصور يستولى على جميع العالم ويلحقه بدينه».

۳- وورد فى أحد كتب البراهمة «دداتك» وهو من الكتب المقدسة...:

«سيظهر رجل الحق ويسيطر على مشرق العالم ومغربه ويهدى جميع الخلائق».

۴- وجاء فى كتب الهنود «باتيكل»:

«إن انتهى النهار وتجددت الدنيا القديمة وأصبحت حية وظهر صاحب الملك؛ أحد أبناء إمامى العالم أحدهما ناموس آخر الزمان، والآخر يدعى بشن واسم صاحب الملك «المرشد»، هو الملك حقّاً والخليفة الذى يلى الحكومة وله معجزات كثيرة».

۵- وورد فى كتاب «باسك» من كتب الهنود:

«تؤول الدنيا إلى ملك عادل فى آخر الزمان هو إمام الملائكة والجن والانس؛ والحقّ معه، ويستخرج ما فى البحار والجبال وينبئ عن السماء والأرض، ولم يرد الدنيا أعظم منه».

قبسات من كتب العهد القديم (التوراة وملحقاتها):

۱- جاء فى كتاب «مزامير داود» المزمور ۳۷:

...« لأنه سينقطع الأشرار، وسيرث المتوكلون على اللّه الأرض، سوف لن يكون هناك شريراً بعد مدة قليلة، ستتأمل مكانه وليس فيه، أما الحكماء (الصالحون) فسيرثون الأرض».

۲- كما ورد فى المزمور المذكور الجملة ۲۲:

«سيرث الأرض مباركو الرب وسينقطع ملعونوه».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۱

۳- وجاء فى الجملة ۲۹ من المزمور السابق:

«سيرث الصديقون الأرض ويسكنون فيها إلى الأبد».

۴- وورد فى الفصل السابع من كتاب النبى «حبقوق»:

...« وإن تأخر، فانتظره.

لأنه سيأتى وسيتوقف

بل سيجمع حوله جميع الامم

ويعدّهم جميعاً لنفسه».

۵- ونقرأ فى كتاب «النبى أشعياى» الفصل ۱۱ فى بحث كله تشبيه:

«وستظهر نبتة من جذع يسى «۱» وينتصب فرع من فروعها.

سيحكم الذليلون بالعدل والقسط. فالعدالة محور الحكم.

وستعيش الشاة إلى جانب الذئب...

والطفل الصغير سيكون الراعى...

وسوف لن يكون هنالك فساد وضرر فى جميع أرضى المقدسة...

لأن الأرض ستمتلئ من علم اللّه، كالمياه التى تملأ البحار».

العلامات فى كتب العهد الجديد (الاناجيل وملحقاتها):

۱- جاء فى الفصل ۲۴ من انجيل «متى»:

«حيث يأتى البرق من المشرق ويظهر فى المغرب، هكذا سيكون قدوم ابن الإنسان ... سيرون ابن الإنسان كيف سيقف بقدرته وجلال عظمته...

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۲

وسيبعث بملائكته (أصحابه) وسيجمع هؤلاء أولياءَهم».

۲- وورد فى الفصل الثانى عشر من انجيل «لوقا»:

«اعقدوا أحزمتكم وأضيئوا مصابيحكم وكونوا كمن ينتظر سيّده، حتّى تفتحوا له الباب متى جاء ودق بابكم».

عقيدة الصينيين والمصريين وأمثالهم بهذا الشأن.

۱- جاء فى ص ۴۷ من كتاب «علامات الظهور» (تدوين أحد أصدقاء صادق هدايت»:

«إنّ القسم الأعظم من المتون البهلويـة المترجمـة لدى «صادق» بشأن الظهور وعلامات الظهور، والواقع لو التفتنا إلى جميع المتون لديه لقلنا:

لكافة هذه المتون صبغة دينية.

...موضوع الظهور وعلامات الظهور موضوع يحظى بأهميـة خاصـة لدى جميع المذاهب العالمية ... حسب قول «صادق»: بغض النظر عن العقيدة والإيمان التى تعد أساس هذه الأمنية فإن كلّ فرد حريص على مصـير البشرية وينشد تكاملها المعنوى، حين يصاب باليأس من كـلّ شـىء ويرى البشـرية غافلـة وتتجه نحـو الفسـاد والانحطـاط وتتمرد على اللّه ولاـ تمتثـل أوامره رغم كـلّ هـذا التطور الفكرى والعلمى المـدهش، فـإنّه يتوجه إلى اللّه بوحى من فطرته الذاتيـة ويسـأله رفع الظلم والجور والفسـاد. ومن هنا فقـد عاش العباد على مرّ العصور والـدهور انتظـار المصـلح العـالمى ولاـ تقتصـر هـذه الرغبـة على اتبـاع الـديانات الكـبرى كالزرادشتيـة واليهوديـة والمسـيحية والإسـلامية؛ بل وردت فى الكتب القديمة للصـينيين وعقائد الهنود، والبلدان الاسـكندنافية، حتّى لدى قدماء المصـريين، بل حتّى أهل المكسيك وأمثال تلك الامم».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۳

جـدير ذكره أنّ كتـاب «زنـد، وهو من يسن» وسـائر الكتب الزرادشتيـة ومنهـا البابان الأخيران من رسالـة جاماسب تشـتمل على النبوءة الزرادشتيـة على لسـان جاماسب الحكيم ب «كشـتاسب» الملك آنـذاك اعتنق الزرادشتيـة المتعلق بموعود آخر الزمان، ترجم من قبل صادق هدايت من البهلوية إلى الفارسية ونشر من قبل حسن قائميان رفيق هدايت بعنوان «علامات الظهور».

قبسات من عقائد الغرب بهذا الشأن:

۱- إنّ الاعتقاد بظهور المنقـذ العظيم وفناء الظلم والجور عن الناس واقامـة حكومـة الحقّ والعـدل لا تقتصـر على الشـرقيين والمدارس الشـرقية؛ بل هو اعتقاد عام وعالمى انعكست أبعاده فى مبادئ الأقوام المختلفـة، وكلّ ذلك يفيـد هـذه الحقيقـة وهى أنّ لهذه العقيدة العريقة جذور فى الفطره البشرية وفى دعوة جميع الأنبياء.

ذكر فى كتاب «اطلالة على الزعامة» ضـمن بيان وجود انتظار ظهور منقذ عظيم لدى مختلف المجتمعات الغربية واستفادة بعض الأفراد من هذا الانتظار العام، أسماء خمسة أفراد من الأدعياء نهضوا من بريطانيا هم:

«جيمس نـايلور» و «يوحنـا سوثكـات» و «ريتشـارد برادرز» و «جون نيكولسـتام» و «هنرى جيمس برينس»، كمـا نقـل عن «برنارد باربر» عالم الاجتماع الامريكى فى رسالته «نهضة المنقذ» وجود مثل هذا الاعتقاد حتّى لدى زنوج أمريكا وقال:

«إنّ هذه العقيدة شائعة بين قبائل الزنوج الأمريكيين ... أنّه سيظهر يوماً ذلك الرجل ويدخلهم جنّة الأرض ... وقد أحصى التأريخ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۵۴

الأمريكى لما قبل سنة ۱۸۹۰ أكثر من عشرين نوعاً من هذه النهضات».

ذكرنا سابقاً فى بحثنا بشأن كتاب «علامات الظهور» أنّ آثار هذه العقيدة موجودة بين الشعوب الاسكندنافية والمكسيك وأمثالهم «۱».

ويتبين ممّا ذكرنا- وسائر الشواهد والقرائن التى لم نوردها رعاية للاختصار- أنّه ليس هنالك منطقة معينة لهذا الانتظار؛ فهو انتظار عام وشامل وعلى نطاق عالمى وبالتالى شاهد على فطرية هذه العقيدة.

وسـنرى سـعة كبيرة لهـذه العقيـدة فى الأبحـاث القادمـة تحت عنوان ظهور «المهـدى» فى العقائـد الإسـلامية، مع كونه تشـكل عقيـدة أساسية.

وكما سـنرى كيف أسـهم الإيمان بهذه الحقيقة الفطرية المؤيدة بالعقل فى طرد غيوم اليأس وسـحب الاحباط عن سـماء روح الإنسان، وجند طاقاته وأعده لمستقبل مشرق وزاهر، لتكون

القوی أعظم استعداداً،

والأفکار أکبر یقظة،

والاستعدادات أشمل،

والنهضات أسرع،

والعشق أعمق،

وکیف مهد السبیل لمجتمع إنسانی بمعنی الکلمة؛ المجتمع الذی تذوب فیه مفردات الظلم فتنطفیء جذوة ناره، والتمییز العنصری وما إلی ذلک من المصائب.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۵

النهضة العالمیة

نهضة أم إصلاحات تدریجیة

کان البحث لحدّ الآن أنّ الإنسان ینظر بعین الأمل إلی مستقبل مشرق علی ضوء نداء العقل وإلهام الفطرة، المستقبل الذی یفرق کثیراً عن الیوم، والذی ستنعدم فیه کافة السحب السوداء.

ولکن یرد هنا هذا السؤال: هل سیتم هذا التغییر من خلال الاصلاحات التدریجیة أم بواسطة النهضة والثورة؟

أساساً- وبصورة عامة- لیست هنالک فکرة واحدة لدی العلماء فی السبیل الذی تتم من خلاله الاصلاحات الاجتماعیة، فالبعض یقول بالاصلاحات التدریجیة. وبالمقابل هناک البعض الآخر وهم الثوریون الذین لا یرون امکانیة حدوث أی تغییر جذری فی أوضاع المجتمع البشری دون النهضة.

یعتقد هؤلاء أنّ التغییر الذی یصیب الطبیعة إنما یقوم علی أساس قفزة ونهضة، ولا جدوی من التغییرات التدریجیة «الکمیة» والتی تتخذ صیغة «کیفیة» وتنقلب ضدها لأدنی نهضة. وقد أورد أصحاب هذه الفکرة وفی کافة التغییرات الاجتماعیة عدة دوافع وعناصر فی کیفیة النهضة وتغییر

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۸

المجتمعات، تفتقر جمیعها للدلیل، ولا تنطبق علی القضایا التأریخیة والشواهد العینیة، مع ذلک لا یمکن انکار فاعلیة هذه الفکرة فی عدة میادین.

توضیح ذلک:

الذی یبدو أقرب إلی الواقع أنّ درجات الفساد فی المجتمعات متفاوتة؛ فالموضع الذی لم یستشر فیه الفساد، یمکن للإصلاحات التدریجیة أن تکون أساس التغییر فیه.

بینما لا جدوی من التغییر فی المواضع التی تتسع فیها رقعة الفساد سوی من خلال النهضة الشاملة لیمکنها التغلب علی الارباکات.

وکأن الأمر أشبه ببناء عظیم یراد ترمیمه بالتعمیر التدریجی واعادته إلی سابق جماله؛ أما حین یتحطم البناء من الأساس وتشرف اسسه علی التآکل، فلیس هنالک من سبیل سوی هدمه من الأساس واعادة بنائه.

ولدینا عدة شواهد علی صحّة هذا الاعتقاد:

۱- توضع الاصلاحات التدریجیة دائماً علی تلک الاسس القدیمة ویتوقف تأثیرها علی سلامة الاسس، وبعبارة اخری فإنّ النماذج والضوابط فی «الإصلاحات» هی تلک النماذج والضوابط القدیمة، وهی مجدیة فی المواضع التی تکون فیها النماذج سالمة، وإلّا

لیست هنالک من ثمرة، ذلک أنّ الدار خاویة من الأساس. وهنا ینبغی البحث عن نماذج جدیدة والتعامل مجدداً مع القضایا الأساسیة باتجاه التغییر.

۲- غالباً ما تنشأ الإصلاحات التدریجیة من خلال الطرق السلمیة، وتعتمد عادة علی «المنطق» فی أغلب المواقع، ویتوقف تأثیرها علی الاستعداد الفکری للمجتمع، وإلّا فلابدّ من اللجوء إلی الثورة علی أنّها تمثل

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۵۹

منطق القوة، وإن کان للمنطق دوره البارز فی التحولات الثوریة، إلّاأنّ الحرف الأوّل والأخیر للقوة الثوریة. فالاستعانة بالأسالیب غیر الثوریة فی المجتمعات التی تجذر فیها الفساد، تؤدی إلی تحصن عناصر الفساد إزاء الإصلاحیین والتسلح بالوسائل المتاحة لمواجهة أسلحة الاصلاح. بالضبط کالمکروب القوی الذی یتحصن تجاه الاستعمال التدریجی للدواء ویواصل نشاطه، ولا یمکن القضاء علیه سوی بهجوم خاطف لذلک الدواء!

۳- تستحوذ العناصر الفاسدة المقتدرة المضادة للإصلاح فی المجتمعات التی تجذر فیها الفساد علی کافة المراکز الحساسة فی المجتمع ویستطیع هذه العناصر احباط کلّ مشروع إصلاحی تدریجی بسهولة؛ إلّاأن تُباغت ویقضی علیها بحرکة ثوریة قبل أن یأخذ حذرها وتتجمهر وتتجهز!

۴- لا یمکن الابقاء علی القوی الثوریة والإصلاحیة ودیمومة فاعلیتها وتحمسها لمدة طویلة، وما لم تستثمر طاقاتها فی الموقع المناسب فلربما تضیع جهودها علی مرور الزمان وتفقد حیویتها؛ فتتاح الفرصة للعناصر المضادة باختراق صفوفها بالتدریج، وعلیه فلابدّ من الاستفادة القصوی حین ممارسة الإصلاحات الشاملة من هذه العناصر وبالسرعة الممکنة.

۵- یشیر التاریخ أیضاً إلی أنّ هذه الطائفة من المجتمعات لم تنتظم من خلال الإصلاحات التدریجیة، بل تمّ إصلاحها عن طریق الثورة والنهضة.

وقد اعتمد الأنبیاء العظام وقادة الاصلاح الاسلوب الثوری فی مواجهتهم لمثل هذه المجتمعات، وقد استماتوا فی میادین الجهاد بعد أن جندوا کلّ قواهم وطاقاتهم فی هذا المجال.

وخیر مثال علی هؤلاء الثوریین الأبطال أنبیاء اللَّه نوح وموسی وعیسی

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۰

وإبراهیم وفی مقدمتهم نبی الإسلام سلام اللَّه علیهم جمیعاً.

کما عرف بالثوریة سائر العظام من الرجال والنساء الذین مارسوا مهمة الاصلاح وغیروا مسیرة مجتمعاتهم. وهذا بحدّ ذاته دلیل حی علی أنّ إصلاح مثل هذه المجتمعات لا یتم سوی من خلال الثورة.

ویبدو الأمر أکثر وضوحاً بالنسبة لممارسة الاصلاح العام لأوضاع العالم والاطاحة بالنظام المعاصر القائم علی أساس الظلم والجور وارساء قواعد نظام عادل خالٍ من کلّ هذه المفاسد. فإذا کان الأمر کذلک فأنّی للإصلاحات التدریجیة أن تقوم بهذه المهمة فی ممارسة التغییرات الشاملة؟!

هنا لابدّ من القول:

إذا أرید لعالمنا المعاصر الملیء بالظلم والجور والفساد أن ینقذ من هاویة الفناء والعدم فلیس هنالک من سبیل سوی قیام الثورة الشاملة. الثورة علی جمیع المستویات:

الثورة علی المستوی الفکری والثقافی والأخلاقی والاقتصادی والسیاسی، وفی مجال القوانین والمشاریع، وإلّا فلیس هنالک سوی السقوط فی النیران المحرقة لحرب عالمیة شاملة.

الثورة المادیة أم المعنویة؟

البحث الآخر الـذی یتمم البحث السابق: بالاسـتناد إلی الأدلـهٔ العدیـدهٔ التی تبین مسـیرهٔ الحیاهٔ البشـریهٔ فی خاتمـهٔ المطاف إلی العـدل وانقشاع سحب الظلمهٔ من سماء الحضارهٔ البشریهٔ، فانه یرد هذا السؤال: أنّ هذه

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۱

الثورهٔ الشاملهٔ التی سـتنفذ هذا المشروع تحصل من خلال تکامل القوانین المادیهٔ أم ینبغی أن تحقق ذلک الهدف بالاستعانهٔ بالمصادر المعنویهٔ؟

بعبـارهٔ اخری، هـل یسع هـذه الحیاهٔ أحادیـهٔ الجانب وتکاملها تحقیق الهـدف المـذکور، أم لابـدّ من التکامل الشامل والتام بحیث یتم:

إحیاء القیم والمثل الإنسانیهٔ.

تفعیل المسائل الأخلاقیهٔ بشکل واسع.

إنعاش الإیمان والعاطفهٔ.

والسیطرهٔ من خلال ذلک علی طغیان الحیاهٔ المادیهٔ؟

یشـیر التمعن فی الجـذور الرئیسـیهٔ للبؤس والشـقاء والارباک الراهن إلی أن تکامل هذا الوضع هو فی الواقع تکامل التعاسهٔ، ومواصـلهٔ هذا الطریق ستکون مواصله الازمات.

وذلک لما یلی:

إن أعدل أسالیب الحکم فی عالمنا المعاصـر هو اسلوب الحکومهٔ الدیمقراطیهٔ (حکومهٔ الشعب لنفسه بنفسه) والذی لا یطالعنا منها فی أغلب مناطق العالم سوی اسمها.

ولو افترضنا أنّ هذا النظام طبق بمفهومه الواقعی فی کافهٔ أنحاء العالم، فانه سیخلف العدید من المعضلات.

توضیح ذلک:

تفید الدراسهٔ الإجمالیهٔ أنّ فی العالم أربعهٔ أنواع من الحکومات هی:

۱- الحکومهٔ الاسـتبدادیهٔ (فی صورتها الحقیقیهٔ) المراد حکومهٔ استبداد فرد یعلم وضعه فی الماضی والحاضر، ویمکن القول باختصار: إنّ کلّ بؤس

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۲

وشقاء وعبودیهٔ وتخلف أصاب الإنسان إنما أفرزته هذه الحکومهٔ المقیتهٔ.

۲- الحکومـهٔ الاسـتبدادیهٔ (بلبـاس الدیمقراطیـهٔ) أی تلـک الحکومـهٔ الفردیـهٔ المسـتبدهٔ والجبارهٔ الطاغیـهٔ التی تتمشـدق بالـدیمقراطیهٔ وتحاول محاکاتها فی انشاء الحزب والمجلس المزیف؛ الحزب والمجلس الـذی تعـد قائمـهٔ أعضائه سـلفاً وهکذا سائر العناصـر الذین یؤهلون للقیـام بوظـائفهم من خلاـل ظهورهم علی مسرح الأحـداث. طبعاً یجلسون معاً خلف الکوالیس یشـربون ویأکلون ویمرحون ویمزحون، وحین یظهرون یتخـذ أحـدهم موقف المعارض والآخر الموافق، هذا من التیار المحافظ وذلک من التیار المعتدل ویفتعلون بعض الأزمات فیما بینهم بغیـهٔ خـداع العوام الـذین لم تعـد تنطلی علیهم هـذه الألاعیب، بل یلجأون أحیاناً إلی بعض الحرکات العنیفهٔ لإکمال الخطهٔ.

لم یکن لهـذه الحکومـهٔ من وجود فی التاریـخ الماضـی وذلـک لبساطـهٔ ووضوح النـاس والحکّام وربّمـا لم یکن یسع عقولهم عرض الاستبداد فی إطار الدیمقراطیهٔ.

فقد ظهرت هذه الحکومهٔ فی عصـرنا؛ عصـر النفاق وتغییر المواقف والثمرهٔ المرهٔ التی ترتدی حلهٔ الیوم بینما قعود نواتها إلی الماضـی، ولا هم لهذه الحکومهٔ سوی تأخیر عملیهٔ انقاذ الشعوب ممّا هی علیه وتحریرها من قیودها.

٣- الحكومة الاستبدادية الجماعية (دكتاتورية البرولتاريا) لم تكن هذه الحكومة بهذا المضمون في الماضى وهى وليدة عصر اتساع حياة المكننة وتقتصر على البلدان الشيوعية التى تتزعم فيها البرولتاريا (طبقة العمال)

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٦٣

دفة الحكم، وتحقق تطلعاتها فى كافة المجالات تحت راية الماركسية.

ورغم أنّ الماركسيين هم الذين اختاروا عنوان دكتاتورية البرولتاريا كشعار لحكومتهم، لكن وبغض النظر عن المفاهيم الكامنة فى هذا العنوان لابدّ من الوقوف على هذه القضية وهى:

هل طبقة البرولتاريا تحكم هذه المجتمعات أم أعضاء اللجنة المركزية للحزب والأمين العام لهذا الحزب؛ الحزب الذى يفتقر إلى الشمولية وتغيب فيه الانتخابات الحرة وليس فيه سمة من ديمقراطية، أما استبداد قادة الحكومة واللجوء إلى العنف ومصادرة حرية الآخرين، فليست بالامور الخافية على الآخرين.

ولو تأملنا التاريخ وما حفل به من حكّام مستبدين وطغاة، وحقب عانى فيها الناس من صنوف العذاب لتقدم كلّ من إستالين وخروشوف وماو قافلة أولئك الحكّام. صحيح أنّ زعماء هذه المجتمعات خطوا خطوات مؤثرة باتجاه توزيع الثروات، وصحيح أنّهم وضعوا حدّاً لعصور الأثرياء الخرافية، ولكن هل يمكن غض الطرف عن هذه الحقيقة الناصعة وهى أنّهم ينفقون المليارات من ثروات بلدانهم لترسيخ دعائم حكومتهم، ويفعلون دون وازع كلّ ما يروق لهم، ويسلبون شعوبهم حقّ ابداء الرأى والنقد والتظاهر والاحتجاج وكافة أنواع الاستجواب.

۴- الحكومة الديمقراطية (فى صورتها الحقيقية) يمكن ايجاز مفهوم هذه الحكومة التى تمثل أرقى أنواع الحكومات المعاصرة والتى يتباهى بها أغلب القادة والزعماء، فى عبارة قصيرة وهى: يبدو أنّ الشعب بجميع طبقاته يستطيع ظاهراً فى ظلّ هذه الحكومة أن يتقدم بكلّ حرية إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۴

صناديق الاقتراع ويصوت لصالح ممثليه، فيفوض مصيره ومستقبله لعدة سنوات- وفق ضوابط معينة- لهؤلاء الأفراد. ولهؤلاء الأفراد من خلال تبادل وجهات النظر والمشورة أن يسنوا بعض القوانين التى يعتقدون أنها تتكفل بحفظ مصالح الآخرين.

وقد ينتخب رئيس السلطة التنفيذية من قبل هؤلاء الممثلين أحياناً، وأحياناً اخرى ينتخب مباشرة من قبل الشعب ليكون رئيساً للوزراء أو رئيساً للجمهورية.

مثالب الحكومة الديمقراطية:

رغم الامتيازات التى تطبع هذه الحكومة، إلّاأنّ التعمق فيها والتأمل يجعلنا نقف على صورتها المرعبة والتى تناقض صورتها الظاهرية الجميلة، لما يلى:

١- الاستغلال الطبقى- الحصيله الاولى لهذه الحكومة، أى حكومة «الأكثرية» - بالنظر إلى أنّ الإقلية ليست عدداً قليلًا من الأفراد على الدوام وزهيدة بحيث يمكن اهمالها فى الحسابات الفئوية- أنها تسمح بالاستغلال الجماعى ويجيز لواحد وخمسين بالمئة من شعوب العالم فرض أفكارهم وتطلعاتهم على تسعة وأربعين بالمئة من سائر الناس؛ حيث تغيب مصالح وحقوق شريحة واسعة من الشعب بغية حفظ منافع شريحة اخرى تمثل الأكثرية وقد لا تزيد سوى بنسبة اثنين أو واحد بالمئة على الأقلية.

وهذه فى الواقع ضربة مهلكة إلى العدالة والحرية فى عالم البشرية والتى تتم فى ظلّ أرقى أشكال الحكومة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۶۵

٢- الأقلية فى صيغة الأكثرية- الأسوأ من ذلك ما فى هذه الحكومة التى تلبس فيها «الأقليات» ثوب «الأكثرية» وتفرض عليها آراءها؛

فأصحاب «الثراء» و «الاقتدار» إنّما یغسلون أدمغة الأکثریة ویمهدون الأجواء أمام تحقیق أطماعهم ومآربهم لیأتوا بحکومة لا تغطی سوی متطلبات ومصالح الأقلیة المستکثرة من خلال سیطرتهم علی وسائل الارتباطات وإعدادهم لبعض الفئات وتغذیتهم بأهدافهم ومشاریعهم وخططهم واستحواذهم علی وسائل الإعلام المرئیة والمسموعة والصحافیة.

ومن هنا فلیس هنالک ما یدعو إلی الدهشة أن نری فی البلدان التی تدار من قبل هکذا حکومة، أن تکون الحکومات «عادة» ممثلة وراعیة لمصالح البورجوازیین وکبار الرأسمالیین (رغم وجود الانتخابات الحرة ظاهراً والمشارکة العامة للناس فی التصویت). طبعاً إن استطاعت الأکثریة أن تُنحّی هذه الفئة بادئ الأمر عن السلطة ومن ثمّ تجری الانتخابات، فربّما تتمکن الأکثریة الحقیقیة من زعامة الشعب، إلّاأنّ هذا العمل یبدو محالًا ینبثق من الدور والتسلسل کما یصطلح علی ذلک فی الدین.

ولو استطعنا توجیه حکومة الأکثریة الواقعیة للأقلیة بنحو معین، فمن المسلم أنّه لیس هنالک من توجیه لحکومة الأقلیة المستغلة للأکثریة المستغلة.

۳- عدم التساوی فی ظروف المساواة- لکلّ فرد فی أیة ظروف رأی فی ظلّ هذا النظام الحکومی، أی:

هناک مساواة تامة بین العالم الفاضل والفرد الامّی الجاهل وکذلک بین السیاسی الحاذق والرصین والوطنی والفرد الساذج والخام، والإنسان

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۶

العفیف الطاهر مع السارق الجانی...

وهذا ظلم فاحش، ذلک لأن أحدهما یعدل نظیره ألف مرة فی صنع المستقبل وتقریر المصیر. صحیح إننا إن أردنا أن نمیز الأفراد نصطدم بفقدان المعیار والضابطة الواضحة، ولکن مهما کان الأمر فهذا نوع من العجز تختزنه طبیعة الحکومة الدیمقراطیة المادیة الغربیة.

۴- المتابعة بدل الزعامة- یری الحکّام ووکلاء المجلس فی هذا النظام أنفسهم ملزمین برعایة متطلبات الأکثریة (دون أی قید أو شرط)، ذلک لحاجتهم إلیهم فی الحاضر والمستقبل، وإلّا تعرضت مواقعهم للخطر. وعلیه فالزعامة فی هذا النوع من الحکومة تتخلی عن موقعها للمتابعة، فلا یقتصر الأمر علی المتابعة للفساد والظلم والانحراف والانحطاط الاجتماعی بکافة اشکاله والذی یحظی برغبة الأکثریة، بل تتشدد وتستفحل کلّ هذه الأمراض.

وعلی هذا الضوء فلا غرابة أن نسمع علی سبیل المثال بمصادقة المجلس البریطانی علی «زواج المثل» ویشرعها کقانون، ذلک لأنّ لهؤلاء الأفراد ممثل أو عدة ممثلین فی البرلمان! ولک أن تتصور علی هذا الأساس مدی بعد هذه الحکومة المثالیة المادیة عن روح المثالیة، وذلک لأنه:

أوّلًا: أنّ القوانین المادیة علی فرض أنّها مفیدة للضعفاء ومدعاة للعدالة تفتقر لأیة ضمانة للتنفیذ، ذلک لأنه لیس هنالک من معنی وأهمیة للعدالة فی الوسط الذی تتعین فیه کافة القیم علی ضوء المعاییر المادیة بالنسبة للأقویاء الذین یرونها تستلزم إغماضهم عن الکثیر من منافعهم وامکاناتهم المادیة، وعلیه فالضعفاء وحدهم هم الذین یتحدّثون فی هذه الأوساط عن

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۷

العدالة والمساواة، لا الأقویاء، أما إن کان الکلام عن القیم المعنویة فالعدالة ستکون مهمة للجمیع، ذلک أنّهم ینالون بعض المثل المعنویة والفضائل وإن تعرضت بعض مصالحهم للخطر بفعل تطبیق العدالة.

والنموذج الواضح علی ذلک، المنظمات الدولیة الواسعة التی ظهرت عقب الحرب العالمیة الثانیة، فهذه المنظمات التی تعتبر من أهم المراکز الساعیة لضمان السلام العالمی وینشط فیها ساسة العالم ومفکروه، ما زالت لحدّ الآن أُلعوبة بید الدول الکبری، أو لم تعد أکثر من صالة لعقد المؤتمرات والاجتماعات والتی یسمح فیها للبلدان الصغیرة بالتحدّث لمدة وجیزة.

ثانیاً: تفید الدراسات التاریخیهٔ والتجارب أنّ شعور الإنسان بالحاجهٔ إلی المزید لا یلبی أبداً من خلال الطریق المادی؛ أی أنّ الإنسان لم یبلغ لحدّ الآن مرحلهٔ لیقول أکتفی بهذا المقدار. فطلبات الإنسان ورغباته مفتوحهٔ، بینما تمتاز الامکانات المادیهٔ مهما ازدادت بالمحدودیهٔ، ولیس من شأن هذه الامکانات المحدودهٔ تلبیهٔ تلک المتطلبات غیر المحدودهٔ، وهذا «التضاد بین المتطلبات والامکانات» هو الذی أفرز الحرب کونها من اللوازم الدائمیهٔ للحیاهٔ المادیهٔ.

لکن إن استعادت المعنویات والإیمان باللّه والالتفات إلی القیم الإنسانیهٔ والأخلاقیهٔ والشعور بالمسؤولیهٔ إزاء ذلک المبدأ العظیم الذی یفوق المادیات وعالم المادهٔ حیویته وفعالیته، فله أن یهذب هذه الغریزهٔ ویحد من جموحها ویضعها فی مسارها الصحیح، ویجلب الأمن والسلام بدلًا من الفوضی والحرب. وبعبارهٔ اخری فإنّه یمکن اشباع غریزهٔ طلب المزید عن طریق الامور المعنویهٔ التی لا تعرف أیهٔ محدودیهٔ، آنذاک سیزول ذلک

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۸

التضاد الذی یعد العنصر الرئیسی للحرب والظلم.

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۶۹

الاستعدادات الضروریهٔ للحکومهٔ العالمیهٔ

الاستعدادات العامهٔ

اشارهٔ

لابدّ أن نذعن بأنّ بلوغ تلک المرحلهٔ التأریخیهٔ التی:

یجتمع فیها کافهٔ الناس تحت رایهٔ واحدهٔ، وتزول فیها الاسلحهٔ الفتاکهٔ، وتنعدم فیها الطبقات المستعمرهٔ (بالفتح) والمستعمرهٔ (بالکسر)، وتنتهی فیها النزاعات والألاعیب السیاسیهٔ والعسکریهٔ للدول العظمی ویتخلص العالم من اسم «العظمی» وکابوس قدرتها الجهنمیهٔ، وتتحول فیها المنافسهٔ الاقتصادیه البغیضهٔ والهدامهٔ إلی تعاون وتکاتف بشری من أجل حیاهٔ أجمل ومعیشهٔ أرغد...،

کلّ هذه الامور تبدو مبکرهٔ وتتطلب استعداداً عاماً، مهما کنا متفائلین ونشعر بالأمل.

لکن بالنظر إلی التطورات والتغیرات التی تحدث بسرعهٔ فی العصر الأخیر فلا ینبغی أن نراها بعیدهٔ أیضاً لتصبح رؤیا خیالیهٔ.

علی أیّهٔ حال هنالک أربعهٔ استعدادات ینبغی توفرها لقیام هذه الحکومهٔ.

۱- الاستعداد الفکری والثقافی

أی، ینبغی أن یبلغ المستوی الفکری للناس درجهٔ تجعلهم یدرکون بأن قضیهٔ «العرق» أو «المناطق الجغرافیهٔ المختلفهٔ» لیست بالامور الجدیرهٔ بالاهتمام فی حیاتهم، ولیس للخلافات علی أساس اللون واللغهٔ والأرض أن تفرق بین أبناء البشر، ویجب أن تموت وإلی الأبد العصبیات القبلیهٔ والفئویهٔ، ولابدّ من طرح الفکرهٔ المقیتهٔ القائلهٔ بالجنس الأفضل، ولیس لهذه الحدود المصطنعهٔ والأسلاک الشائکهٔ والجدران الأثریهٔ کجدار الصین أن تبعد الناس بعضهم عن البعض الآخر،

بل ینبغی النظر إلیها کضیاء الشمس والنسیم المنعش وسحب السماء وسائر النعم التی لا تعرف من معنی لهذه الحدود والأعراق وتغذی الجمیع، وأن یعتبروا العالم بأسره دولهٔ صغیرهٔ.

ولو أمعنا النظر لرأینا أنّ هذا التفکیر قد تبلور وتکامل لدی مفکری العالم ومثقفیه، بل أبعد من ذلک فقد جری الحدیث عن اللغهٔ العالمیهٔ الواحدهٔ، وقد اقترح لذلک لغهٔ معینهٔ توحد الجمیع وقد طبعت عدهٔ کتب بهذه اللغهٔ.

۲- الاستعداد الاجتماعی

لابـدّ أن يمتعظ الناس من الظلم والجور والأنظمـة السائـدة، ويشـعروا بمرارة هـذه الحياة الماديـة، واليأس التام من أنّ مثل هـذه الحياة الاحادية النزعة يمكنها فی المستقبل حل المشاكل القائمة.

ينبغی أن يدرك العالم أنّ البشارة فی القرن ۱۸ و ۱۹ م بشأن المستقبل

الحكومة العالمية للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۳

الزاهر للحضارة البشرية فی ظلّ التطور الآلی، لم تكن فی الواقع سوی حلم أو سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء.

فقد اتسعت رقعة الارباكات الماديه وعدم الأمن والاستقرار، إلی جانب غياب حالة الرفاه والرخاء.

وليس فقـط لم تزُل القوانين التی تبـدو رصـينة والظلم والاسـتعمار والاسـتغلال والتفاوت الطبقی الفاحش فحسب، بل اسـتفحل الفساد السابق ليتخذ أشكالًا وانماطاً مرعبة.

إنّ الوقوف علی عمق خطورة الوضع الموجود إنمـا تسـتلزم بـادئ الأـمر حالـة التفكير، ثمّ الترديـد، وبالتـالی اليأس من الوضع العالمی القائم والاستعداد للنهضة الشاملة علی كافة الأصعدة وعلی ضوء القيم الجديدة.

فليس هنالك من سبيل لبلوغ تلك المرحلة دون هذا الأمر.

۳- الاستعدادات التقنية

خلافاً لما يراه البعض من أن بلوغ مرحلـة التكامل الاجتماعی وعالم مفعم بالأمن والعـدل والسـلام يقترن ضـرورة بالقضاء علی التقنية المعاصرة، بل الواقع أنّ هذه التكنولوجيا المتطورة ليس فقط لا تحول دون قيام حكومة العدل العالمية فحسب، بل ربّما يستحيل بدونها تحقيق تلك الحكومـة. فلابـدّ من وجود سلسـلة من الأمكانات والوسائل الغاية فی التطور بغية إيجاد مثل ذلك النظام العالمی ومن ثمّ السيطرة عليه، والتمكن من الطوف فی أرجائه خلال فترة زمنية قياسية وايصال المعلومات إلی مختلف مناطقه البعيدة.

الحكومة العالمية للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۴

فلو عادت الحياة الصناعية لوضعها القديم لتطلب ايصال رسالة من منطقة معينة فی هذا العالم إلی اخری مدّة سنة، فكيف يمكن إرساء قواعـد الحكومـة العالميـة وبسط العـدل والقسط فی كافة أرجائها؟ أم كيف يمكن تحقيق هذا الهدف أن تطلب القضاء علی حفنة من الاشـرار- الـذين يفترض وجودهم حتّی فی مثل هـذه الحكومـة- مـدة زمانية طويلة لكی تقف الحكومة علی أوضاعهم والمبادرة إلی القضاء عليهم؟

وزبـدة الكلام فإنّ مثل هـذه الحكومـة وبغية اشاعة الأمن وبسط العدل فی ربوع العالم تحتاج إلی العلم بكافة المناطق والسـيطرة التامة لتتمكن من تربيـة المجتمع المتـأهب للاصـلاح، إلی جـانب الإبقـاء علی وعيه وحيويته، والتجهز لكـلّ فرد يحاول المساس بنظام تلك الحكومة. ولعلّ من يفكر عكس ذلك كأنه لا يفكر فی مفهوم الحكومة العالمية ويقارنها بالحكومات المتداولة المحدودة.

ويبدو أنّ العالم الذی يريد أن يبلغ هذه المرحلة ينبغی أن تتسع فيها رقعة وسائل التربية والتعليم وتتصف بالشـمولية بحيث تستند أغلب مشاريعها إلی التثقيف الـذاتی، وهـذا بـدوره يتطلب مراكز ثقافيـة فاعلـة ووسائل ارتباط عامة وصـحافة وكتب ضـخمة والتی لا تتيسـر جميعاً دون وفرة الآلات الصناعية المتطورة.

أجل، يمكن قيام مثل هـذا النظام دون الوسائل الصـناعية المتطورة إن كانت هناك معجزة فی هذه العملية، ولكن هل تتم إدارة شؤون المجتمع البشری علی ضوء المعجزة؟

إنّ المعجزة عبارة عن استثناء منطقی فی النظام الجاری للطبيعة بغية

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۵
إثبات حقانیة دین سماوی، ولیست لإدارة امور الامّة، وعلیه فلابدّ أن تتم هذه الادارة وفق القوانین الطبیعیة.
سنتحدث فی المباحث القادمة أیضاً عن هذا الأمر.
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۷

الانتظار

مفهوم الانتظار:

یطلق «الانتظار» أو «التطلع إلی المستقبل» علی الإنسان الـذی یسأم الوضع القائم ویسعی إلی وضع أفضل. علی سبیل المثال، المریض الذی ینتظر الشفاء أو الأب الذی ینتظر قدوم ولده من السفر، إنّما یأنان من المرض والفراق، ویسعیان إلی نیل وضع أحسن.
وکما أنّ التاجر الذی یعیش الامتعاظ من السوق المتقلبة ویترقب جلاء الأزمة الاقتصادیة، ینطوی علی هاتین الحالتین:
«عدم التکیف مع الوضع القائم» و «السعی لوضع أحسن».
وعلیه فإنّ مسألة انتظار حکومة الحقّ والعدل وقیام المصلح العالمی «المهدی» تترکب فی الواقع من عنصرین؛ عنصر «النفی» وعنصر «الاثبات». وعنصر النفی هو عدم التکیف مع الوضع الموجود، وعنصر الاثبات هو السعی إلی الوضع الأفضل.

الانتظار فی عمق الفطرة الإنسانیة:

خلافاً لاعتقاد البعض بأنّ المحور الرئیسی لانتظار ظهور المصلح
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۸
المطلق یکمن فی الاحباطات والارباکات علی مستوی الأفکار، فإن عشق هـذا الأمر إنّما یرتبط بأعماق الإنسان؛ بصورة مرکزة أحیاناً وخفیفة أحیاناً اخری، بعبارة اخری أنّ الإنسان یتعامل بطریقین- العقل والعاطفة- مع هذه المسألة، ویسمع نغمة هذا الظهور عن طریق لسانین هما «العقل والفطرة».
وبعبارة أوضح فإنّ الإیمان بظهور المصلح العالمی جانب من «عشق المعرفة» و «عشق الجمال» و «عشق الخیر والفضیلة» (ثلاثة أبعاد من أبعاد الروح الإنسانیة الأربعة)، حیث تؤول صنوف العشق هذه إلی الذبول والموت دون ذلک الظهور.
ولعلّ هذا الکلام یحتاج إلی توضیح أکثر، ذلک إننا نعلم أنّ «عشق التکامل» شعلة خالدة تضییء أنحاء وجود الإنسان، فهو یرید العلم بالمزید، ویری المزید من الجمال، وینفتح علی الکثیر من الفضائل، والخلاصة، یسعی لتوفیر کلّ ما یقوده إلی الرقی والازدهار.
لا- یمکن ربط ظهور هـذه الـدوافع بالعوامل الاجتماعیة والنفسیة. ورغم أنّ لهـذه العوامل دوراً مهماً فی إضعافها أو إثارتها، غیر أنّ وجودها هو جزء من الأبعاد الأصلیة لروح الإنسان وترکیبته النفسیة، بدلیل عدم افتقار أیة أمّة لمثل هذه الدوافع. وزبدة القول فإن حبّ الإنسان للرقی والتکامل وانفتاحه علی العلم والمعرفة والجمال والخیر والفضیلة والعدل تمثل رغبة أصیلة ودائمیة خالدة، وانتظاره لظهور مصلح عالمی مطلق هو ذروة هذه الرغبة والحبّ. «ینبغی التأمل فی هذا الموضوع!».
کیف لا یکون للإنسان مثل هذا الانتظار وشعلة حبّ التکامل تتوقد فی جمیع أحشائه! وهل یتکامل المجتمع البشری دون ذلک!
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۷۹
وبناءً علی هـذا فإنّ هـذا الشعور یساور باطن کلّ من لم یعِش حالة الاحباط والانکسار فی حیاته ... هذا من جانب. ومن جانب آخر، کما تساعد الإنسان أعضاؤه فی السمو والتکامل، ولا یسعنا أن نظفر بعضو یغیب دوره بصورة مطلقة فی هـذه الحرکة التکاملیة، فإن

خصـائص الإنسان النفسـية كـذلك؛ أى لكلّ منها دور مهم فى تقـدّم مشاريعه الأصـيلة. مثلًا «الخوف من العوامل الخطيرة» الكامن فى وجود كلّ إنسان درع يحفظه من تلك المخاطر.

و «الغضب» الذى يستشـعره الإنسان حين يرى خطراً يهدد مصالحه، وسيله لمضاعفة القدره الدفاعية وتعبئة كافة طاقاته البدنية والروحية بغيـة إنقـاذ مصـالحه من الخطر. وعليه فإن حبّ التكامل وحبّ السـلام والعـدل وسـيلة لبلوغ هـذا الهـدف العظيم، وبمثابـة ماكنـة قوية تحرك عجلات وجود الإنسان فى هذا الطريق، وتساعده فى الوصول إلى عالم مليئ بالعدل والسلام.

من جـانب آخر فـإنّه لاـ يمكن للأحاسـيس والأـجهزة فى جسم الإنسان وروحه أن لا تنسـجم مع عالم الوجود؛ لأن عالم الوجود برمته وحدة واحدة متصلة، ولا يمكن لوجودنا أن ينفصل عن سائر العالم. ويمكننا أن نستنتج من هذا الاتصال أنّ كلّ حبّ وعشق أصيل فى جودنا دليل على وجود «معشوقه» و «هدفه» فى عالم الوجود، وهذا العشق وسـيلة تقربنا منه. أى إن عطشنا ورغبنا بالماء فإن ذلك دليلٌ على وجود «الماء»، وقد أودع عالم الخليقة العطش فى وجودنا.

وإن ملنا للجنس الآخر فإنّ ذلك دليلٌ على وجود هذا الجنس فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۰

الخارج، كما أنّ عشقنا للجمال والمعرفة دليل على وجود العشق والجمال فى عالم الوجود.

ونخلص من هـذا أنّ انتظار الناس للمصـلح العالمى الذى يملأ العالم بالعدل والسـلام، دليل على امكانية وعملية ذروة هذا التكامل فى المجتمع البشـرى، فعشـقه وانتظاره فى أعماق أرواحنا وأنفسـنا. وعموميـة هذا الاعتقاد فى كافة المذاهب والمدارس علامة اخرى على أصالته وواقعيته؛ لأن الشـىء إن كان وليد الشـرائط المعينة والمحدودة، لا يمكنه أن يحظى بهذه الشـمولية، فليست هنالك من شمولية سوى للقضايـا الفطريـة؛ وكـلّ هـذه الاـمور دليل على أنّ هـذه النغمات تعزف فى روح الإنسان عن طريق لسان عاطفته وفطرته فى أنّ الأمر سيؤول إلى إرساء العدل والسلام فى حكومة العدل العالمية من جانب المصلح العالمى.

فلسفة الانتظار:

لعلّ هذا السؤال يطرح نفسه:

ما النتيجة المتوخاة اليوم من الحديث عن مستقبل العالم البشرى؟

لدينا اليوم آلاف المشاكل والأزمات وينبغى لنا التفكير فى معالجتها والتغلب عليها، فما علاقتنا بالمستقبل؟

إنّ الغد سـيأتى خيراً كان أم شراً، ومن سيبقى يشهد ذلك، ومن يموت فاللّه يرحمه! على كلّ حال هذه قضية بعيدة وليس لها من آثار ايجابية على حياتنا الراهنة!

نرى أنّ هذه كلمات من ينظر بسذاجة وسطحية للأحداث، ويتصور

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۱

انفصال اليوم عن الأمس والغد؛ ويعتقد بأن العالم يتركب من وحدات متباعدة ومتناثرة ومتفرقة.

ولكن بالنظر إلى أنّ جـذور «أحداث اليوم» تمتد إلى الأمس، وأنّ علينا أن نصـنع الغد من اليوم، وأنّ للالتفات إلى مسـتقبل «مظلم» أو «مشـرق» انعكـاس آنى على حياتنا المعاصـرة ومواقفنا إزاء الحوادث، فإنّه تتضـح ضـرورة دراسـتنا للماضـى والمسـتقبل من أجل اليوم والوقت الحاضر، وسنرى عمّا قريب فاعلية هذا الانتظار العظيم.

إلّا أنّ العجيب فى الأـمر هو أنّ بعض الكتـاب لم يتنكروا للجـانب الايجابى لهـذه القضـية فحسب، بل صـرّحوا بأنّ لمثل هـذا الانتظار جوانبه السـلبية فى شـلّ القـدرات الاجتماعيـة والقضاء عليها! والأعجب من ذلك ما يراه البعض الآخر من أنّ الإيمان بمسـتقبل مشـرق انعكاساً للحرمان الذى تعيشه الطبقة المسحوقة والذى يتخذ عادة صبغة دينية.

ولكن لا يمكن انكار هـذه الحقيقـة فى أنّ هنالك بعض ضـيقى الافق الـذين يسـعون لاسـتغلال قضـية الانتظار، وقـد تخلوا عن جميع مسؤوليـاتهم بذريعـة الانتظار، والاكتفاء بها على نطاق اللسان! وأرى من الضـرورى- لإزالـة إساءة الفهم من الجانبين- أن أُطلع الاخوة القرّاء على الرسالة التى كتبتها سابقاً بشأن هذا الموضوع:

الأحكام غير المدروسة:

رغم ما يعتقـده بعض المستشـرقين بأنّ الإيمان بالمصـلح العالمى «رد فعل» لوضع المسـلمين المأساوى طيلة الحقب التاريخية المظلمة؛ ورغم

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٨٢

تـأثر بعض الباحثين الشـرقيين والمسـلمين بأفكار الغرب وإثارتهم لهـذه القضـية؛ حتّى أنّهم يصـرون على أنّ الإيمان بالمهـدى عقيـدة مسـتوردة من عقائـد اليهود والنصـارى، وعلى الرغم من سـعى جماعـة من علمـاء الاجتمـاع من المدرسـة الماديـة لبلورة قضـية انتظار المهـدى كـدليل على أفكارهم، فى أنّ جذور هذه العقيدة اقتصادية تهدف تخدير أفكار الطبقة الكادحة والمحرومة، رغم كلّ ذلك، لابـدّ من الالتفـات إلى أنّ لهـذه العقيـدة جـذوراً فطريـة راسـخة تمتـد إلى أعمـاق عواطف الإنسـان إلى جانب تجـذرها فى المصادر الإسلامية المهمة.

ولعلّ الدراسات المقتضبة لهؤلاء الباحثين من جانب، والرغبة بالتوجيه المادى لكلّ فكر وعقيدة دينية من جانب آخر، هى التى أفرزت مثل هذه الأفكار.

والغريب فى الأمر أنّ بعض الباحثين الغربيين مثل «مارغلى يوت» قد أنكر الأحاديث الإسلامية الواردة فى المهدى وقال:

«كيفما فسـروا هذه الأحاديث فليس هنالك من دليل مقنع فى أنّ نبى الإسـلام صـلى الله عليه و آله قال بضـرورة وحتمية ظهور مهدى لاحياء الإسـلام وتحقيق كماله؛ إلّاأنّ نيران الحروب الأهلية بين أبناء الجيل الواحد بعد وفاة النبى صلى الله عليه و آله واضطراب العالم الإسلامى إثر الاختلاف، أدّى إلى اقتباس فكرة ظهور المنقذ من اليهود أو النصارى الذين ينتظرون عودة المسيح وظهوره».

ولاـ أدرى مـا هى الكتب التى رآهـا «مـارغلى يوت» من المصـادر الإسـلامية بهـذا الخصوص، وكيف لم يعثر فى تفاسيرها على دليل يقنعه،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٨٣

والحال وردت عـدّة أحاديث صـريحة فى مصادر الفريقين بشأن الظهور حتّى بلغت حـدّ التواتر. أم كيف لا يكون لكلّ علماء الإسـلام والمحققين دون استثناء (سوى النادر منهم كابن خلدون الذى أعرب عن ترديده فى أحاديث المهدى فى مقدمته التاريخية) من نقاش فى صـدور هـذه الأحـاديث عن النبى صـلى الله عليه و آله واقتصـرت كلمـاتهم على القضايا الفرعيـة والجزئيـة، بينما لم يقتنع «مارغلى يوت»؟

ينبغى أن يجيب بنفسه عن هذا السؤال.

ويقول البعض الآخر:

«إننا ننظر إلى نتائج هذا الانتظار، ولا يعنينا العمل به ودوافعه، والتى تؤدى إلى احتمال المعاناة والصبر إزاء الارباكات والاستسـلام إلى الظلم والجور والتهرب من المسؤوليـة. إننـا ننظر إلى هـذا فى أنّ هـذا الانتظـار يقـذف بالطبقـات المحرومـة فى عـالم الخيال ويجعلهم يغفلون عمّا يـدور من حولهم، ويـدعوهم إلى الكسل والهروب من الالتزامات الاجتماعية. وبعبارة اخرى، فهو من الناحية الفردية عامل للركود والسكون، ومن الناحية الاجتماعية فهو وسيلة لإخماد حركات الشعوب ضد الاستعمار، وكيف كان فاثاره السلبية واضحة».

إلّا أننا نعتقـد أنّ الباحث الواعى الـذى لا يريـد اصـدار الأحكام جزافاً، بل يرى نفسه موظفاً بالتعرف على «الـدوافع والنتائـج» عن قرب

وعـدم الاکتفـاء بالأحکـام التی تصـدر بصورهٔ اعتباطیـهٔ. والآـن دعونـا نتناول بحیاد دوافع الانتظار ونتائجه، لنری هل کان عامل ظهوره الاحباطات أم سلسلهٔ من الواقعیات الفطریهٔ والعقلائیهٔ، وهل نتائجه بناءهٔ وایجابیهٔ أم هدامهٔ وسلبیهٔ؟

آثار الانتظار البناءهٔ:

هل الإیمان بمثل هذا الظهور یجعل الإنسان غافلًا عن أوضاعه القائمهٔ ومستسلماً لکافهٔ الظروف والشرائط؟

أم أنّ هذه العقیدهٔ تستبطن الدعوهٔ إلی القیام وبناء الفرد والمجتمع؟

هل تدعو إلی الحرکهٔ أم السکون؟

هل تؤدی إلی تحمل المسؤولیهٔ أم الهروب منها؟

بالتالی هی أفیون أم منبه؟

یبدو من الضـروری الالتفات إلی نقطهٔ مهمهٔ قبل الاجابهٔ عن هذه الأسـئلهٔ وهی أنّ أعظم المقررات وأسـمی المفاهیم إن وقعت بأیدی أفراد لیسوا بأکفـاء أو انتهازیین فلربما یمسـخونها إلی درجـهٔ بحیث تعطی نتائـج مخالفـهٔ لأهـدافها الأصـلیهٔ وتتحرک خلاف مسـیرتها المرسومهٔ، وهنالک الکثیر من هذه النماذج، ومسألهٔ الانتظار کما سنری واحدهٔ من هذه النماذج.

علی کـلّ حـال، وبغیـهٔ التحرز من الخطأ فی الحسابـات فی مثل هـذه المباحث لابـدّ من انتهال الماء من عینه الصافیـهٔ بعیـداً عن المیاه الملوثـهٔ التی ربّما تفسده. ومن هنا فإننا نتجه فی بحث الانتظار صوب المتون الإسـلامیهٔ الأصـیلهٔ، ونسـلط الضوء علی مختلف الروایات الواردهٔ بشأن مسألهٔ «الانتظار» لنقف علی طبیعهٔ الهدف الرئیسی.

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۵

نسلط الضوء هنا علی هذه الروایات:

سئل الإمام الصادق علیه السلام عمن یقول بولایهٔ الأئمّهٔ وینتظر حکومتهم الحقّ ویموت علی ذلک؟ قال الإمام علیه السلام:

«هو بمنزلهٔ من کان مع القائم فی فسطاطه- ثمّ سکت هنیئهٔ- ثمّ قال: هو کمن کان مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله».

وقد ورد هذا المضمون فی عدهٔ روایات بعبارات مختلفهٔ:

ففی بعضها «بمنزلهٔ الضارب بسیفه فی سبیل اللَّه». وفی البعض الآخر «کمن قارع مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله بسیفه».

وفی روایهٔ «بمنزلهٔ من کان قاعداً تحت لواء القائم».

وفی روایهٔ اخری «بمنزلهٔ المجاهد بین یدی رسول اللَّه».

وفی روایهٔ «بمنزلهٔ من استشهد مع رسول اللَّه صلی الله علیه و آله».

فالتشبیهات الواردهٔ فی هذه الروایات بشأن انتظار ظهور المهدی علیه السـلام عمیقهٔ المعنی وتکشف عن هذه الحقیقهٔ وهی أنّ هنالک نوعاً من الارتباط والتشابه بین مسألهٔ «الانتظار» و «الجهاد» ومواجهةٔ الأعداء. «لابدّ من تأمل هذا الموضوع».

کما صرّحت بعض الروایات بأن مثل هذا الانتظار یعد أعظم عبادهٔ.

حیث ورد مثل هذا المضمون فی أحادیث النبی صلی الله علیه و آله وروایات الإمام علی علیه السلام. فقد قال صلی الله علیه و آله:

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۸۶

«أفضل أعمال امّتی انتظار الفرج من اللَّه عزّوجلّ».

کما ورد عنه صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«أفضل العبادهٔ انتظار الفرج».

ویکشف هذا الحدیث عن أهمیهٔ الانتظار، سواء الفرج بمعناه الواسع والشامل، أو مفهومه الخاصّ، أی انتظار ظهور المصلح العالمی.

وتشير كلّ هذه العبارات إلى أنّ انتظار تلك النهضة إنّما اقترن على الدوام بجهاد واسع ومقاومة تامة.

ولو استند الاعتقاد وانتظار حكومة العدل للمهدى إلى قاعدة رصينة لافرز نوعين من الأعمال العظيمة (لأن الاعتقاد السطحى قد لا يتجاوز أثره اللسان، بينما الاعتقاد العملى يقتضى دائماً الآثار العملية). والنوعان هما:

الامتناع عن كافة أشكال التعاون والركون إلى عوامل الظلم والفساد إلى درجة مقاومتها من جانب، ومن جانب آخر تزكية النفس وتوظيف الاستعدادات الجسمية والروحية والمادية والمعنوية بغية تبلور تلك الحكومة العالمية.

ولو تأملنا ذلك لرأينا كلا العملين بناءً ومدعاة للحركة والمعرفة والوعى واليقظة.

وهكذا يفهم معنى الروايات الواردة فى فضل المنتظرين من خلال الالتفات إلى مفهوم الانتظار الواقعى.

كما نفهم بعض الروايات التى صورت المنتظر الحقيقى وكأنّه فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٨٧

فسطاط المهدى أو تحت لوائه أو كمن جاهد بين يدى رسول اللّه صلى الله عليه و آله بسيفه.

أوليست هذه المراحل المختلفة والدرجات المتفاوتة فى الجهاد من أجل تحقيق العدل والحقّ إنّما تتناسب مع استعدادات الأفراد ودرجات انتظارهم؟ أى كما يتفاوت مقدار تضحية المجاهدين فى سبيل اللّه ودورهم، فإنّ انتظارهم واستعدادهم هو الآخر مختلف وعلى درجات.

طبعاً كلاهما جهاد ويحتاج إلى استعداد وتزكية. فالفرد الذى يكون فى فسطاط زعيم تلك الحكومة والذى يمثل مركز القيادة والإمرة العسكرية لجميع العالم، لا يمكن أن يكون شخصاً غافلًا وجاهلًا، فليس كلّ فرد يلج ذلك الفساط، سوى من استعد له. كما ينبغى أن ينطوى من حمل السلاح وقاتل إلى جانب ذلك الزعيم كلّ من يقف بوجه حكومة العدل والسلام، على استعداد روحى غزير وتأهب فكرى وعسكرى كبير.

الانتظار يعنى التأهب التام:

اشارة

إن كنت ظالماً فكيف يسعنى انتظار من يضع سيفه فى أعناق الظلمة؟

وإن كنت ملوثاً وفاسداً فكيف انتظر نهضة أوّل شرارتها تطيح بالملوثين المردة!

والجيش الذى ينتظر الجهاد الأكبر إنما يرفع القدرة القتالية لأفراده وينفخ فيهم روح الثورة ويصلح فيهم كلّ ضعف.

وكيفية الانتظار تتناسب دائماً مع الهدف الذى يقف وراءه:

فانتظار قدوم مسافر عادى.

وانتظار عودة صديق عزيز.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٨٨

وانتظار حلول فصل جنى الثمار من الأشجار.

وانتظار حلول فصل افتتاح المدارس.

فكلّ نوع من هذه الانتظارات ممزوج بنوع من الاستعداد. فلابدّ من اعداد الدار فى أحدها وتوفير وسائل الضيافة، بينما يستلزم الآخر اعداد المنجل والحاصودة، كما يلزم الأخير القلم والكتاب والقرطاس وثياب المدرسة وما شاكل ذلك. ولكم أن تتصوروا الآن ذلك الذى ينتظر قيام المصلح العالمى، فهو ينتظر فى الواقع نهضة وثورة تعد أوسع وأعظم جميع النهضات البشرية طيلة التاريخ. النهضة التى

تختلف عمّـا سبقها من النهضـات الاصـلاحية، فهى لاـ تنطوى على أيـة صـبغة إقليميـة، كمـا لاـ تختص بـأى جانب من جوانب الحياة المختلفة؛ بل اضافة إلى كونها عامة، فهى تشمل كافة جوانب حياة البشرية؛ فهى نهضة سياسية وثقافية واقتصادية وأخلاقية.

طبعاً لسـنا بصـدد الـدليل على تحقق هـذه النهضـة، ونوكل ذلك إلى بحث آخر، ذلك لأن هـدفنا فى هذا البحث الاقتصار على نتائج وآثار هـذه العقيـدة وذلك الانتظار، وهل ينطوى هـذا الانتظار على فكرة التخـدير كما يزعم أصـحاب المدارس المادية، أم أنّه انتظار بنـاء واصـلاحى يـدعو إلى الانطلاـق والحركـة. ذكرنا سابقاً أنّ «الانتظار» يتألف من عنصـرين؛ «نفى» و «إثبات»، الامتعاظ من الوضـع الموجود والرغبة فى وضع أفضل. ونضيف هنا أنّ لكلّ نهضة وحركة محورية بُعدين بُعداً سلبياً وبُعداً ايجابياً.

فالبعـد الأوّل لهـذه النهضـة يتمثـل فى القضـاء على عوامـل الفسـاد والانحطـاط وتطهير المجتمع من دنس العصاة. وما أن تنتهى هـذه المرحلة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۸۹

حتّى يأتى دور البعـد الايجابى، أى اشاعة عوامل الاصـلاح. كما أشـرنا سابقاً إلى تركب مفهومى «الانتظار» و «النهضة العالمية» أى أنّ الآثار التالية إنما تتجلى فى المنتظرين الواقعيين (لا مجرد ادعاء الانتظار كذباً):

۱- التزكية الفردية

إن حكومة المهدى العالمية تتطلب قبل كلّ شـىء العناصـر الإنسانية على صـعيد القيم والمثل لتتمكن من النهوض باعباء الاصـلاحات الكبيرة فى العالم؛ وهذا ما يقتضـى بادئ الأمر الارتقاء بالمسـتوى الفكرى والمعرفى والاستعداد الروحى والفكرى بغية التعاضد لتطبيق ذلك المشـروع العظيم؛ فقصر النظر وضيق الافق والضحالة الفكرية والحسد والفرقة وبالتالى كافة أشكال النفاق والتشتت لا تنسجم مع مكانة المنتظر الحقيقى.

ولعلّ القضـية المهمّة تكمن هنا فى أنّ المنتظر الواقعى لذلك المشـروع العملاق لا يمكنه أن يتخذ موقفاً متفرجاً، فهو جندى باسل فى جبهة الإصلاح.

فالإيمان بنتائـج النهضة ومصيرها لا تسـمح له بأن يكون فى الجبهة المقابلة، كما أنّ التحاقه بجبهة الإصـلاح يتطلب منه قدراً كافياً من الأعمال الصالحة والانطواء على الشجاعة واليقظة التامة.

فكيف لى إن كنت ظالمـاً متمرداً أن انتظر نهضـة تسـتهدفنى! وإن كنت فاسـداً ومنحرفـاً فأ نّى لى بانتظار قيام نظام لا مكان فيه للافراد الفاسـدين والمنحرفين! أولا يكفى هـذا الانتظار فى تنقيـة روحى وتهـذيب فكرى من الزلل والـدنس! والجندى الذى يتطلع إلى جهاد التحرير إنّما يعيش قطعاً

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۰

حالة التأهب القصوى، والسـلام الذى ينبغى له حمله فى هذه المعركة إنّما يهدف إلى إصـلاح الأسـلحة السائدة؛ ويقوم ببناء المواضـع المحكمـة، كمـا يرفع معنويـات رفاقه ويفجر فى نفوسـهم عشق المواجهـة، وإلّا فلا يسـعه الانتظار، وإن زعم ذلك فهو كاذب، فانتظار المصلح العالمى يعنى التأهب الفكرى والأخلاقى والمادى والمعنوى التام من أجل إصلاح العالم بأجمعه.

ولك أن تقف على أهميّة مثل هذا التأهب! فإصلاح كلّ ما على الأرض ووضع حدّ للظلم ليس بالعمل الهين! والاستعداد لهذا الهدف العظيم ينبغى أن يتناسب معه، أى لابدّ أن يناسبه سعة وعمقاً.

وعليه فإنّ تحقيق مثل هذه النهضة يتطلب رجالًا أشداء من ذوى القوة والطهر وسـعة الافق وبعد النظر والاسـتعداد التام، كما أنّ التزكية اللازمة لتحقق هذا الهدف تسـتلزم توظيف وتفعيل البرامج الأخلاقية والفكرية والاجتماعية، وهذا هو معنى الانتظار الواقعى؛ فهل يسع فرد أن يزعم بأنّ هذا الانتظار ليس بناءً؟!

۲– التكافل الاجتماعى

إلى جانب الإصلاح الذاتى فإنّ وظيفة المنتظر الحقيقى تحتم عليه إصلاح الآخرين؛ ذلك لأنّ المشروع العظيم والثقيل الذى ينتظره ليس بمشروع فردى، بل مشروع يختزن كافة عناصر التغيير، وعليه ينبغى أن تتم الانشطة والفعاليات فيه بصيغة جماعية، ولابدّ أن تتظافر جميع الجهود والمساعى، وأن يتناسب عمقها وشموليتها مع عظمة مشروع النهضة العالمية المنتظرة. ليس لأىفرد أن يتجاهل الآخرين فى ميدان المواجهة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۱

الشاملة، وعليه أن يسعى لمعالجة نقاط الضعف إينما وجدت، وتقوية مواطن الضعف، ذلك لعدم إمكانية تطبيق ذلك المشروع دون المساهمة الفاعلة للجميع.

وعليه فإن المنتظر الحقيقى يشعر بتكليفه فى السعى إلى إصلاح الآخرين فضلًا عن اصلاح نفسه.

وهذا هو الأثر البناء الآخر من آثار انتظار قيام المصلح العالمى. وهذه هى فلسفة كلّ تلك الفضائل والامتيازات الواردة بشأن المنتظرين.

۳– عدم الانصهار فى بوتقة الفساد

إن عمّ الفساد فإنّه يشمل أكثرية الناس، وهنا يشعر الطاهرون من الأفراد بأنّهم بلغوا موضعاً مغلقاً، وهو الموضع الذى يفرزه اليأس من الاصلاح.

وربّما يعتقد البعض بأن الفرصة قد مضت ولم يعد هنالك من أمل فى الاصلاح، ومن العبث بذل الجهد فى هذا المجال؛ ومن شأن هذا اليأس والاحباط أن يدفع بهؤلاء الأفراد تدريجياً إلى الفساد والانسجام مع الوسط الملوث، بحيث لا يسعه الابقاء على صلاحه تجاه الأكثرية الفاسدة، وبالتالى فإنّ عدم الانسجام والجماعة يوجب فضيحته.

وبالطبع فإن العنصر الوحيد الذى يبعث فيهم روح الأمل ويدعوهم إلى المواجهة وضبط النفس ويحول دون انصهارهم فى بوتقة الفساد يتمثل بالأمل فى الإصلاح النهائى؛ وهنا طبعاً يشعرون بضرورة السعى لحفظ صلاحهم وصلاح الآخرين. ولعلّ هذا هو السرّ فى عدّ اليأس من رحمة اللّه من الذنوب الكبيرة ومن أخبث الكبائر، حيث لا يرى الفرد الذى يشعر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۲

باليأس من ضرورة لأن يتدارك ما فرط منه أو على الأقل الكفّ عن مواصلة معاصيه، ومنطقه فى ذلك «لقد أوغلت فى المعصية وفاتنى الندم والتوبة ولم تعد أمامى سوى نار جهنم، فهل هناك شيء أخشاه كى أصد عن هذا الطريق».

أمّا إن فتحت له نافذة الأمل، فيشعر بتحول فى حياته يدعوه إلى الأمل بعفو اللّه ورحمته والأمل بتغيير الوضع القائم؛ الأمر الذى يعدوه إلى الكفّ عن المعصية والعودة إلى الذات والطريق القويم.

ومن هنا يعد الأمل من العناصر التربوية المهمة فى معالجة أوضاع الفرد الفاسد؛ كما لا يسع الفرد الصالح حفظ نفسه فى الوسط الفاسد دون الشعور بهذا الأمل.

والنتيجة هى أنّ انتظار ظهور المصلح مدعاة لمضاعفة الأمل بظهوره مها اتسعت رقعة الفساد، والذى يلعب دوراً مهماً فى بلورة العقيدة والاندفاع إلى العمل، إلى جانب تحصين المنتظر من أمواج الفساد.

وهنا يشعرون بقرب بلوغ الهدف فيزداد سعيهم ويتواصل عزمهم فى الوقوف بوجه الفساد والانحراف.

ونستنتج من الأبحاث السابقة أنّ الانتظار الممسوخ والمشوه هو الذى ينطوى على عنصر التخدير– حيث حرفه بعض المخالفين، بينما

مسخه بعض الموافقين- أما إن طبق فى المجتمع بصورته الحقيقية الناصعة فهو عامل مهم على مستوى الأمل والحركة والتربية والتزكية.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۳

ولعلّ من بين الأدلة الواضحة التى تؤيد هذا الموضوع ما روى عن المعصوم عليه السلام بشأن الآية الشريفة: «وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الْأَرْضِ » «... ۱»

أنّه قال: «هو القائم وأصحابه».

وجاء فى رواية اخرى: «نزلت فى المهدى» والحال قد وصف المهدى وأصحابه فى هذه الآية بهذا الوصف «الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات».

وعليه يتعذر تحقق هذه النهضة العالمية دون إيمان راسخ يطرد كلّ ضعف وعجز وهوان، ودون عمل صالح يمهد السبيل من أجل إصلاح العالم، وينبغى لمن ينتظر أن يسعى لأن يرفع من مستوى معرفته وإيمانه وينشط فى إصلاح نفسه وأعماله. وهؤلاء فقط من يسعهم التبشير بتلك الحياة فى ظلّ حكومته، لا الظلمة والفجرة، ولا أُولئك البعيدون عن الإيمان والعمل الصالح، ولا الأفراد الجبناء الذين جعلهم ضعف إيمانهم يخشون خيالهم.

ولا الضعفاء والكسالى والعاطلون الذين قبعوا هنا وهناك يتفرجون على الوسط الفاسد دون أن ينبسوا ببنت شفة، ولم يكلفوا أنفسهم عناء أية حركة ومقاومة.

أجل هذا هو معنى الانتظار الحقيقى!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۵

المصلح العالمى العظيم فى المصادر الإسلامية

صفات الزعيم العالمى

سلطنا الضوء فى الأبحاث السابقة على ظهور النهضة العالمية الكبرى التى تهدف إلى اجتثاث جذور الظلم والفساد من خلال رؤية شاملة، وتوصلنا إلى إمكانية التكهن بتحقق مثل هذه النهضة على ضوء منطق العقل وما ترشد إليه الفطرة.

لكن ينبغى الالتفات إلى أنّ الأدلّة العقلية تقتصر على عرض المشروع الكلى بهذا الخصوص، ويتعذر عليها تعيين تفاصيل هذا المشروع ومن سيكون زعيم هذه النهضة.

والذى نعلمه: إنّ زعامة هذه النهضة- التى تعد أعظم حدث فى تاريخ البشرية وأشمل نهضة عالمية- لشخص يتمتع بالخصائص التالية:

-

۱- العلم التام والرؤية العميقة الشاملة.

۲- النظرة الصائبة وسعة الافق الفريدة التى تسع عالم البشرية.

۳- امتلاك المشاريع الثورية الناجعة فى كافة المجالات.

۴- الشجاعة والهمة الخارقة.

۵- الورع والتقوى التى تتناسب وسعة الأهداف.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۸

۶- الأخذ بنظر الاعتبار كافة أبعاد الحياة دون الاقتصار على البعد المادى.

۷- الروح السامية التى تسمو على الفئوية وضيق النظر والمصالح الشخصية وتتجاوز حدود العادات والتقاليد والمدارس الفكرية السائدة.

كما ينبغى أن يتحلى جيش هذه النهضة بتعاليم عظيمة تمكنه من تفعيل ذلك المشروع الضخم. وليس فى هذا الجيش من مكان للجهال وقصار النظر وضيقى الافق والجبناء وضعيفى الهمة والعصاة والعناصر غير الثورية.

ونتجه الآن صوب المصادر الإسلامية بشأن هذا الظهور للمصلح العظيم.

ذلك لأنّ ديناً كالدين الإسلامى لم يتضمن الخزين المطلوب بهذا الشأن، إلى جانب الخوض فى التفاصيل.

جدير ذكره أنّ كلّ ما ورد فى المصادر الإسلامية بهذا الشأن ينسجم تماماً وما بلغناه عن طريق «العقل والفطرة»؛ ولهذا الانسجام والاتفاق تأثيران: -

إنّه يرسخ إيماننا بأحكام العقل من جانب، ويضاعف من تفاؤلنا بأصالة التعاليم الإسلامية من جانب آخر.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۹۹

المصلح العالمى فى القرآن

القرآن- بصفته أهم مصدر اسلامى- يشتمل فى هذا المجال كسائر المجالات على بحث كلى واصولى، دون الخوض فى التفاصيل، وبعبارة اخرى فإنّ القرآن يتابع ما كنا عليه من أدلة عقلية وإلهامات فطرية، أى يخبر عن تحقق حكومة العدل العالمية فى ظلّ الإيمان.

وإليك طائفة من الآيات التى تعرضت لهذا الموضوع:

۱- نقرأ فى الآيات ۱۰۵- ۱۰۶ من سورة الأنبياء:

«وَلَقَدْ كَتَبْنا فِى الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُها عِبادِىَ الصَّالِحُونَ إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً لِقَوْمٍ عابِدِينَ».

ونسلط الضوء هنا على معانى بعض الكلمات.

«أرض»: تطلق على الكرة الأرضية وتشمل كافة أنحاء العالم، إلّاأن تقوم قرينة خاصة على غير ذلك.

«ارث»: لغوياً ما يقع فى يد الشخص دون معاملة ومبادلة، ويطلق فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۰

القرآن الكريم على بعض الموارد على غلبة الصالحين للطالحين والسيطرة على إمكاناتهم.

«زبور»: تعنى فى الأصل كلّ كتاب، لكنها اطلقت عادة على كتاب «داود» الذى عبر عنه فى العهد القديم ب «المزامير»، وهو مجموعة من المناجاة والأدعية والوصايا لنبى اللّه داود، كما يحتمل أن يكون المراد بالزبور جميع الكتب السماوية السابقة (قبل القرآن).

«ذكر»: تعنى فى الأصل كلّ مصدر للتذكير، لكنها فسرت فى الآية بمعنى توراة موسى عليه السلام بدليل أنّها وردت قبل الزبور، وفسرت أيضاً بأنّها اشارة إلى القرآن الكريم، حيث وردت هذه المفردة فى آياته: «إِنْ هُوَ إِلّا ذِكْرٌ لِلعالَمِينَ» «۱».

وعليه فمعنى (من بعد) هو اضافة إلى. (ينبغى التمعن هنا).

«صالح»: معروف وحين ترد بصورة مطلقة تعنى الصلاح فى جميع الامور من قبيل الكفاءة العلمية والأخلاقية، والصلاح من حيث الإيمان والتقوى والعلم والادارة.

فعليه يكون معنى الآية على هذا الأساس:

لقد كتبنا فى الزبور بالإضافة إلى القرآن الكريم (أو التوراة) أنّ الأرض ستؤول إلى الصالحين من عباد اللّه (أولئك الذين ينطلقون فى مسار العبودية).

وذكر هذا الموضوع فى الزبور (إن كان بمعنى جميع الكتب السماوية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۱

السابقة) دليل على أنّ هذا الموضوع أصل ثابت فى كلّ تلك الكتب.

وإن كان المراد منه كتاب داود فلعلّ ذلك لسعة حكومة داود الرامية لتطبيق الحقّ والعدل وضمان مصالح الناس؛ وإن كانت حكومة اقليمية وليست عالمية، لكن بشر الزبور بحكومة عالمية شاملة قائمة على أساس الحرية والأمن والعدل تنتظر العالم بأسره. أى أنّ الناس إن بلغوا تلك المرحلة من الصلاح وأصبحوا مصداقاً حيّاً للعباد الصالحين فإنّهم سيرثون الأرض؛ سيرثون الحكومة المادية والحكومة المعنوية.

وقد تضمنت بعض الروايات الواردة فى تفسير الآية المذكورة عبارات أوضح فى هذا المجال. ومن ذلك ما رواه صاحب تفسير «مجمع البيان» فى ذيل الآية أنّ الإمام الباقر عليه السلام قال: «هم أصحاب المهدى فى آخر الزمان».

جدير بالذكر، وردت الإشارة إلى هذا الموضوع بعدّة عبارات فى «مزامير داود» ومنها المزمور ۳۷:

«فسينقطع الأشرار ويرث الأرض المتوكلون على اللَّه، وسوف لن يبقى شرير، ستتأمل مكانه وليس فيه وسيرث الحكماء الأرض».

كما جاء فى المزمور ۳۷ عبارات اخرى:

...« سيرث الأرض الذى يباركهم الرب وسينقطع الملعونون. سيرث الصديقون الأرض وإلى الأبد» «۱».

وبالطبع فإنّ كلمة «الصالحون» الواردة فى القرآن هى كلمة جامعة تشمل «الحكماء» و «الصديقين» و «المتوكلين» و «المباركين».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۲

وكما ذكرنا فإنّ المستفاد من الآية «إِنَّ فِى هذا لَبَلاغاً لِقَوم عابِدِينَ» أنّ الهدف النهائى للصالحين ليس الحكومة، بل هى وسيلة لبلوغ ذلك الهدف، أى تكامل الإنسان فى كافة الجوانب، لأن البلاغ ما يبلغهم هدفهم.

الاستخلاف فى الأرض:

۲- نقرأ فى الآية ۵۵ من سورة النور:

«وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِى الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِى ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِى لَايُشْرِكُونَ بِى شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ».

فقد تضمنت الآية ثلاثة وعود صريحة للذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ونعلم أنّ لكلّ وعد ثلاثة أركان:

الذى يعد هنا هو اللَّه، والموعود «الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات» أى المؤمنين الصالحين. والمواد الواردة فى الوعود الثلاثة هى:

۱- الاستخلاف فى الأرض، أى حكومة الحقّ والعدل.

۲- تمكين الدين، أى نفوذ المعنويات وحكومة القوانين الشرعية فى كافة جوانب الحياة.

۳- تبديل الخوف بالأمن؛ إزالة كافة عناصر الخوف وعدم الأمن واستبدالها بالأمن التام والاستقرار الكامل.

والمراد من «تمكين الدين» كما يفهم من سائر استعمالات هذه المفردة رسوخ التعاليم الدينية فى جميع شؤون الحياة، لا من قبيل ألفاظ السلام

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۳

والحرية وحقوق الإنسان التى يحمل لوائها اليوم المدافعون المزيفون ولا- تتجاوز حناجرهم، بينما لا وجود لها فى الخارج؛ وكأنها ألفاظ خيالية لا يمكن نيلها إلّافى الأحلام وعالم الخيال.

آنذاك سوف لن تكون التعاليم الإسلاميه بصيغة بعض القوالب الصورية الجافة والألفاظ الخاوية، بل ستكون نظرية الحياة السائدة فى

كلّ مكان.

آنذاك ستكون المسؤولية واليقظة عامة شاملة، وسيحول اتساعها دون استغلالها من قبل بعض الأفراد.

وسوف لن تستطيع حينها المنافع الشخصية أن تحول دون القضاء الصحيح، لا ـ على غرار ما يحصل اليوم من قبل بعض الساحقين لحقوق الإنسان، حين يرتقون منصة المؤتمرات العالمية ويتحدثون بحماس عن هذه الحقوق والحريات وهم يرون عدم كفاية حتّى المواثيق الدولية الواردة بهذا الشأن- والتى لا يلتزمون فى الواقع بأى من بنودها- فتتعالى الأيدى بالتصفيق من جانب زعماء ما يسمى بحقوق الإنسان، ولا غرو فهم معاً ولا يستطيعون ضمان مصالحهم دون أن يسلكوا هذا الاسلوب.

الاستقرار والأمن آنذاك لا ـ يمزج بالخوف، فهو ليس كالأمن الذى نراه فى بعض بقاع العالم والذى يفرزه الخوف من الأسلحة الفتاكة. وهل هذا أمن أم رعب؟ فهذا الأمن يفرزه الخوف العظيم من عواقب الحروب الوخيمة، إنّه ليس بأمن حقيقى.

ونتيجة هذه الوعود الإلهية الثلاثة تمهيد السبيل لتزكية الإنسان وتكامله

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۴

على مستوى المفاهيم الإنسانية والعبوديه للّه‌وهدم الأصنام بكافة أشكالها «يعبدوننى لا يشركون بى شيئاً».

لا بأس هنا أن نتطرق إلى بعض أقوال المفسرين وما ذكروه من سبب لنزول هذه الآية:

يرى بعض المفسرين أنّ الآية نزلت حين هاجر المسلمون من مكة إلى المدينة.

فقد برزت نهضة جديدة هزت أركان ذلك المجتمع الملى بالخرافات والأساطير والجهل والظلم والتمييز العنصرى، ممّا أثارت الطرف الآخر للمعارضة.

ورغم قلة عدد الأصحاب إلّاأنّهم عرفوا بالصمود والتضحية، إلّاأنّ حجم المعارضة كان عريضاً واسعاً، وقد تصاعدت حدّة الصراع بحيث كان المسلمون يعيشون على الدوام حالة التأهب القصوى، فلا يفارقون أسلحتهم حتّى عند نومهم وينهضون صباحاً ليتقلدوا تلك الأسلحة الثقيلة.

وبالطبع فإن استمرار هذا الوضع كان يزعجهم، كيف يسعهم النوم بهذه التجهيزات والأسلحة، وأى نوم هذا الذى يحلمون به والعدو متربص بهم.

كانوا يتمنون أحياناً أن يستريحوا ليلة من ذلك العناء دون أن يكون من العدو خطراً يهددهم، كما يأملون بإقامة الصلاة دون أن يباغتهم العدو، فيعبدون اللّه بكلّ حرية ودون خوف ويقضون على الأصنام ويعيشون بأمان فى كنف حكومة العدل الإلهى.

ومن هنا كان يسأل بعضهم البعض هل سيأتى ذلك اليوم؟! وهنا نزلت الآية وحملت البشارة بتحقق ذلك الوعد وقدوم ذلك اليوم، وقد رأينا كيف

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۵

حلّ ذلك اليوم حين سيطر المسلمون بزعامة النبى صلى الله عليه و آله على الجزيرة العربية.

ويبدو سبب النزول هذا منسجماً مع الآية، لكن لعلمنا بسائر أسباب نزول مختلف الآيات القرآنية فانه لا يسعنا حصر مفاهيم الآيات فى أسباب النزول، بل سبب النزول يعد أحد مصاديق الآية.

ولعلّ الاقتصار بالآية على سبب النزول من قبيل الأسلحة التى تعدها للقتال، وما أن يتوقف ذلك القتال حتّى نطرحها جانباً، وإن كانت باهضة التكاليف وصالحة للاستعمال.

طبعاً شهد أواخر عصر النبى صلى الله عليه و آله عملية جانب من المفهوم الشامل لهذه الآية، إلّاأن تطبيق ذلك المفهوم بأجمعه والاستخلاف فى الأرض لم يطبق لحدّ الآن وما زال العالم ينتظره.

نعم، تبشر الآية الشريفة جميع المؤمنين الحقيقيين بالحكومة العالمية التى تكون من نصيب الصالحين، وتطوى جميع الصفحات

السوداء التى خلفتها عصبة من الأنانيين والمستكبرين الذين تلاعبون فى مقدارات والإنسانية.

ومن هنا ورد فى بعض الروايات أنّ الآية واردة فى قيام المهدى الموعود. فقد روى الطبرسى فى تفسيره «مجمع البيان» عن الإمام السجاد عليه السلام أنّه قال:

«هم واللّه شيعتنا أهل البيت يفعل اللّه ذلك بهم على يد رجل منا هو مهدى هذه الامّة».

ثمّ ذكر مثل هذا المضمون عن الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام وأضافا أنّ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۶

الآية مطلقة وتشمل خلافة جميع الأرض، وحيث لم يتحقق هذا الوعد الإلهى فلابدّ من انتظاره.

كما وردت عدّة روايات فى تفسير «البرهان» عن الإمامين الصادق والباقر عليهما السلام فى أنّ الآية إشارة إلى قيام القائم.

جدير بالذكر أنّه بالنظر إلى كلمة «منكم» فإنّ هناك أقلية مؤمنة صالحة تمارس النهضة العالمية حين تتوفر ظروفها فتبلغ بها شاطئ الأمان وتتغلب على جميع المصاعب والمطبات التى تعترض سبيل السفينة.

۳- نقرأ فى الآية ۳۳ من سورة التوبة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

ولابدّ من الرجوع إلى الآية السابقة للوقوف على معنى هذه الآية:

«يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ».

ويتضح من هذه الآية أنّ إرادة اللّه تعلقت بتكامل نور الإسلام، وسيكون تكامله حين ينشر لوائه على كافة أنحاء العالم.

ومن ثمّ وضح هذه الحقيقة فى الآية المذكورة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

وقد تكرر هذا الوعد مع فارق طفيف فى الآية ۲۸ من سورة الفتح:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۷

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيداً».

وأخيراً جاء هذا الوعد للمرة الثالثة فى الآية ۹ من سورة الصف بالعبارة التى وردت فى سورة التوبة:

«هُوَ الَّذِى أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ».

ولعلّنا ندرك أهمية هذا الوعد الإلهى من هذه الآيات القرآنية. إلّاأنّ المهم هو اتضاح مفهوم العبارة «ليظهره»:

أوّلًا: يرجع الضمير «هاء» إلى النبى صلى الله عليه و آله أو «دين الحقّ»؟

على ضوء الاحتمال الأوّل المفهوم غلبة النبى لجميع الأديان، بينما مفهومها غلبة الدين الإسلامى على أساس الاحتمال الثانى.

لكن يبدو على أساس قواعد اللغة أنّ الضمير يعود إلى «دين الحقّ» كونه الأقرب (وإن لم يكن الفارق بينهما كبيراً). أضف إلى ذلك فإن انتصار دين على سائر الأديان أنسب تعبيراً من انتصار شخص على سائر الأديان (لابدّ من التمعن).

ثانياً: (وهذا هو المهم) ما المراد هنا بالظهور؟ لا- شك أنّ الظهور هنا لا- يعنى البروز والوضوح، بل يعنى الغلبة. جاء فى كتاب القاموس- أحد المصادر اللغوية المعروفة- ظهر به وعليه: غلبه.

كما جاء فى مفردات الراغب: ظهر عليه غلبه.

وكما وردت بهذا المعنى فى عدّة آيات من سور القرآن كسورة المؤمن والكهف والتوبة:

«كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَايَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلّاً وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُمْ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۰۸

بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَی قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ» «۱».

«يَا قَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ » «... ۲».

«إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِی مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذاً أَبَداً» «۳».

لکن ما المراد بغلبة دین لسائر الأدیان؟

ذکر المفسرون ثلاثة آراء:

۱- الغلبة المنطقیة؛ أی بمقارنة الإسلام بسائر الأدیان الممزوجة غالباً بالخرافات تظهر غلبة المنطق المستدل علی سائر المناطق.

یعتقد أصحاب هذا الرأی أنّه کلما قارنا التوحید الإسلامی الخالص مع سائر أنواع التوحید المشوبة بالشرک أو الشرک الخالص فانه یتضح منطق أفضلیة الإسلام علی سائر الأدیان، وکذلک سائر المباحث التی اکتسبت عملیة هذا الوعد الإلهی؛ حتّی أنّ مقارنة شعار الأذان بفضله شعار محرک، بشعار الناقوس وعدم شعاریة أغلب الأدیان یکشف عن هذه الغلبة المنطقیة.

۲- الغلبة العملیة والغلبة الخارجیة علی سائر الأدیان، غایة الأمر ضمن مقارنة اقلیمیة لا عالمیة وعامة.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۰۹

فقد تحققت أیضاً؛ حیث تغلب الإسلام فی عهد النبی صلی الله علیه و آله علی شبه الجزیرة العربیة ومن ثمّ علی منطقة عظیمة من العالم، حتّی خضع لنفوذ الإسلام اتباع الدیانات الاخری فی تلک المناطق الممتدة من جدار الصین- بل ما وراء جدار الصین- حتّی شواطئ المحیط الاطلسی، وقد ظلّ الإسلام متجذراً فی تلک المناطق حتّی بعد اضمحلال الدولة الإسلامیة هناک.

۳- الغلبة الخارجیة والعملیة علی مستوی العالم وجمیع ما علی الأرض والتی تشمل الغلبة الثقافیة والاقتصادیة والسیاسیة، وهو التفسیر الذی قال به بعض مفسری العامة فضلًا عن مفسری الشیعة.

قطعاً لم یصبح هذا الوعد عملیاً لحدّ الآن ولا ینطبق سوی علی الحکومة العالمیة للمهدی الموعود علیه السلام، وهی الحکومة التی یعم الحقّ والعدل فیها کلّ مکان ویتغلب فیها هذا الدین علی ضوء القیاس العالمی علی سائر الأدیان.

ولدینا بعض القرائن التی تفید ترجیح التفسیر الثالث علی سائر التفاسیر؛ لما یلی:

أوّلًا: الغلبة المستفادة من کلمة «الظهور» ظاهرة فی الغلبة الحسیة والعینیة والخارجیة، لا الغلبة الذهنیة والفکریة، ولذلک لم یرد «الظهور» بمعنی الغلبة الذهنیة فی أی من الموارد القرآنیة المذکورة، بل لوعدنا إلی الآیات السابقة وأمعنا النظر فیها لرأیناها وردت بمعنی الغلبة العینیة والخارجیة.

ثانیاً: ذکر کلمة «کله» بعنوان تأکید یشیر إلی عدم وجود البعد الاقلیمی للغلبة، بل هی عامة شاملة لجمیع الأدیان، وهذا لا یمکن سوی من خلال شمولیة الإسلام للعالم.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۱۰

ثالثاً: الروایات التی وردت فی تفسیر الآیة وتقوی التفسیر الثالث، مثل:

۱- روی العیاشی باسناده عن عمران بن میثم عن عبایة أنّ أمیرالمؤمنین علیه السلام حین تلی الآیة «هو الذی أرسل رسوله بالهدی ودین الحقّ » ... سأل أصحابه: أظهر ذلک؟ قالوا: بلی. قال:

«کلا، فوالذی نفسی بیده حتّی لا یبقی قریة إلّاوینادی فیها بشهادة أن لا إله إلّااللّه بکرة وعشیا» «۱».

۲- وقال الإمام الباقر علیه السلام:

«إنّ ذلک عند خروج المهدی من آل محمّد فلا یبقی أحد إلّاأقر بمحمّد» «۲».

۳- قال المقداد بن الأسود سمعت رسول اللّه صلی الله علیه و آله یقول:

«لا یبقی علی ظهر الأرض بیت مدر ولا وبر إلّاادخله اللّه کلمة الإسلام» «۳».

كما وردت عدة روايات تفسر الآية بهذا المضمون.

كانت هذه طائفة من الآيات القرآنية التى تؤكد العدل والسلام العالمى والإيمان بالتوحيد والإسلام فى كافة أرجاء العالم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۱

المصلح العالمى فى مصادر العامة

لابدّ من الالتفات إلى أمرين قبل كلّ شيء.

۱- يتساءل البعض ما الحاجة إلى الروايات ولدينا القرآن؟

وطالما بين القرآن كلّ شيء «فيه تبيان لكلّ شيء» فما المانع من أن نلتحق بمن قال: «حسبنا كتاب اللَّه»؟ خاصة إننا نسمع أنّ هناك بعض الروايات والأحاديث الموضوعة بين سائر الأحاديث الصحيحة وهذا ما يؤدى إلى عدم اعتبارها جميعاً.

لكن بالنظر إلى أننا مسلمون، والمسلم المتمسك بالقرآن لا يمكنه تجاوز الأحاديث الإسلامية الواردة من طرقها الصحيحة، وذلك لأنه:

أوّلًا: إنّ من أنكر السنّة فقد أنكر القرآن، حيث صرّح القرآن بشأن النبى صلى الله عليه و آله فى أنّ كلامه حجّة وأنّه مفترض الطاعة فقال: «وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا » «... ۱».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۲

وقال: «وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً » «... ۱»

وقال:

«مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظاً» «۲».

وهكذا سائر الآيات التى ترى وجوب طاعة أوامر النبى صلى الله عليه و آله بصفتها أوامر اللَّه.

ثانياً: إنّ القرآن يحتوى على القوانين الكلية للإسلام وإن غضضنا الطرف عن السنّة فانه سيفقد صبغته العملية، وستبقى الكليات الذهنية التى لا يمكن تنفيذها؛ ذلك لأنّ السنّة بيّنت جميع الجزئيات والمقررات العملية والتنفيذية لتلك القوانين الكلية.

ورغم منع البعض من تدوين أحاديث النبى صلى الله عليه و آله بعد وفاته بغية عدم اختلاطها بالقرآن! لكن سرعان ما وقفوا على ضعف هذا النمط من التفكير، بحيث ربّما تندرس السنّة مع مرور الزمان حتّى ينتهى الأمر إلى فقدان الإسلام لجانبه العملى والتنفيذى، ومن هنا تركوا تلك النظرية الفاشلة وعمدوا إلى تدوين الحديث والرواية.

ثالثاً: صحيح أنّ يد الوضاعين امتدت إلى الأحاديث الإسلامية وقد شوهتها لمختلف الدوافع والأسباب، غير أنّ ذلك لا يعنى عدم وجود بعض الضوابط فى تمييز الأحاديث الصحيحة من الموضوعة، ومن ذلك علم الرجال والحديث والدراية.

۲- رجل ثورى لا سياسى مادى:

إنّ الأدلّة التى ذكرت- كالآيات الواردة فى هذا الخصوص- عن طريق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۳

العقل أو الفطرة والتى تشير إلى تحقق نهضة اصلاحية شاملة فى العالم، لم تتطرق إلى شخص معين، بل اقتصرت على مباحث كلية؛ ولكن ممّا لاشك فيه أنّ هذه النهضة تتطلب زعيماً كسائر النهضات، زعيماً مقتدراً وعالماً ذا آفق بعيد ونظرة ثاقبة وعالمية، فهل يمكن أن ينبثق هذا الزعيم كسائر زعماء العالم المعاصر من المجتمعات المادية؟ أى كالزعماء الذين يكون هدفهم بالدرجة الاولى حفظ مناصبهم، ومن ثمّ كلّ ما من شأنه حفظ مكانتهم؛ وتعظيمهم إزاء المدارس السياسية والاقتصادية المختلفة بمستوى التأثير فى حفظ مكانتهم؛ وقد تكون ذروة أهدافهم فى المرحلة اللاحقة الانطلاق نحو تحقيق مصالح شعوبهم، وإن كان ذلك على حساب ذبح

الشعوب الاخرى.

وقد اثبتت حرب فيتنام التى استغرقت عشرين سنة وقد خلفت ملايين القتلى والجرحى وهدم ملايين الأحياء السكنية وملايين الأفراد المشوهين ومليارات الأموال والثروات، أنّ الرأسمالية المعاصرة مستعدة للقتال من أجل حفظ منافعها، بل أحياناً لا لشىء- بل أبعد من ذلك من أجل سلسلة من الأوهام الفارغة- وقد تغير خلال هذه الفترة عدد من هؤلاء الزعماء العظام (؟) غير أنّهم ساروا جميعاً على نهج أسلافهم ليثبتوا أنّ ذلك العمل لم يكن نزعة فردية أو جماعية معينة، بل هو مبدأ ثابت من مبادئ وخصائص هذه الأنظمة.

إنّهم ينشدون الحرية كهدف سام، لكنهم يقتصرون بها على أنفسهم، وقد يتبنون شعارها أحياناً من أجل الآخرين، ولكن ما أن تتعارض مع مصالحهم حتّى يتنصلوا عنها.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۴

إنّهم يتفقون بغية ضمان منافعهم، وهذا هو مبدأهم المقدس المتفق عليه، وكأنّهم تعاقدوا معاً على الدوام على ذلك الأمر.

كما استغلوا حرية «حقوق الإنسان» و «حرية الشعوب فى تقرير مصيرها» لضرب منافسيهم، ولذلك قد تنتكس تلك الحرية إن كان الكلام عن حلفائهم، فيتخلون عن تلك الشعارات حفظاً لمصالحهم ورعاية لتلك العلاقات.

فهل يسع مثل هذه الأنظمة أن ترفع راية الحرية والعدالة فى العالم، وهل هناك من فرق بين الدول الكبرى؟ فالظلم والاستعباد والقهر الذى تتميز به الأنظمة الرأسمالية واضح لا يتطلب مزيداً من العناء.

أمّا الأنظمة اليسارية؛ فقد واجهت جميع الأنظمة وحصرت سلطتها فى بضعة أفراد- أى الفئة الحزبية الحاكمة- على أساس بسط العدل وترفيه الطبقات المعدمة والمسحوقة وبناء المجتمع الخالى من الطبقية، ومن هنا فقد صهرت آلاف الاقطاعين الكبار والصغار فى بوتقة ثورة «البرولتاريا» ثمّ اطلقت عدداً من كبارهم ليمسكوا بخيوط اللعبة لكافة حركات بيئتهم السياسية والاقتصادية. وقد حكموا مجتمعاتهم بقوة غاشمة سلبتهم حتّى التفكير فى معارضة زعمائهم. وكأنّهم جعلوا بعض المبادئ المرنة التى يفرزها العقل البشرى فى اطار مسيرته التكاملية بمثابة مبادئ خالدة لإيقاف عجلة التاريخ عن التطور والحركة والإبقاء عليها ساكنة فى موضع معين.

ويطالنا هنا بعض الزعماء المستبدين الذين يتمكنون بالتدريج من

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۵

الاطاحة بمعارضيهم ليذكروننا باساطير الدكتاتوريات المُبادة كسلاطين المغول، على سبيل المثال فإنّ الزعيم الفذ استالين لا يرى من ضير فى قتل أكثر من مليون ومئتى شخص من أجل البقاء فى منصبه وحفظ مصالحه.

ولكن ما أن مات حتّى سلوا جسده من قبره وعمدوا إلى إزالة اسمه، فتحول إلى عدم كأنّه لم يكن له من وجود، والحال، كان حتّى الأمس المدافع الوحيد عن حقوق الطبقة العاملة وضمان راحتها ورفاهيتها قد تتطلب المصالح أحياناً الوقوف بشدّة بوجه حلفائهم وأعوانهم، وابرام اتفاقيات التعاون والصلح والسلام مع أعدائهم والتنازل عن جميع المبادئ والاصول التى يتشدقون بها.

فهل يسع مثل هؤلاء الزعماء حمل لواء العدل العالمى ونشره خفاقاً على الشعوب؟

وهل تستطيع الأنظمة المادية الرأسمالية أو الاشتراكية أو الشيوعية الماركسية أن ترفد المجتمع بذلك الزعيم المنتظر؟ قطعاً لا.

حقّاً ليس ذلك سوى للمدرسة الإنسانية التى تفوق النزعة المادية والتى تستطيع تطبيق وتنفيذ ذلك المشروع الإنسانى فى كافة أرجاء العالم.

المدرسة التى لايفكر زعيمها قط فى حفظ مكانته ومصلحته.

ولا يقتصر بنظره على شعبه.

كما لا ينظر إلى ما حوله بعين مادية محدودة.

وأن يتمتع بالأفكار السماوية الرفيعة والعميقة والترفع عن الضحالة.

فذلك الشخص الذى تخالف مبادؤه نظيرتها لدى المدارس المادية التى تنهض اليوم بادارة شؤون المجتمعات، هو من يستطيع انقاذ البشرية من

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۶

هاوية الهلكة وايصالها إلى شاطئ الأمن والنجاة.

فمن هو ذاك؟ يعتقد المسلمون أنّ ذلك الرجل هو المهدى عليه السلام.

من هو المهدى؟

مرّ علينا فى بحث آثار الانتظار أنّ جميع الفرق الإسلامية دون استثناء تعيش انتظار المصلح العالمى من نسل النبى وهو «المهدى».

(الزعيم الذى هدى إلى هدفه ومشروعه الثورى العالمى والقادر على هذا الأساس على هداية الآخرين وزعامتهم).

وقد بلغ هذا الاتفاق درجة بحيث لم تشذ عنه حتّى أعظم الفرق الإسلامية افراطاً- أى الوهابية- ولم تكتف بقبوله، بل هبت للدفاع عنه لأنّها تراه من العقائد الإسلامية المسلمة.

وسنورد بيان «رابطة العالم الإسلامى» التى تعد من أكبر مراكز الوهابية فى مكة قبل أن نذكر ما ورد عن علماء العامة بهذا الخصوص. وترى أنّ ما تضمنته هذه الرسالة من وثائق ضرورية لم تدع مجالًا لأحد للانكار، ولعلّها هى السبب فى اذعان الوهابية المتطرفة. والذى نعتقده أنّ هذه الرسالة واضحة صريحة لا تحتاج إلى أدنى توضيح، ولعلّها تلقم من يزعم بأنّ عقيدة ظهور المهدى فكرة مستوردة، حجراً وتخرسه عن الرد.

حيث تقدم قبل سنتين «۱» شخص يدعى «أبو محمّد» من كينيا بسؤال إلى «رابطة العالم الإسلامى» التى تعتبر من المراكز الدينية الحجازية والمكية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۷

المهمة بشأن ظهور المهدى المنتظر.

فبعث له «محمّد صالح القزاز» الأمين العام، برسالة ضمّنها جوابه وأشار فيها إلى قبول ابن تيمية للأحاديث المتعلقة بالمهدى، جدير بالذكر أنّ الفارق الكبير بين هذه الرسالة مع عقائد أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام هى أنّهم ذكروا اسم والد الإمام المهدى «عبداللَّه»، بينما المسلم لدى الشيعة أنّ والده هو الإمام الحسن العسكرى، ولعلّ سر هذا الاختلاف ما ورد فى بعض روايات العامة «اسم أبيه اسم أبى» بينما تفيد القرائن أنّ أصل هذه العبارة «اسم أبيه اسم ابنى» والخطأ فى التنقيط هو سبب اختلاف العبارة (أيد هذا الاحتمال الكنجى الشافعى فى كتابه البيان فى أخبار صاحب الزمان).

وعلى كلّ حال فإنّه لا يمكن الاعتماد على تلك العبارة للأسباب التالية: -

۱- لم ترد هذه العبارة فى أكثر روايات العامة.

۲- ورد فى رواية ابن أبى ليلى «اسمه اسمى واسم أبيه اسم ابنى».

۳- تفيد الروايات المتواترة عن طرق أهل البيت عليهم السلام أنّ اسم أبيه «الحسن».

۴- صرحت بعض روايات العامة أنّه ابن الإمام الحسن العسكرى.

(للوقوف على المزيد بهذا الشأن راجع كتاب: منتخب الأثر صفحات ۲۳۱ إلى ۲۳۶، الباب ۱۱، وكتاب نور الأبصار».

نص الرسالة:

الكريم أبو محمّد «المحترم (كينيا)

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۸

السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته- اشارة إلى خطابكم (المؤرخ فى ۲۱ مايو ۱۹۷۶ م) المتضمن عن موعد ظهور المهدى وفى أى مكان يقيم؟

نفيدكم بأننا نوفّر لكم مع خطابنا إليكم ما جاء من الفتوى فى مسألة المهدى المنتظر وقد قام بكتابته فضيلة الشيخ محمّد المنتصر الكنانى وأقرّته اللجنة المكنونة من أصحاب الفضيلة الشيخ صالح بن عثيين وفضيلة الشيخ أحمد محمّد جمال وفضيلة الشيخ أحمد على وفضيلة الشيخ عبداللّه خياط.

مدير ادارة المجمع الفقهى الإسلامى: محمّد منتصر الكنانى

وقد دعم الفتوى بما ورد من أحاديث المهدى عن الرسول صلى الله عليه و آله وما ذكره ابن تيمية فى المنهاج بصحّة الاعتقاد وابن القيم فى المنار وإن شاء اللّه تعالى ستجدون فى الكتاب مطلبكم وما يغنيكم عن مسألة المهدى انتم ومن كان على نهجكم آملين لكم التوفيق والسداد.

الأمين العام محمّد صالح القزاز

بعد التحية

جواباً عمّا يسأل عنه المسلم الكينى فى شأن المهدى المنتظر عن موعد ظهوره وعن المكان الذى يظهر منه وعن ما يطمئنه عن المهدى عليه السلام.

هو محمّد بن عبداللّه الحسنى العلوى الفاطمى المهدى الموعود المنتظر موعد خروجه فى آخر الزمان وهو من علامات الساعة الكبرى يخرج من الغرب ويبايع له فى الحجاز فى مكّة المكرمة بين الركن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۱۹

والمقام- بين باب الكعبة المشرفة والحجر الأسود عند الملتزم، ويظهر عند فساد الزمان وانتشار الكفر وظلم الناس، يملأ الأرض عدلًا وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يحكم العالم كله وتخضع له الرقاب بالاقناع تارة وبالحرب اخرى، وسيملك الأرض سبع سنين وينزل عيسى عليه السلام من بعده فيقتل الدجّال أو ينزل معه فيساعده على قتله بباب «اللد» بأرض فلسطين.

هو آخر الخلفاء الراشدين، الاثنى عشر الذين أخبر عنهم النبى صلوات اللّه وسلامه عليه فى الصحاح، وأحاديث المهدى واردة عن الكثير من الصحابة يرفعونها إلى رسول اللّه صلى الله عليه و آله ومنهم عثمان بن عفان؛ وعلى بن أبى طالب، وطلحة بن عبيداللّه، وعبدالرحمن بن عوف، وعبداللّه بن عباس، وعمّار بن ياسر، وعبداللّه بن مسعود، وأبو سعيد الخدرى، وثوبان، وقرة بن اياس المزنى، وعبداللّه بن الحارث بن جز، وأبو هريرة، وحذيفة بن اليمانى، وجابر بن عبداللّه، وأبو امامة، وجابر بن ماجد الصدفى، وعبداللّه بن عمر، وأنس بن مالك، وعمران بن حصينى، وامّ سلمة.

هؤلاء عشرون منهم، ممّن وقفت عليهم، وغيرهم كثير، وهناك آثار عن الصحابة مصرّحة بالمهدى، من أقوالهم، كثيرة جداً، لها حكم الرفع، إذ لا مجال للاجتهاد فيها.

أحاديث هؤلاء الصحابة التى رفعوها إلى النبى صلى الله عليه و آله والتى قالوها من أقوالهم اعتماداً على ما قاله رسول اللّه صلوات اللّه وسلامه عليه ورآها الكثير من دواوين الإسلام، وامّهات الحديث النبوى، من السنن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۰

والمعاجم والمسانيد منها:

سنن أبى داود، والترمذى، وابن ماجة، وابن عمرو الدانى، ومسانيد أحمد، وابن يعلى، والبزاز، وصحيح الحاكم؛ ومعاجم الطبرانى الكبير والآلوسى والرويانى والدارقطنى فى الأفراد، وأبو نعيم فى أخبار المهدى والخطيب فى تاريخ بغداد، وابن عساكر فى تاريخ

دمشق وغيرها.

وقـد خصّ المهـدى بالتـأليف أبـو نعيـم فى «اخبـار المهـدى» وابـن حجر الهيثمى فى القـول المختصـر فى علامـات المهـدى المنتظر والشوكانى فى التوضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر والدجّال والمسيح، وادريس العرقى المغربى فى تأليفه «المهدى» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربى فى كتابه «الوهم المكنون فى الرد على ابن خلدون».

وآخر من قرأت له عن المهدى، بحثاً مستفيضاً، مدير الجامعة الإسلامية فى المدينة المنورة فى مجلة الجامعة، أكثر من عدد.

وقد نصّ على أنّ أحاديث المهـدى أنها متواترة، جمع من الأعلام قـديماً وحديثاً منهم السخاوى فى «فتح المغيث». ومحمّد بن أحمد السفاوينى فى شرح العقيدة وأبو الحسين الابرى فى «مناقب الشافعى» وابن تيمية فى فتاواه والسيوطى فى الحاوى وادريس العراقى المغربى فى تأليف له عن المهدى والشوكانى فى «توضيح فى تواتر ما جاء فى المنتظر؛ والدجّال، والمسيح» ومحمّد بن جعفر الكنانى فى «نظم المتناثر فى الحديث المتواتر» وأبو العبّاس بن عبدالمؤمن المغربى فى «الوهم المكنون من كلام ابن خلدون» وحاول ابن خلدون فى مقدمته

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۱

أن يطعن فى أحاديث المهـدى، محتجاً بحـديث موضوع لا أصل له عنـد ابن ماجـة لا مهدى إلّاعيسى. ولكن ردّ عليه الأئمّة والعلماء؛ وخصّه بالرد شيخنا ابن عبدالمؤمن، بكتاب مطبوع متناول فى المشرق والمغرب منذ أكثر من ثلاثين سنة.

ونصّ الحفاظ والمحدّثون على أنّ أحاديث المهدى فيها الصحيح والحسن ومجموعها متواتر ومقطوع بتواتره وصحته.

وأنّ الاعتقاد بخروج المهدى واجب وأنّه من عقائد أهل السنّة والجماعة ولا ينكر إلّاجاهل بالسنّة ومبتدع فى العقيدة.

واللّه يهدى إلى الحقّ ويهدى إلى السبيل

مدير إدارة المجمع الفقهى الإسلامى

محمّد المنتصر الكنانى

ونرى من الضرورى هنا أن نورد بعض أقوال سائر علماء العامّة بهذا الشأن:

۱- قال الشيخ منصور على ناصف مؤلف كتاب التاج «۱»:

«اشتهر بين العلماء- سلفاً وخلفاً- أنّه فى آخر الزمان لا بـدّ من ظهور رجل من أهل البيت يسمى «المهـدى» يستولى على الممالك الإسلامية ويتبعه المسلمون ويعدل بينهم ويؤيد الدين».

ثمّ قال:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۲

«وقد روى أحاديث المهدى جماعة من خيار الصحابة وأخرجها أكابر المحدّثين كأبى داود والترمذى وابن ماجة والطبرانى وأبى يعلى والبزاز والإمام أحمد والحاكم، رضى اللّه عنهم أجمعين ولقد أخطأ من ضعَّفَ أحاديث المهدى كلّها كابن خلدون وغيره» «۱».

۲- ولم يستطع حتّى ابن خلدون المعروف بمخالفته لأحاديث المهدى أن ينكر شهرة أحاديث المهدى بين جميع علماء الإسلام حتّى قال:

المشهور بين جميع المسلمين طيلة العصور أنّه يظهر آخر الزمان رجل من أهل البيت يؤيد الدين ويبسط العدل ويتبعه المسلمون «۲».

۳- قال العالم المصرى المعروف محمّد الشبلنجى فى كتابه «نور الأبصار»:

«تواترت الأخبار عن النبى صلى الله عليه و آله على أنّ المهدى من أهل بيته وأنّه يملأ الأرض عدلًا» «۳».

۴- وذكر الشيخ محمّد الصبان «۴» فى كتابه «اسعاف الراغبين»:

«إنّ الأخبار المتواترة عن النبى صلى الله عليه و آله أنّ المهدى سيظهر آخر الزمان وأنّه من أهل بيت النبى وسيملأ الأرض قسطاً

وعدلًا».

۵- وروی ابن حجر فی صواعقه المحرقة عن أبی الحسن الأمری:

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۳

«إنّه وردت أخبار متواترة وکثیرة عن النبی صلی الله علیه و آله سیظهر المهدی وهو من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله ... ویملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۱».

۶- قال صاحب کتاب «التاج» بعد أن أشار إلی کتاب «الشوکانی» أحد مشاهیر علماء العامة وقد ألفه بشأن الأحادیث المتواترة فی المهدی وخروج الدجّال وعودة المسیح وضمنه شرحاً فی تواتر تلک الأحادیث:

«هذا یکفی لمن کان عنده ذرة من الإیمان وقلیل من انصاف» «۲».

وللوقوف علی المزید من شرح الأحادیث التی روتها العامة فی قیام هذه النهضة العالمیة الکبری، راجع کتاب «المهدی» وکتاب «منتخب الأثر فی أحوال الإمام الثانی عشر».

منطق مخالفی أحادیث المهدی:

علمنا من البحث السابق أنّ نفراً قلیلًا من العامة عارض أحادیث المهدی ومنهم:

المؤرخ المعروف ابن خلدون والکاتب المصری المعاصر أحمد أمین وإن تصدی لهم أغلب علماء العامة. مع ذلک لابدّ من التعرف علی آرائهم بهذا الخصوص.

ویمکن ایجاز الاعتراضات فی خمسة مواضیع هی:

۱- اسناد اخبار المهدی لیست معتبرة!

۲- لا تنسجم الأخبار المذکورة مع العقل!

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۴

۳- استغلال هذه الأخبار من بعض أدعیاء المهدویة!

۴- إنّ هذه الأخبار تؤدی إلی ضعف المجتمع الإسلامی!

۵- تصب هذه الأخبار فی صالح الشیعة وعقائدهم!

ضعف منطق المخالفین:

یستفاد من هذه الاشکالات أنّ لمخالفة أحادیث المهدی صبغة ظاهریة وهی ضعف سند الروایات الواردة بهذا الشأن، أو ضعف دلالاتها؛ وصبغة واقعیة تکمن خلف سابقتها ودافعها التعصب المذهبی، وبعض المصالح غیر المبررة، وعلی کلّ حال فإن منطق المخالفین أجوف تماماً وفی کلّ جانب وذلک لأنه:

أوّلًا: أنّ أحادیث المهدی- کما ذکرنا سابقاً- وردت فی أغلب مصادر العامة المعتبرة فضلًا عن مصادر الشیعة، وقد رواها کبار محدثی العامة وقد صرح أغلبهم بتواترها. وعلیه فلا مجال لمناقشة اسنادها؛ ذلک لأن شهرتها وتواترها تغنینا عن ملاحظة السند، أی أنّ هذه الأحادیث علی ضوء معاییر تمییز الأحادیث، قطعیة.

وبغض النظر عن ذلک فإن هنالک الأحادیث الصحیحة والمعتبرة بین تلک الأحادیث والتی اعترف بصحتها محدثو العامة.

والعجیب اعتراف «ابن خلدون» بهذه الحقیقة، فقد ذکر ذلک بعد عدة صفحات من کتابه التی افردها لأحادیث المهدی وحاول اثارة الشکوک بخصوص اسنادها فقال:

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۵

«فهـذه جملـة من الأحـادیث التی أخرجها الأئمـة فی شأن المهـدی وخروجه آخر الزمان وهی کما رأیت لم یخلص منها من النقـد إلّا القلیل والأقل منه».

وهکذا فهو یعترف علی الأقل بأن القلیل من هذه الأحادیث صحیحة وتأبی النقد.

أضف إلی ذلک فإن هذه الأحادیث لا تقتصـر علی تلک التی ذکرها ابن خلدون فی کتابه، ومن هنا فقد ألف بعض علماء العامة کتباً ردوا فیها علی ابن خلدون وصرّحوا بتواتر أحادیث المهدی وعدم اقتصارها علی ما أورده، وأشرنا إلی ذلک سابقاً.

ویتضح من ذلک أنّ انکار الأحادیث عن هذا الطریق، أی طریق تضعیف السند، هو انکار لا أساس له من الصحّة.

ثانیاً: لم یرد فی الأحادیث المذکورة ما یناقض العقل لیکون مدعاة لانکارها.

وحتّی إن بدا مضمون بعضها خلاف العادة فهو لا یفوق معاجز سالف الأنبیاء، والاستبعاد لا یمکنه الحیلولة دون قبولها.

بالاضافة إلی أنّ أحـادیث المهـدی لیست وحـدة متصـله بحیث نقبلهـا جمیعـاً أو نرفضـها جمیعاً، بعبارة اخری فإن القـدر المسـلم من الأحـادیث المـذکورة، أی قیـام شـخص مـن أهـل بیت النبـی صـلی الله علیه و آله ومن ولـد فاطمـة علیهم السـلام وممارسـته للنهضـة الاصلاحیة العالمیة وملء الأرض قسطاً وعدلًا، لیس بالمطلب الذی یشکل علیه عقلیاً، بل اثبتنا سابقاً أنّ هذا الموضوع ینسجم مع سلسلة من الأدلة العقلیة، واما بعض الأحادیث المتعلقة بعلامات الظهور

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۶

وأمثـال ذلـک، فـإن کـانت مسـتبعدة ولیست واضـحة من حیث السـند ولا یمکن الوثوق بها، فلنا أن نردها، لکن لا علاقـة لردّها بسائر الأحادیث.

وخلاصة القول فإننا لا ندری لِمَ أغمض البعض عن تفکیک الأحادیث عن بعضها البعض الآخر ونقد بعضها دون الآخر، فوقع فی هذا الخطأ الفاحش!

فهـذه الأحادیث تقول إنّ المدنیـة المادیة لا تصـلح البشـریة، وتبدو حرب فیتنام التی اسـتغرقت ۲۵ سـنة انبوبـة اختبار عجیبة، یختبر بها جمیع المفکرین آرائهم، إلّاأنی کعالم دین أقول إنّ هـذا دلیل علی عجز المـدارس المادیـة، وأنّ کافة الوسائل المادیة عناصـر تصـعِّد حدّة الأزمة إن افتقرت للإیمان، وهذا ما نلمسه فی سائر مناطق العالم.

ثالثاً: إن کانت هذه الأحادیث لصالح الشیعة فهل ذنب الشیعة أم الأحادیث؟! وما الذی یمنع من قبول الحقّ کیفما اتضح؟ إلی جانب ذلک فإن الأحادیث المـذکورة وإن أیـدت رأی الشیعة، لکن لیست هنالک من ملازمـة بین قبول هـذه الأحادیث وقبول التشیع، فما أکثر من یؤمن بنهضة المهدی لکنهم لیسوا شیعة. علی کلّ حال لا ینبغی لبعض التعصبات المقیتة أن تحول دون ادراک الحقیقة، فهذا الأمر أشبه بما یقوله المریض المدین لطبیب ویکتب له وصفة طبیة تتضمن شفاؤه فلا یلتزم بها، لأنّه إن التزم بها وتماثل للشفاء سیقول الناس أنّ ذلک الطبیب ماهر.

رابعاً: صحیح هناک استغلال لهذه الأحادیث ولکن هل هنالک من حقیقة لم تستغل؟

فهل قلة هم أولئک الذین ادعوا النبوة والألوهیة وسائر المقامات المعنویة؟

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۲۷

وهل الأدیان المبتدعة فی العالم قلیلة؟! فهل ینبغی طرح کلّ هذه الحقائق خشیة الاستغلال؟! أم هل ینبغی التنکر للألوهیة والنبوّة؟

وهل قلیل استغلال مختلف القوی المادیة فی العالم؟

هل نتجاوزها جمیعاً؟ ما هذا المنطق؟!

لقـد شـهد القرن الثانی عشـر ظهور اثنی عشـر شـخصاً کلهم ادّعی أنّه المسـیح- وقـد اسـتقطبوا عـدداً من الأفـراد- وهـذا ما أثار بعض

النزاعات والمعارك التى اودت بحياة الكثير من الناس «۱»، فهل يدعونا ذلك إلى انكار المسيح بذريعة استغلال البعض لهذه القضية!

خامساً: كما ذكرنا فى بحث الانتظار فإن الاعتقاد بقيام المهدى بالنسبة لأولئك الذين يعيشون الانتظار الحقيقى لا يوجب الخمول والركود فحسب، بل هو أساس الأمل والوقوف بوجه مشاكل الحياة وصعوباتها، على غرار الإيمان باللَّه وقدرته المطلقة الذى يمنح الإنسان قوة واقتداراً، ويبعده عن الشعور باليأس والاحباط. فانتظار المهدى عنصر قوة وحركة واصلاح.

والحال لم يدرك البعض معنى هذا القيام كما ينبغى فنزع نحو الكسل والخمول والتهرب من المسؤولية، وهؤلاء هم المقصرون الحقيقيون كأولئك الذين لم يدركوا الإيمان باللَّه وقدرته المطلقة. وزبدة الكلام إنّه لا يمكن التنكر لواقع قائم لبعض الذرائع الواهية الجوفاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۲۹

المهدى فى مصادر الشيعة الروائية

تبدو قضية الإيمان بالمصلح العالمى «المهدى» أكثر عمقاً ورصانة لدى الشيعة الإمامية، ذلك لأنّ العامة إن آمنت بها كمسألة فرعية، فإنّ الشيعة تراها من الاصول الأصلية، فسلسلة الأئمّة الاثنى عشر تختتم به وهو خاتم الأوصياء.

وقد ذهب بعض الباحثين فى الشؤون الإسلامية إلى أنّ الروايات الواردة عن طرق العامة بهذا الشأن بلغت ۲۰۰ رواية، بينما تجاوزت الالف رواية من طرق الشيعة.

وإن عدّت العامة تلك الروايات فى المصلح العالمى من الروايات المتواترة، فهى من «ضروريات المذهب» لدى الشيعة.

ومن هنا كانت مؤلفات علماء الشيعة تفوق نظيرتها من علماء العامة.

ورغم أنّ جلّ اهتمام المؤلفات تركز على جمع الروايات دون التحليل سوى فى بعض الموارد، إلّاأنّ جهوداً عظيمة بذلت لجمع تلك الروايات. ولعله يمكن الاشارة فى هذا الخصوص إلى ثلاثة كتب- أُلفت بالاسلوب المذكور- تعتبر أكثر شمولية من غيرها والتى أُلفت من بعض العلماء المعاصرين وهى:

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۰

۱- كتاب «المهدى» للفقيه الجليل سيّد صدر الدين الصدر.

۲- كتاب «البرهان على وجود صاحب الزمان» للعالم المجاهد المرحوم السيّد محسن الأمين.

۳- كتاب «منتخب الأثر فى أحوال الإمام الثانى عشر» للعالم الفاضل «لطف اللَّه الصافى» بتوجيه وتشجيع المرحوم آية اللَّه البروجردى. والذى لخص باللغة الفارسية تحت عنوان «البشارة بالأمن والأمان».

ومصادر هذه الكتب، العديد من مؤلفات قدماء علماء الفريقين والتى أُلفت بصورة مستقلة أو على سبيل الاشارة لهذا الموضوع. وحيث لا يسع الكتاب نقل جميع الروايات الواردة بهذا الشأن، فاننا نكتفى بمقتطفات من الكتاب الأخير على أن نشير فى الفصول القادمة إلى بعض الأخبار والروايات بما يتعلق بالبحث:

۱- تضمن الفصل الأوّل اشارة إلى بعض الأحاديث التى وردت بشأن الخلفاء وأوصياء النبى صلى الله عليه و آله الاثنى عشر، وقد أحصت ۲۷۱ حديثاً من المصادر المعروفة للفريقين والتى عبرت عنه بمختلف العبارات مثل «الإمام» و «الخليفة» و «الأمير» وما شابه ذلك. وقد جاءت هذه الأحاديث فى أهم مصادر العامّة ومصادر أهل البيت عليهم السلام.

ولاترى الشيعة أية صعوبة فى توجيه هذه الأحاديث. إلّاأنّ العامّة عانوا الأمرين فى توجيهها، فلا يسعهم من جانبٍ انكارها لأنّها وردت فى مصادرهم المعتبرة، ومن جانبٍ آخر لم ينسجموا مع عقيدة الشيعة بشأن «الأئمّة الاثنى عشر»؛ فقد ذهبوا أحياناً إلى أنّ الأصل هم الخلفاء الأربعة، ثمّ أضافوا لهم ثمانية خلفاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۱

والحال لو أرادوا حساب الخلفاء الـذين وصـفهم النبى صـلى الله عليه و آله بالامراء والأئمّـة الحقّ وإن اغمضوا، فإنّه يتعـذر عليهم ذكر بعض الأفراد ضـمن الأئمّة، كيزيد بن معاوية وسائر الحكّام من بنى أمية، ولو أردنا حشر بعض الأفراد الأكثر اعتدالًا، وبالنظر إلى وحدة أهـداف وخطـط بنى أميـة وبنى العباس فإنّه ليست هناك من ضابطـة، ناهيك عن المشـكلة التى يفرزها التقطيع لهـذه السلسـلة الاثنى عشرية من حيث الزمان.

فزعموا أنّ الاثنى عشـر هم الخلفاء الراشـدون وثمانية ممّن سـيأتون لاحقاً وآخرهم المهدى! وعلى هذا الضوء فإن فاصـلة كبيرة تتخلل سلسلة خلفاء النبى صلى الله عليه و آله وهذا ما لا ينسجم قط مع الروايات المذكورة.

۲- وردت فى الفصـل الثانى الروايات التى تشير إلى أنّ عـدد الأئمّـة بعـد النبى صـلى الله عليه و آله كعـدد نقباء بنى إسـرائيل الـذين احصاهم القرآن ۱۲ نقيباً، وقد تضمن ۴۰ رواية من كتب الفريقين والتى تكمل البحث السابق.

۳- الفصل الثالث الذى اشتمل على الروايات التى تصرّح بأنهم ۱۲ إماماً أولهم على عليه السلام وقد بلغت هذه الروايات ۱۳۳ رواية.

۴- تضـمن الفصل الرابع روايات عن مصادر الفريقين صرّحت بأن أوّل الخلفاء على عليه السلام وآخرهم المهدى عليه السلام. وبلغت روايات هذا الفصل ۹۱ رواية.

۵- وردت فى الفصـل السـابق الاشارة إلى الأحاديث التى صـرّحت بأن عـدد الأئمّـة ۱۲ وتسـعة منهم من ولد الحسـين بن على عليهما السلام. وقد تضمن الفصل ۱۳۹ رواية.

۶- بالاضافة إلى ما ورد فى الفصل السابق من أنّ عدد الأئمّة ۱۲ وتسعة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۲

منهم من ولد الحسين بن على عليهما السلام فقد ورد قيد آخر هو «تاسعهم قائمهم» وتضمن هذا الفصل ۱۰۷ رواية.

۷- تضـمن هذا الفصل الأحاديث التى اشارت إلى أسـمائهم، وبعض هذه الأحاديث من طرق العامّة، إلّاأنّ أكثريتها من مصادر الشيعة، وقد اشتمل هذا الفصل على ۵۰ رواية.

إلى جانب الروايات المستفيضة فى الخصائص الجسـمية والروحيـة للمهـدى وعلامات الظهور وكيفية نهضـته وحكومته العالمية وسائر القضايا المتعلقة بهذا القيام العظيم. ويتضح من هذه الأحاديث أنّ المصلح العالمى العظيم، المهدى الموعود يمتاز بالخصائص التالية:

أ) إنّه من أهل بيت النبى صلى الله عليه و آله وولده.

ب) إنّه من ولد الإمام الحسين عليه السلام.

ج) الإمام الثانى عشر من الأئمّة بعد النبى.

د) هو ابن الحسن بن على العسكرى.

ه) صاحب الحكومة العالمية.

و) يتحرر المستضعفون فى عصره من قيود واغلال الاسر، وتنتهى الحروب ويحل محلها الأمن والسلام والبناء.

وكما ذكرنا فإن عدد هذه الروايات من الكثرة بحيث تتطلب بمفردها كتاباً مستقلًا، وحيث أُلفت عدة كتب بهذا الشأن أشرنا سابقاً إلى بعضها، فاننا نتحفظ عن الخوض فى هذه الروايات، ونقتصر على بعض الاشارات فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۳

الأبحاث القادمة لإكمال الأبحاث السابقة.

والمشـكلة فى هـذه المباحث أنها غالباً ما تقتصـر على نقل الروايات دون أدنى تحليل أو مناقشـة، وهـدفنا فى هـذا الكتاب هو الغوص بصورة أعمق فى الأدلة العقلية، والوقوف عند الأدلّة النقلية والروايات وتسليط الضوء عليها.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۵

ملامح انطلاقة النهضة

علامات الظهور

اشارة

هل هنالك من علامات على قرب هذه النهضة العالمية؟

هل يمكن التكهن بأنّ هذه النهضة ستقع الآن أم لا؟

هل يمكن التسريع فى انطلاقة هذه النهضة؟

إن كان هذا الأمر ممكناً، فما هى الوسائل التى من شأنها التسريع فى الزمان؟

لابدّ من القول إنّ الاجابة عن أكثر هذه الأسئلة بالايجاب.

لأنّ أيّة عاصفة عظيمة لا تنطلق دون مقدّمة، ولا تحدث نهضة فى مجتمع بشرى دون علامات مسبقة.

فقد وردت أشارات فى الأحاديث الإسلامية إلى سلسلة من العلامات التى تشير إلى قرب وقوع تلك النهضة الشاملة والتى يمكن تقسيمها إلى قسمين:

الطائفة الاولى: العلامات التى يمكن التكهن بها حسب خصائص كلّ نهضة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۸

الطائفة الثانية: الجزئيات والتفاصيل التى يمكن ادراكها من خلال المعلومات الاعتيادية، وتنطوى فى الغالب على تكهنات اعجازية.

ونشير هنا إلى «ثلاث علامات مهمّة» من الطائفتين:

۱- شمولية الظلم والفساد

العلامة الاولى التى يمكن من خلالها تصور قرب وقوع كلّ نهضة- حتّى هذه النهضة الكبرى- اتساع رقعة الظلم والجور والفساد والتطاول على حقوق الآخرين وأنواع المفاسد الاجتماعية والانحرافات الأخلاقية التى تعد من عوامل سعة الفساد فى المجتمع. فمن الطبيعى أن يختزن الضغط الذى يتجاوز حدّه الانفجار، ذلك لأنّ الانفجارات الاجتماعية على غرار الانفجارات الميكانيكية تستتبع الضغوط الشديدة الزائدة عن الحدّ.

وبالطبع فإنّ سعة الظلم والفساد بوسيلة أمثال «الضحاك» فى كلّ زمان إنّما تسقى شجرة الثورة وترعرع أمثال «كاوه الحداد» عند كورة النار، حتّى إذا اشتدت الأزمة، اقتربت انطلاقة الثورة.

ولعلّ الأمر كذلك بالنسبة لاقتراب النهضة العالمية وظهور المصلح العالمى المهدى.

غاية الأمر وكما أشرنا سابقاً فإنّه ليست هنالك من ضرورة لأن نكون كبعض الأفراد السلبيين فنفكر فى المزيد من الظلم والفساد، بل لابدّ أن نسعى إلى تهذيب أنفسنا والآخرين وإعداد الثُّلة المقتدرة والشجاعة والعالمة التى يمكنها حمل لواء النهضة ومواجهة الظلم والفساد.

على أيّة حال فقد ورد هذا الموضوع فى أغلب الروايات الإسلامية

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۳۹

تحت عنوان «كما ملئت ظلماً وجوراً».

ذكرت عين هذه العبارات فى أغلب الأحاديث التى روتها مصادر الفريقين.

ويستفاد من مجموعها أنّ أوضح علامات النهضة هى هذا الموضوع.

وهنا يرد هذا السؤال: هل يختلف «الظلم» عن «الجور» حيث تكرر هذان العنوانان كثيراً؟

يستفاد من جذور هاتين المفردتين أنّ التجاوز على حقوق الآخرين على نوعين ورد كلّ منهما مستقلًا فى الآداب العربية.

الأوّل: إنّ يهضم الإنسان لنفسه حقّاً آخر ويغتصب عناء الآخرين وهذا ما يسمى بالظلم.

والآخر: أن يسلب الأفراد حقوقهم ويعطيها لآخرين، ويسلط أنصاره على أموال الآخرين أو أنفسهم أو اعراضهم ويميز بينهم لترسيخ دعائم حكومته، وهذا ما يصطلح عليه بالجور. والذى يقابل «الظلم» هو «القسط» ويقابل «الجور» «العدل» «۱».

على كلّ حال فحين يعمّ «التجاوز» بحقوق الآخرين المجتمع البشرى من جانب و «التمييز العنصرى» من جانب آخر، فإنّه يظهر ويطيح بكلّ ذلك.

ما ذكر سابقاً، كليات بشأن سعة الفساد كعامل فى كلّ نهضة.

والجدير ذكره أنّ الروايات الإسلامية قد أشارت إلى هذه العلامات

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۰

والمفاسد وكأنّ هذه التكهنات ليست مرتبطة بالقرون الأربعة عشر الماضية، بل كأنّها وردت فى هذا القرن أو قبل بضع سنوات وقد نلمس اليوم أغلبها وهذا من المعاجز.

ومن ذلك رواية الإمام الصادق عليه السلام التى أشارت إلى عشرات الأنواع من هذه المفاسد ولبعضها جوانب اجتماعية وسياسية واخرى أخلاقية، تدعو مطالعتها إلى تأمل الإنسان واستغراقه فى التفكير. وإليك جانب من متن هذه الرواية:

قال الصادق عليه السلام لبعض أصحابه:

«۱- إذا رأيت الجور قد شمل البلاد.

۲- إذا رأيت القرآن قد خلق واحدث ما ليس فيه ووجه على الأهواء.

۳- إذا رأيت الدين قد انكفأ كما ينكفى الإناء.

۴- إذا رأيت أهل الباطل قد استعلوا على الحقّ.

۵- إذا رأيت الرجال قد اكتفوا بالرجال والنساء بالنساء!

۶- إذا رأيت المؤمن صامتاً.

۷- إذا رأيت الصغير يستحقر الكبير.

۸- إذا رأيت الاحارم قد تقطعت.

۹- إذا رأيت الثناء قد كثر.

۱۰- إذا رأيت الخمور تشرب علانية.

۱۱- إذا رأيت سبيل الخير منقطعاً وسبيل الشر مسلوكاً.

۱۲- إذا رأيت الحلال يحرَّم والحرام يحلَّل.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۱

۱۳- إذا رأيت الدين بالرأى.

۱۴- إذا رأيت المؤمن لا يستطيع أن ينكر إلّابقلبه.

۱۵- ورأيت العظيم من المال ينفق فى سخط اللَّه.

۱۶- ورأيت الولاة يرتشون فى الحكم!

۱۷- ورأيت الولاية قبالة لمن زاد!

۱۸- ورأيت الرجل يأكل من كسب امرأته من الفجور!

۱۹- ورأيت القمار قد ظهر.

۲۰- ورأيت الملاهى قد ظهرت يمر بها لا يمنع أحد أحداً، ولا يجترء أحد على منعها.

۲۱- ورأيت القرآن قد ثقل على الناس استماعه وخف على الناس استماع الباطل.

۲۲- ورأيت الجار يكرم الجار خوفاً من لسانه!

۲۳- ورأيت المساجد قد زخرفت!

۲۴- ورأيت طلب الحجّ لغير اللَّه.

۲۵- ورأيت قلوب الناس قد قست!

۲۶- ورأيت الناس مع من غلب!

۲۷- ورأيت طالب الحلال يذم وطالب الحرام يمدح!

۲۸- ورأيت المعازف ظاهرة فى الحرمين.

۲۹- ورأيت الرجل يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، فيقوم إليه من ينصحه فيقول هذا عنك موضوع!

۳۰- ورأيت المساجد محتشية ممن لا يخاف اللَّه!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۲

۳۱- ورأيت الناس همهم فى بطونهم وفروجهم!

۳۲- ورأيت الدنيا مقبلة إليهم.

۳۳- ورأيت النساء يبذلن أنفسهن لأهل الكفر.

۳۴- ورأيت اعلام الحقّ قد درست.

۳۵- ورأيت الحرب قد أديل من العمران!

۳۶- ورأيت الرجل معيشته من بخس المكيال والميزان.

۳۷- ورأيت الرجل عنده المال الكثير لم يزكِّهِ منذ ملكه.

۳۸- ورأيت الرجل يمسى نشواناً ويصبح سكراناً.

۳۹- ورأيت الناس ينظر بعضهم إلى بعض ويقتدون بأهل الشرور!

۴۰- ورأيت كلّ عام يحدث فيه من الشر والبدعة أكثر ممّا كان!

۴۱- ورأيت الخلق والمجالس لا يتابعون إلّاالأغنياء.

۴۲- ورأيتهم يتسافدون كما تتسافد البهائم!

۴۳- ورأيت الرجل ينفق الكثير فى غير طاعة اللَّه، ويمنع اليسير فى طاعة اللَّه.

۴۴- ورأيت الرجل إذا مرّ به يوم لم يكسب فيه الذنب العظيم...

حزيناً!

۴۵- ورأيت النساء قد غلبن على الملك وغلبن على كل أمر.

۴۶- ورأيت رياح المنافقين دائمة، ورياح أهل الحقّ لا تتحرّك.

۴۷- ورأيت القضاة يقضون بخلاف ما أمر اللَّه.

۴۸- ورأيت المنابر يؤمر عليها بالتقوى، ولا يعمل القائل بما

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۳

يأمر!

۴۹- ورأيت الصلاة قد استخف بأوقاتها.

۵۰- ورأيت الصدقة بالشفاعة لا يراد بها وجه اللَّه...

فكن على حذر واطلب إلى اللَّه النجاة» «۱».

كما ذكرنا فما أوردناه خلاصة من حديث كإشارة لبعض المفاسد التى تسبق النهضة العالمية الكبرى.

ويمكن تقسيم هذه المفاسد إلى ثلاثة أقسام:

۱- المفاسد المتعلقة بقضايا الحقوق والحكومات مثل اتساع الظلم وغلبة حماة الباطل وانعدام حرية البيان والعمل حتّى لا يستطيع المؤمنون انكار الظلم والظلمة سوى بقلوبهم، إلى جانب صرف الأموال العظيمة فى المصارف العبثية أو الضارة والهدامة واتساع الرشوة والمزايدة على المناصب ونزوع الناس الضعفاء والذين يفتقرون إلى الثقافة الصحيحة نحو أصحاب القدرة والغلبة (مهما كان ذلك الشخص) وكذلك انفاق الأموال فى الحروب وسباق التسلح والاهتمام بها أكثر من العمران والبناء (حتّى تكون ميزانية الحرب أكثر من ميزانية البناء).

كما يبتدع كلّ عام سبيل جديد للفساد والظلم والاستعمار، وقل من يشعر بالمسؤولية تجاه المشاكل الاجتماعية حتّى ليوصى بعضهم البعض بالصمت إزاء الأحداث.

۲- المفاسد المرتبطة بالقضايا الأخلاقية من قبيل: اتساع التملق والمجاملة وانهماك الرجال بالأفعال الوضيعة (كالارتزاق عن طريق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۴

المتاجرة بالزوجة!) إلى جانب اتساع الشراب والقمار وأنواع الملاهى المحظورة والقول دون العمل والاستغراق فى الظاهر واحترام الأفراد على أساس الغنى والثراء.

۳- المفاسد ذات الصلة بالامور الدينية من قبيل تحميل الأهواء على القرآن وتفسيره بالرأى والتعصب الشخصى فى القضايا الدينية وتجمهر العصاة فى المساجد، والاهتمام بظاهر المساجد دون باطنها ومحتواها وبالتالى الاستخفاف بالصلاة وما شابه ذلك.

ولو تأملنا قليلًا لرأينا أنّ أغلب هذه المفاسد تسود المجتمعات الراهنة ويتوقع حدوث ما تبقّى منها، وعليه فما الذى ينبغى علينا اعداده لقيام تلك النهضة العظيمة؟

الجواب ما ذكرناه سابقاً وهو أننا نفتقر إلى الوعى المطلوب، بعبارة اخرى رد الفعل البناء والثورى إزاء هذه المفاسد.

على كلّ حال فإنّ ظهور هذه العلامات لوحدها ليست شرطاً فى تحقق تلك النهضة الشاملة؛ بل هى مقدمة لليقظة الفكرية وأسواط لايقاظ الأرواح الغافلة وأرضية لخلق الاستعداد الاجتماعى والنفسى. والعالم مطالب شاء أم أبى بتحليل جذور هذه الاختلالات بالاضافة إلى نتائجها وعواقبها، وهذا ما يؤدى إلى وعى ذاتى عام يوقنُ الناس من خلاله باستحالة مواصلة الوضع السائد ولابدّ من النهضة؛ النهضة على جميع الأصعدة لإرساء قواعد النظام الإلهى العادل الحقّ.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۵

جدير بالذكر أنّه ليس من الضرورى ظهور هذه المفاسد فى كافة أنحاء العالم؛ ويتعذر حصول هذا الشرط لو كان هناك بقعة طاهرة، بل المعيار القضية النوعية للناس سواء كانت فى الشرق أو الغرب. وبعبارة اخرى فإن هذا الحكم كسائر أكثر الأحكام على أساس الاسلوب الغالب.

۲– الدجّال

عادة ما يتبادر إلى الذهن حين الحديث عن الدجّال وعلى ضوء السابقة الذهنية العامة شخص معين ذو عين واحدة وجسد ضخم ودابة خيالية وسيظهر قبل نهضة المهدى العالمية ولديه بعض الخطط والمشاريع.

ولكن كما يستفاد من الأصل اللغوى لكلمة الدجّال من جانب «۱» ومصادر الحديث من جانب آخر أنّ الدجّال لا يقتصر على فرد معين، بل هو عنوان كلى للأفراد المزورين والماكرين والمخادعين الذين يعتمدون مختلف الطرق والوسائل لاستقطاب الآخرين ويظهرون كحجر عثرة أمام النهضة البناءة.

جاء فى الحديث الصحيح الذى أورده الترمذى أنّ رسول اللَّه صلى الله عليه و آله قال:

«إنّه لم يكن نبى بعد نوح إلّاانذر قومه الدجّال وأنا أُنذركموه» «۲».

قطعاً كان الأنبياء السابقون يحذرون قومهم من فتنة الدجّال الذى يظهر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۶

فى آخر الزمان ويبتعد عنهم مدّة آلاف السنين. خاصة أنّه ورد آخر الحديث

«فوصفه لنا رسول اللَّه فقال لعلّه سيدركه بعض من رآنى أو سمع كلامى».

الاحتمال الراجح أنّ ذيل الحديث إشارة إلى الطواغيت الماكرين كبنى أمية وبعض الأفراد مثل معاوية الذى استغل بعض الامور من قبيل «خال المؤمنين» و «كاتب الوحى» إلى جانب سائر المكر والخداع واخراج الناس من الصراط المستقيم إلى السنن والعادات الجاهلية واشاعة الطبقية والحكومة الاستبدادية وتسليط الطالحين والمتملقين على الناس واقصاء الفضلاء والصالحين.

وكما ورد عنه صلى الله عليه و آله فى الدجّال أنّه قال:

«ما من نبى إلّاوقد انذر قومه ولكن سأقول فيه قولًا لم يقله نبى لقومه تعلمون أنّه أعور »....

وتركيز الأحاديث على زمان نوح عليه السلام يمكن أن يكون إشارة إلى أبعد زمان، أو عدم وجود نموذج الدجّال فى الأزمنة التى سبقت نوح، وذلك لأنّ الشريعة الاولى إنّما أتى بها نوح، أو لعدم نفوذ الحيلة والخداع فى المجتمعات البشرية السابقة.

على كلّ حال هناك تفسير لصفة العين الواحدة للدجّال والتى سنتناولها لاحقاً.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۷

جدير ذكره أنّ بعض الأحاديث «۱» صرحت بظهور الدجّال قبل المهدى بثلاثين سنة! كما أشارت الأناجيل إلى ظهور الدجّال.

فقد جاء فى الرسالة الثانية ليوحنا:

«سمعتم بظهور الدجّال فقد ظهر الآن الكثير من الدجّالين». «۲»

فالعبارة تؤكد تعدد الدجّالين.

وجاء فى الحديث:

«قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله لا تقوم الساعة حتّى يخرج نحو من ستين كذّاباً كلّهم يقول أنا نبى» «۳».

ورغم أنّ عنوان الدجّال لم يرد فى هذه الرواية، ولكن يفهم منها اجمالًا أنّ المدعين الكاذبين والمخادعين فى آخر الزمان لا يقتصرون على شخص أو بضعة أشخاص.

على كلّ حال ما لا يمكن الترديد فيه أنّ انطلاقة أية نهضة وفى أى مجتمع تشهد وجود بعض الأفراد الذين يمارسون الحيلة والمكر والخداع على ضوء الابقاء على الأنظمة الفاسدة وديمومة الأوضاع القائمة واستغلال أوضاع الناس الفكرية والاجتماعية وتوظيفها لصالحهم، وأبعد

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۸

من ذلک أنّهم ربّما يطلقون الشعارات الثورية، وهذه إحدى العقبات التى تشكل أعظم موانع الاصلاح والنهضة الأصيلة.

فهؤلاء بعض الدجّالين الذين حذر الرسل منهم أممهم ونبهوهم إلى خطورة خططهم الجهنمية.

غاية الأمر أنّه قبيل ظهور المهدى وتلك النهضة العظيمة والشاملة الحقّة، فإنّ الأرضية الفكرية والنفسية والاجتماعية كلما كانت أكثر اعداداً على النطاق العالمى، تتضاعف انشطة هؤلاء الدجّالين فيأخذون بالظهور الواحد تلو الآخر؛ ليعرقلوا تطور المجالات الثورية ويعتمدوا آلاف الحيل بغية حرف الأفكار العامّة.

طبعاً لا ضير أن يكون هنالک دجّال كبير على رأس الجميع. أمّا العلامات التى ذكرتها بشأنه بعض الروايات فلا تعدو الكتابة والرمز؛ مثلًا، يستفاد من الرواية الواردة فى بحار الأنوار عن أميرالمؤمنين على عليه السلام أنّ الدجّال يتصف ببعض الصفات مثل:

۱- إنّ له عيناً واحدة وسط جبهته تضىء كالنجم! إلّاأنها عين دموية كأنها قطعة من الدم!

۲- له دابة سريعة بيضاء خطوتها ميل وتطوى الأرض بسرعة!

۳- إنّه يدعى الألوهية ويسمع صوته كلّ من فى العالم!

۴- إنّه يغوص فى البحار وتنطلق معه الشمس، بين يديه جبل من الدخان وخلفه جبل أبيض يراه الناس طعاماً.

۵- يظهر حين يعيش الناس القحط و «... ۱».

لا شک أننا لسنا مخولين أن نضفى الرمزية على كلّ مفهوم من المفاهيم الدينية الواردة فى القرآن أو مصادر الحديث، ذلک أنّ هذا الأمر من قبيل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۴۹

التفسير بالرأى الذى نهى الإسلام عنه، والذى يرفضه أيضاً العقل والمنطق، مع ذلک ليس من الصواب الجمود على المفهوم الابتدائى للألفاظ مع وجود بعض القرائن العقلية أو النقلية الواردة بهذا الخصوص والذى يوجب الابتعاد عن المفهوم الأصلى للكلام.

ويبدو أنّ مثل هذه المفاهيم بشأن حوادث آخر الزمان ليست بدعاً من المفاهيم الكنائية، ومن ذلک ما ورد من خبر أنّ «الشمس تطلع من المغرب» «۱».

وهذا من أعقد الامور المرتبطة بهذه القضية والذى لا ينسجم ظاهراً مع العلم الحديث؛ ذلک لأن طلوع الشمس من المغرب يعنى تغيير مسيرة حركة الأرض، فلو حصل هذا الأمر فجأة، لقذف بمياه البحار وكلّ ما على سطح الكرة الأرضية خارجاً ولاضطرب كلّ شىء، ولا يبقى شىء من الحياة، وإن حصل بالتدريج فإنّ طول الليل والنهار يزيد حتّى يتجاوز الشهر والشهرين ويؤدى أيضاً إلى اضطراب الكائنات على سطح الكرة الأرضية!

لكن هنالک تفسيراً رائعاً فى ذيل الحديث الوارد بشأن الدجّال يفيد كنائية هذه العبارة. فراوى الحديث هو «نزال بن سبرة» سأل «صعصعة بن صوحان» أنّ أميرالمؤمنين علياً عليه السلام قال فى آخر كلامه عن الدجّال «لا تسألوا عن الحوادث التى تقع بعد ذلک... » فما كان مراده؟

قال صعصعة:

«إنّ الذى يصلى خلفه عيسى بن مريم هو الثانى عشر من العترة التاسع

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۵۰

من ولد الحسين بن على، وهو الشمس الطالعة من مغربها» «۱».

وعليه فليس هنالک ما يدعو إلى الدهشة فى أنّ للدجّال الذى ورد بالصفات المذكورة بعداً كنائياً. والسؤال هو كيف تفسير ذلک؟

والجواب: لا يبعد أن يكون الدجّال بالصفات المذكورة اشارة إلى قادة المدارس المادية فى العالم، للأسباب التالية:

۱- لهؤلاء عین واحدة هی العین الاقتصادیة والحیاة المادیة؛ فهم لا یرون سوی بعداً واحداً هو المنافع المادیة؛ ویعتمدون مختلف الحیل والألاعیب والسیاسات الاستعماریة بغیة تحقیق أهدافهم، فهم دجّالون ومخادعون فقدوا أعینهم المعنویة والإنسانیة.
إلّا أنّ هذه العین المادیة حادة جدّاً تحقق تطورات باهرة فی المجالات الصناعیة حتّی تفوقوا علی کلّ من سواهم.
۲- لدیهم الوسائل النقلیة الغایة فی السرعة والتی تطوی الأرض فی مدّة قیاسیة بسرعة ربّما تفوق سرعة الصوت!
۳- إنّهم یدعون الألوهیة عملیاً ویسیطرون علی کافة المقدرات ورغم ضعفهم وعجزهم إلّاأنّهم یغزون الفضاء ویصعدون إلی القمر، مع العلم أنّ هزة أرضیة بسیطة أو اصابة إحدی خلایا أجسامهم بالسرطان کافیة للقضاء علیهم، ورغم کلّ ذلک وعلی غرار فرعون یدعون الألوهیة والربوبیة.
۴- یغوصون فی میاه البحار بغواصاتهم المتطورة وینطلقون بوسائلهم السریعة بمسیرة الشمس (وأحیاناً یتقدمون علی مسارها). بین یدیهم
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۵۱
معامل ضخمة یخرج منها الدخان وخلفهم جبال من المنتجات الصناعیة والمعادن الغذائیة (تراها الناس مواد غذائیة وأطعمة سالمة، والحال لیس لها قیمة غذائیة وغالباً ما تکون أطعمة غیر سالمة).
۵- یصاب الناس بقحط وشحة فی المواد الغذائیة- لبعض الأسباب من قبیل الاستغلال والاستعمار والتمییز العنصری وهدر الثروات الضخمة علی الأسلحة ونشوب الحروب وما تؤدی إلیه من دمار شامل واضرار مادیة جسیمة تنعکس سلباً علی حیاة الناس- حتّی یموت البعض جوعاً، والدجّال بصفته العنصر الأصلی فی هذه الاضطرابات یستغل هذه الأوضاع فیسارع إلی اغاثة المحرومین والضعفاء بغیة ترسیخ دعائمه الاستعماریة.
کما ورد فی بعض الروایات أنّ کلّ قطعة من وسیلة الدجّال تتضمن نغمة خاصة وجدیدة، وهو الأمر الذی ینطبق علی کلّ هذه الوسائل المعتمدة فی اللهو واللعب والتی نشاهدها فی البیوت والحدائق العامة وشواطئ البحار.
والمهم فی الأمر هو عدم انخداع العناصر الثوریة، أی جنود المصلح العظیم المهدی الموعود بتلک المظاهر المزیفة وعدم الغفلة عن استغلال أیة فرصة بغیة الاندفاع بکلّ حزم وممارسة النهضة الاصلاحیة فی اشاعة العدل والحقّ.
طبعاً ما ذکرناه تفسیر احتمالی للدجّال علی أساس بعض القرائن المؤیدة، إلّاأنّ قبوله أو عدم قبوله لا یضر بأصل الموضوع، فی أنّ لصفات الدجّال بُعداً کنائیاً، وهو لیس بإنسان یمتاز بهذه الصفات.

۳- ظهور السفیانی

ورد ظهور «السفیانی» کظهور «الدجّال» فی أغلب مصادر الفریقین
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۵۲
بصفته إحدی علامات ظهور المصلح العالمی العظیم، أو إحدی حوادث آخر الزمان «۱».
وإن أشارت بعض الروایات إلی أنّ السفیانی شخص معین من آل أبی سفیانی وأحد ولده؛ إلّاأنّه یستفاد من بعضها الآخر أنّ السفیان لیس فرداً معیناً، بل اشارة إلی صفات وملامح تتجلی فی بعض الأفراد علی طول التاریخ. فقد ورد عن الإمام علی بن الحسین علیهما السلام أنّه قال:
«أمر السفیانی حتم من اللّه ولا یکون قائم إلّابسفیانی» «۲».
ویتضح من هذا الحدیث أنّ للسفیانی جانباً توصیفیاً لا شخصیاً وصفاته هی خططه وخصائصه، کما یستفاد أنّ هنالک سفیانیاً (أو أکثر) تجاه کلّ رجل ثوری ومصلح حقّ.

وورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«أنا وآل أبى سفيان أهل بيتين تعادينا فى اللَّه. قلنا صدق اللَّه وقالوا كذب اللَّه: قاتل أبو سفيان رسول اللَّه صلى الله عليه و آله وقاتل معاوية على بن أبى طالب عليه السلام وقاتل يزيد بن معاوية الحسين بن على عليه السلام والسفيانى يقاتل القائم» «٣».

وقد تعرفنا فى المبحث السابق على دور الدجّالين فى مضادة الثورة الاصلاحية.

ونحاول هنا التعرف على خطط السفيانى الشيطانية؛ وذلك لضرورة التعرف على كافة العناصر المناوئة والمناصرة للمشروع العالمى بغية تحقق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٥٣

المفهوم الصحيح للانتظار.

يمتاز أبو سفيان زعيم السلسلة السفيانية ببعض الصفات مثل:

١- الثراء الفاحش الذى ناله من خلال غصب حقوق الآخرين والمعاملات الربوية المحرمة.

٢- القدرة والقوة التى حصل عليها بواسطة الطرق الشيطانية فتزعم الأحزاب الجاهلية فى مكّة ونواحيها، وكانت خلاصة شخصيته فى هذين الأمرين.

وكانت له حكومة فى مكّة قبل انبثاق الدعوة، إلّاأنّ هذه الحكومة تهددت بالزوال بعد ظهور الإسلام، ذلك لأن الإسلام إنما يعادى هؤلاء الأفراد الذين يتمتعون بالقدرات الشيطانية، ومن هنا فقد كان أبو سفيان عدواً لدوداً للإسلام.

٣- كان أبو سفيان مظهر النظام الطبقى الظالم فى المجتمع المكّى، ولذلك بذل كلّ دعمه واسناده للوثنية وعبادة الأصنام؛ فالأصنام أفضل وسيلة لإثارة النفاق وتخدير الآخرين، وبالنتيجة التسلط عليهم وفرض السيطرة.

وسر معارضته للإسلام- كما قلنا- أنّ الإسلام زعزع أركان سلطته وكشف النقاب عن شخصيته المريضة، ومن هنا فلم يألو جهداً من أجل القضاء على الدعوة الإسلامية. لكن انتهى الأمر إلى تحطيم كافة معاقل قوته ليعيش التقوقع والانزواء وإلى الأبد، رغم بعض تحركاته السرية المشبوهة.

وقد نقل كلّ هذه الصفات- من خلال التربية والوراثة- إلى ولده معاوية ومن ثمّ حفيده يزيد، فتابعا خطط أبى سفيان- بصورة اخرى- وإن فشلا فى تحقيق أهدافهما.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٥٤

كان أبو سفيان رجلًا رجعياً بمعنى الكلمة شعر بالهلع من الدعوة الإسلامية، ذلك لأن الإسلام تضمن المشاريع الاصلاحية الشاملة التى غيّرت كافة الأوضاع الفاسدة فى ذلك المجتمع المتخلف، وهو التغيير الذى يطيح بهذه الرموز الفاسدة كأبى سفيان وأمثاله.

ومن هنا ندرك سبب سعى ولده واسلافه للقضاء على الإسلام واعادة الامّة إلى العصر الجاهلى، وإن لم يكتب لهم النجاح؛ مع ذلك فقد سددوا ضربات موجعة حالت دون تطور المسلمين وانتشار الإسلام.

ولا نريد الابتعاد عن أصل الموضوع فقد طالعتنا الأحاديث السابقة أنّ ظهور أبى سفيان بهذه الصفات لم يكن من خصائص النهضة الإسلامية، فازاء كلّ قائم ومصلح هناك أبو سفيان بتلك الخصائص من قبيل الثراء والقدرة والظلم والرجعية واشاعة الخرافات، والذى يسعى إلى القضاء على جهود المصلح وخططه الاصلاحية، أو على الأقل الحيلولة دون انتشار الاصلاح.

وسيكون هنالك سفيانى أو أكثر يقف بوجه المصلح العالمى العظيم «المهدى» والذى يسعى بكلّ ما اوتى من قوة لعرقلة المسيرة الاصلاحية للمهدى والحيلولة دون فناء الأنظمة الطبقية الظالمة التى تسعى لاستغلال الامّة ونهب ثرواتها وخيراتها.

ولعلّ الفارق الرئيسى بين السفيانى والدجّال أنّ الدجّال يعتمد الزيف والخداع والحيلة فى ممارساته الشيطانية، بينما يعتمد السفيانى على قدراته الجهنمية الهدامة فى أفعاله، حيث ورد فى بعض الأخبار أنّه يستولى على

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۵۵

المناطق العامرهٔ فی الأرض «۱».

والذی ندرک نظیره فی حکومهٔ أبی سفیان ومعاویهٔ ویزید کما یفید التاریخ.

نعم، لیس هنالک ما یمنع أن یکون السفیانی الذی یقف آخر الزمان بوجه المصلح العالمی الکبیر «المهدی» من ولد أبی سفیان واحفاده الذین ینتمون إلیه کما ورد فی بعض الأخبار.

لکن الأهم من مسألهٔ النسب أنّ مشاریعه وصفاته وخصائصه وجهوده ومساعیه کنظیرتها لدی أبی سفیان. وستکون عاقبهٔ هذا السفیانی کسائر من سبقه، الرکوع أمام حرکهٔ المهدی العالمیهٔ والاستسلام لها وتذهب کلّ جهوده ومساعیه أدراج الریاح.

والأهم من کلّ ذلک أن یتعرف الناس علی نماذج «الدجّال» و «السفیانی». وینطوی هؤلاء السفیانیون- بغض النظر عن العلامات المذکورهٔ- علی صفهٔ اخری واضح نموذجها فی التاریخ الإسلامی وهی:

أنّهم یقصون الصلحاء من مسرح الحیاهٔ ویستعیضون ببعض الأفراد الطالحین والمنحرفین، یتقاسمون بیت المال- کما ورد فی حکومهٔ اسلاف أبی سفیان- مع بطاناتهم وذویهم، ویعتمدون التمییز بین الناس وهضم حقوقهم، وهکذا یمکن من خلال هذه الصفات التعرف علیهم.

فالدجّالون یشکلون الصفوف المشبوههٔ فی الجبههٔ المناهضهٔ للنهضهٔ،

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۵۶

اما السفیانیون فیمثلون الصفوف المضادهٔ للنهضهٔ علانیهٔ، ولکلیهما فی الواقع موقف واحد، وبالطبع لیس هنالک من ضمانهٔ لتقدم هذه النهضهٔ ودیمومتها دون القضاء علی هذه الجبههٔ.

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۵۷

العقیدهٔ الشیعیهٔ فی المهدی علیه السلام

اشارهٔ

والأسئلهٔ التی تفرزها تلک العقیدهٔ

المهدی ثانی عشر خلفاء النبی صلی الله علیه و آله

ما أوردناه لحدّ الآن فی هذا الکتاب بشأن «المصلح العالمی المطلق» و «مشاریع المهدی الثوریهٔ» کانَ جانباً کلیاً عقلیاً، وآخر إسلامیاً کلیاً. إلّاأنّ هنالک بعض الخصائص التی تتمیز بها العقیدهٔ الشیعیهٔ المستندهٔ لمدرسهٔ أهل البیت علیهم السلام. وسنسلط الضوء هنا علی بعض هذه الخصائص ومنها:

۱- عقیدهٔ الشیعهٔ هی أنّ المهدی هو ثانی عشر خلفاء النبی صلی الله علیه و آله وابن الإمام الحسن العسکری علیه السلام، اسمه محمّد وکنیته أبو القاسم ولقبه المهدی وصاحب الزمان والقائم.

۲- المهدی حی الآن وقد مضی علیه أکثر من ألف سنهٔ حیث ولد سنهٔ ۲۵۵ ه.

۳- إنّ المهدی رغم حیاته الآن، إلّاأنّه غائب عن الأنظار، أی رغم أنّه یتمتع بحیاهٔ طبیعیهٔ، إلّاأنّه یعیش بصورهٔ مجهولهٔ فی هذا العالم.

أمّا سائر الفرق الإسلامیهٔ- سوی القلهٔ- فتعتقد أنّه سیولد آخر الزمان وإن کان من نسل النبی صلی الله علیه و آله. وعلیه فهی لا تقول بهذا العمر المدید له والغیبهٔ الطویلهٔ، وبالطبع فإن القلیل من العامّهٔ تری أنّه من ولد الإمام الحسن

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۶۰

العسکری علیه السلام.

علی کلّ حال فإن عقیدة الشیعة تثیر ثلاثة أسئلة:

السؤال الأوّل:

وهو السؤال الوارد بشأن طول العمر والمطروح منذ قدیم الزمان وهو:

کیف یمکن أن یعمر الإنسان هذه المدة، والحال لم نر من تجاوز عمره المئة إلی المئة وعشرین سنة! فکیف یمکن توجیه ذلک العمر الطویل علی ضوء الأعمار المتعارفة والتی نشاهدها لدی الناس من حولنا؟

السؤال الثانی:

بشأن فلسفة هذه الغیبة الطویلة وهو: ما سرّ غیبة زعیم المجتمع الإسلامی کلّ هذه المدّة المدیدة؟

السؤال الثالث:

الذی یرتبط بالسؤال الثانی- وإن کان مستقلًا- حول فائده وجود الإمام فی عصر الغیبة، فما الدور الذی یلعبه هذا الزعیم الذی لا ارتباط له باتباعه ولا یستطیع الناس رؤیته والاستفادة من زعامته؟ بعبارة اخری فإن حیاته فی هذه المدة حیاة خصوصیة وشخصیة لا اجتماعیة وفی اطار الزعامة.

ینبغی أن نخوض بادئ الأمر فی أدلة الشیعة بشأن الاعتقادات الثلاثة.

ثمّ نری کیف تتم الاجابة عن الأسئلة الثلاثة:

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۶۱

لابدّ هنا من ذکر هذه النقطة، إنّ الأدلة العقلیة لا یمکنها أبداً الترکیز علی شخص معین، وغالباً ما تکون نتائج هذه الأدلّة کلیة.

وروایات العامّة فی المهدی علیه السلام غالباً ما تکون کلیة، ولا تتحدث سوی عن شخص من أهل بیت النبی صلی الله علیه و آله لقبه المهدی واسمه محمّد (علی غرار اسم النبی)؛ باستثناء بعض الروایات التی صرحت بخصائص أبیه أو أجداده والتی تنطبق علی عقائد الشیعة، کهاتین الروایتین:

۱- روی الشیخ سلیمان القندوزی من علماء العامّة فی کتابه المعروف (ینابیع المودة) عن کتاب (فرائد السمطین) عن ابن عباس: إنّ رجلًا یهودیاً دخل علی النبی صلی الله علیه و آله وجعل یسأله عدّة أسئلة وما أن سمع الأجوبة حتّی أشرق نور الإسلام فی قلبه، وکان ممّا سأل:

«مَن وصیُّک»؟ فلکلّ نبی وصیّ ووصیّ موسی یوشع بن نون.

فقال النبی الأکرم صلی الله علیه و آله:

«إنّ وصییّ علی بن أبی طالب وبعده سبطای الحسن والحسین تتلوه تسعة أئمّة من صلب الحسین».

فسأله الیهودی عن أسمائهم فقال صلی الله علیه و آله:

«إذا مضی الحسین فابنه علی؛ فإذا مضی علی فابنه محمّد؛ فإذا مضی محمّد فابنه جعفر؛ فإذا مضی جعفر فابنه موسی؛ فإذا مضی موسی فابنه علی؛ فإذا مضی علی فابنه محمّد؛ فإذا مضی محمّد فابنه علی؛ فإذا مضی علی فابنه الحسن؛ فإذا مضی الحسن فابنه الحجّة محمّد المهدی فهؤلاء اثنا عشر »....

ثمّ سأله عن كيفية وفاتهم فأجابه صلى الله عليه و آله ثمّ قال:

«وأنّ الثانى عشر من ولدى يغيب حتّى لا يرى، ويأتى على امّتى بزمن

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۲

لا يبقى من الإسلام إلّااسمه، ولا يبقى من القرآن إلّارسمه فحينئذٍ يأذن اللَّه تبارك وتعالى له بالخروج فيظهر اللَّه الإسلام به ويجدده ....»

فلما اعتنق اليهودى الإسلام أنشد شعراً أشار فيه إلى أوصياء النبى صلى الله عليه و آله حتّى قال:

«آخرهم يسقى الظماء وهو الإمام المنتظر» «۱».

۲- كما ورد فى هذا الكتاب عن «عامر بن وائلة» آخر من مات من صحب النبى صلى الله عليه و آله نقلًا عن على عليه السلام أنّ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله قال:

«يا على أنت وصيى، حربك حربى، وسلمك سلمى، وأنت الإمام وأبو الأئمّة أحد عشر الذين هم المطهرون المعصومون ومنهم المهدى الذى يملأ الأرض قسطاً وعدلًا» «۲».

أمّا عن طرق أهل البيت فقد وردت عدة روايات فى المهدى عليه السلام وأنّه الحادى عشر من ولد على عليه السلام والتاسع من ولد الإمام الحسين وابن الإمام الحسن العسكرى، لا- يسعنا ذكرها جميعاً فى هذا الكتاب الذى راعينا فيه الاختصار، وعليه نشير إليها باختصار ومن أراد المزيد فليراجع كتاب «منتخب الأثر فى أحوال الإمام الثانى عشر».

فقد تضمن هذا الكتاب روايات بشأن والد وأجداد المهدى، ورد أغلبها عن طريق أهل البيت ومنها:

۹۱ رواية فى أنّ الأئمّة ۱۲ أولهم على عليه السلام وآخرهم المهدى عليه السلام.

۹۴ رواية أنّ آخر الأئمّة المهدى عليه السلام.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۳

۱۰۷ رواية أنّ الأئمّة ۱۲ تسعة منهم من ولد الحسين عليه السلام وتاسعهم قائمهم.

۵۰ رواية فى أسماء الأئمّة الاثنى عشر وأنّ آخرهم المهدى. وهكذا يمتاز أتباع هذه المدرسة وعلى أساس المدارك المذكورة بتشخيصهم للمهدى عليه السلام بجميع خصائصه.

جدير بالذكر هنالك العديد من الأحاديث فى مصادر العامة الروائية المعتبرة والمشهورة فى أنّ الأئمّة اثنا عشر (بشكل كلى وعام) وكما أشرنا سابقاً فإنّه يتعذر التفسير المنطقى لهذه الروايات سوى من خلال الاقرار بنظرية الشيعة.

وقد عبرت بعض الأحاديث كحديث «صحيح البخارى» و «صحيح الترمذى» عن الأئمّة باثنى عشر أميراً «۱»، واثنى عشر خليفة «۲» وفى «صحيح مسلم» وفى صحيح أبى داود كذلك اثنى عشر خليفة «۳»، ووردت فى مسند أحمد بعشرات الطرق اثنى عشر خليفة.

فهل يمكن انكار كلّ هذه الأحاديث فى المصادر المعتبرة؟!

فهل يكتمل هذا العدد من خلال اضافة خلفاء بنى امية كمعاوية ويزيد وعبدالملك، أم بنى العباس كهارون والمأمون والمتوكل إلى الخلفاء

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۴

الأربعة؟!

والسؤال هو من هم هؤلاء الخلفاء الاثنا عشر الذين سماهم النبى الأكرم صلى الله عليه و آله ومدحهم؟ لابدّ من جواب منطقى- من قبل غير أتباع مدرسة أهل البيت الذين يؤمنون بالأئمّة الاثنى عشر- حيث يتعذر اعتبار خلفاء بنى أمية والعباس الذين حرفوا الحكومة الإسلامية عن مسارها الصحيح وارتكبوا مختلف الجرائم والجنايات للقضاء على الإسلام وتشويه مفاهيمه الحقّة، هم أوصياء النبى

صلى الله عليه و آله.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۵

الأسئلة الثلاثة المهمة

۱- سر طول العمر

اشارة

طرح الاشكال: قلنا اشكل على عقيدة الشيعة فى المهدى، ومضمون الاشكال: لو كان ابن الإمام العسكرى وولد من أُمّه نرجس سنة ۲۵۵ ه وما زال حيّا إلى الآن، فهذا يعنى مضى أكثر من ألف سنة على عمره، والحال ليست مشاهداتنا اليومية تدلنا على مثل هذا العمر لبعض الأفراد، ولا يقر ذلك، العلم المعاصر، كما لم يتضمن التاريخ نموذجاً لذلك.

مناقشة وتحقيق:

نوافق القول السابق فى أنّ الأعمار الطبيعية والعادية التى نراها غالباً لدى الأفراد لا تتجاوز المئة عام ويندر أن تبلغ مئة وعشرين، ومن بلغ فى عصرنا المئة والخمسين أو الستين من عمره فذلك يعتبر من نوادر العالم «۱».

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۶

ولكن لا يمكن التسليم بهذه القضية على مستوى البحث العلمي والتحقيق بشأن طول العمر، ولابدّ من تسليط الضوء على الامور التالية:

هل للعمر الطبيعى مقدار معين؟ ماذا يقول علم الفسلجة بهذا الخصوص؟

هل هناك طريق لاطالة عمر الإنسان؟

هل يشاهد اليوم بعض الأفراد الاستثنائيين على صعيد البنية البدنية والروحية والعضوية واختلاف الحواس وسائر الصفات العامة البشرية بالنسبة للآخرين أم لا؟

هل ورد فى التاريخ بعض الأفراد الذين عمروا مدة طويله أكثر ممّا هى عليه اليوم؟

والأهم من كل ذلك لابدّ من الوقوف عند الأفراد الذين طرحوا هذا الاشكال وآرائهم الدينية المختلفة؟

هل للعمر الطبيعى حدّ ثابت؟

للبطارية الصغيرة عمر معين؛ مثلًا تعمل ۲۴ ساعة ثمّ تنتهى قوتها.

كما يعمل المصباح الكهربائى مثلًا ألف ساعة ثمّ يحترق.

كما تعمر السيارة مثلًا ۲۰ سنة.

وهكذا سائر الصناعات البشرية التى تمتاز بعمرها المعين ولها حدّ متوسط. طبعاً لهذه الأجهزة عمر أطول إن كانت هناك عناية بها والعكس صحيح.

ومن هنا لدينا عدة أعمار فى عالم الطبيعة، فهناك بعض الذرات التى لا

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۶۷

تعمر أكثر من واحد على الألف من الثانية، وربّما مئة على المليون من الثانية، بينما هناك بالمقابل عمر الكرة الأرضية الذى قد يبلغ

خمسة آلاف مليون سنة.

وعليه لابدّ أن نرى هل عمر الكائنات الحية في الطبيعة على غرار عمر الأجهزة الصناعية؟ مثلًا متوسط عمر الإنسان ۸۰ سنة، الطير ۵ سنوات، الحشرة عدة أشهر والشجرة ۱۵۰ سنة وبراعم الورد ۶ أشهر؟

كانت طائفة من العلماء في السابق تعتقد بوجود عمر طبيعي في الموجودات الحية مثلًا:

بافلوف: يعتقد أنّ العمر الطبيعي للإنسان ۱۰۰ سنة.

مجينكوف: يعتقد أنّ العمر الطبيعي للإنسان ۱۵۰- ۱۶۰ سنة.

كوفلاند: الطبيب الالماني الذي يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۲۰۰ سنة.

فلوغر: الفيزيائي المشهور الذي يعتقد أنّ متوسط عمر الإنسان ۶۰۰ سنة.

وأخيراً الفيلسوف والعالم الانجليزي بيكن الذي يعتقد أنّ عمر الإنسان ۱۰۰۰ سنة.

إلّا أنّ هذه الفكرة مرفوضة اليوم من قبل علماء الفسلجة حيث ابطلوا الحد الثابت للعمر الطبيعي. قال البروفسور اسميث استاذ جامعة كولمبيا «كما كسر حاجز الصوت وظهرت الوسائط النقلية التي تفوق سرعة الصوت فاننا سنشهد في خاتمة المطاف كسر حاجز سن الإنسان».

الحكومة العالمية للإمام المهدي(عج)، ص: ۱۶۸

والدليل الحي الذي يمكن اقامته لاثبات هذه الفكرة، التجارب التي أجراها العلماء على مختلف الحيوانات والنباتات حتّى تمكنوا في ظلّ بعض الظروف الاختبارية مضاعفة عمر بعض الكائنات الحية إلى اثني عشر ضعفاً.

فمثلًا التجارب التي أجريت على بعض النباتات التي لا تعمر أكثر من اسبوعين اثبتت إمكانية مضاعفته إلى ستة أشهر.

ولو افترضت مثل هذه الزيادة بالنسبة لعمر الإنسان فإنّه يمكن أن يعمر بعض الأفراد لأكثر من ألف سنة.

والتجربة الاخرى التي أجروها على بعض حشرات الفاكهة والتي لها عمر قصير جدّاً أدّت إلى زيادتها بنسبة تسعمائة ضعف.

ولو أصبح هذا الازدياد العجيب ممكناً بالنسبة للإنسان لأمكنه أن يعمر إلى أكثر من سبعين ألف سنة.

طبعاً لا نرغب بمثل هذا العمر المتعب ولا نقبل به وإن منحناه مجاناً، فنحن كما قيل شعرنا بالاعياء من تعميرنا ليومين، فما عساك تفعل يا خضر وأنت بهذا العمر الخالد الأبدي.

ولو فرض قبولنا بهذا العمر فإن الكرة الأرضية ليست مستعدة لقبول كلّ هذه الأعداد! نعم هدفنا الدراسة العلمية لقضية طول العمر. ونعلم أنّ أغلب علماء البايلوجي اليوم يعكفون على دراسة مسألة طول عمر الإنسان، فلو لم يكن هذا الأمر ممكناً، لبدت هذه الدراسات عبثية.

ويعتقد علماء الأغذية أنّ لطول العمر علاقة وطيدة باسلوب التغذية والظروف الاقليمية؛ فقد أجروا بعض التجارب والدراسات لطول عمر ملكة

الحكومة العالمية للإمام المهدي(عج)، ص: ۱۶۹

النحل التي تعدل عدة أضعاف الملكات العادية فتوصلوا إلى أنّ هذا الموضوع معلول لطعام معين تعده العاملات لتغذية الملكة والذي يختلف عن العسل المتعارف، فاعتقد البعض أنّ اعداد مقدار أكبر من هذا الطعام الجلاتيني يمكنه أن يضاعف عمر الإنسان.

ويقول علماء النفس أنّ طول عمر الإنسان يعتمد إلى حدّ كبير على طريقة تفكيره وعقائده، والعقائد الروحية البناءة والمستقرة تسهم في إطالة عمر الإنسان.

ويرى فريق من الأطباء أنّ الشيخوخة نوع من التوعك الذي يصيب الإنسان إثر تصلب الشرايين أو بعض الاختلالات العضوية لبدنه، ولو استطعنا التغلب على هذه العوامل عن طريق التغذية الصحيحة والأدوية المؤثرة لقضينا على الشيخوخة وتمتعنا بعمر طويل.

وكلّ هذه الامور تثبت بوضوح أنّ قضية العمر الطبيعى المحدود ليست أكثر من خرافة، ولا يمكن التكهن بعمر للكائنات الحية.

والحقّ أنّ قضية إطالة عمر الإنسان أصبحت أكثر جدية إثر الرحلات الفضائية والصعود إلى القمر، ذلك لأنّه أصبح من المسلم أنّ عمارنا القصيرة لا تتناسب وطى المسافات النجومية العظيمة، فالتقدم خطوة واحدة فى هذا العالم الفسيح بالسفن الفضائية الحديثة يتطلب أحياناً آلاف السنين من العمر، وأكثر من ذلك بعشرات آلاف السنين للوصول إلى الطرق الأبعد، ومن هنا فكّر العلماء فى طريقة اخرى لإطالة عمر الإنسان تتمثل فى التجميد.

ولعلّ هذا الموضوع كشف لأوّل مرة من خلال مشاهدة بعض الكائنات الحية التى احتفظت بحياتها خلال عملية التجميد الطبيعى؛ مثلًا عثروا قبل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٧٠

مدة على حوت منجمدة فى وسط الثلوج القطبية حيث يفيد وضع طبقات الثلج أنّها تعود لقبل خمسة آلاف سنة.

وظنوا فى البداية أنّها ميتة، وحين وضعوها فى ماء مناسب أخذت بالحركة مثيرة الدهشة، فاتضح أنّها كانت حيّة منذ خمسة آلاف سنة غير أنّها كانت تعيش تلك الفترة بصيصاً من الحياة! ومن هنا فكّروا فى أن يجرّبوا هذه الطريقة على الإنسان، فمثلًا، لو بعثنا بجالس فى سفينة فضائية إلى نقطة بعيدة وعرّضناه لحالة تجميد ويصل مقصده بعد مئات أو آلاف السنين فإن بدنه سيعود إلى حالته العادية تدريجياً وستحل مشكلة طول العمر فى الرجلات الفضائية.

وقد فكر بعض الأطباء الآن بهذه الطريقة بالنسبة للمرضى الذين لم يتوصل الطب إلى سبيل علاجهم كأن يكون المريض مصاباً بالسرطان، فيرون ضرورة تجميد هؤلاء المرضى فى نوم عميق- أو بما يفوق النوم- ومثلًا حين سيكشف علاجه بعد قرنين يعادون إلى حالتهم الأصلية ويخضعون للعلاج.

وتفيد كلّ هذه الأبحاث والدراسات أنّه ليس هنالك من حد ثابت للعمر بالنسبة للإنسان وسائر الكائنات الحية من وجهة النظر العلمية.

الاستثناء من الأفراد:

لو أغمضنا عن البحث السابق ونفرض أنّ للإنسان بطبعه الابتدائى حدّاً ثابتاً من العمر؛ مع ذلك فإنّه لا يمكن تعميم هذا الموضوع على كافة الأفراد، وذلك لوجود الاستثناءات دائماً بين الكائنات الحية والتى لا تنطبق على

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٧١

الضوابط السائدة فى العلوم الطبيعية والتجريبية، حتّى أنّ العلم ليعجز أحياناً عن تفسيرها.

فقد لوحظ بعض الأفراد الذين يتمتعون بحواس وإدراكات وطاقات استثنائية خارقة للعادة، فقد نلاحظ بعض الأفراد لنوع خاص من الأشجار أو الحيوانات التى لها نمو معين وعمر كذلك، التى تتجاوز جميع ضوابطها وتبدو بصيغة استثنائية مثلًا:

١- شاهد بعض السياح الذين زاروا اسكتلندا شجرة عجيبة ومذهلة يصل قطرها إلى ٩٠ قدماً ويقدر عمرها بخمسة آلاف سنة.

٢- يبلغ طول شجرة فى كاليفورنيا مئة متر، وقطرها فى الجانب الأسفل عشرة أمتار ويقدر عمرها بستة آلاف سنة.

٣- هناك شجرة من بين الأشجار التى تنبت فى جزر الكنارى من نوع (الصندم) لفتت انتباه العلماء؛ الشجرة التى يقال أنّه منذ اكتشاف هذه الجزيرة (أى قبل خمسمئة سنة) لم تسجل لحد الآن أيّة حالة نمو وتغيير! مع ذلك يبدو أنّها تتمتع بعمر طويل بحيث لا يبدو عليها آثار مضى الزمان، ومن هنا يعتقد بعض المتخصصين أنّها كانت موجودة قبل خلق آدم!

٤- توجد بعض الأشجار فى المناطق الاستوائية المعمرة كثيراً ولا ينتهى عمرها أبداً فهى فى حالة غضة دائماً.

٥- شوهدت بعض الحلزونات المعمرة آلاف السنين، كما اكتشف العلماء حيتان يقدر عمرها بثلاثة ملايين سنة.

٦- ترى بعض الأفراد بين الناس يقومون ببعض الأعمال المذهلة التى يصعب الوثوق بها حتّى لمن يراها. فمن منا لم يقرأ فى الصحف

بعض

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۲

الأخبار بشأن الأفراد الذین یقومون ببعض الأعمال التی تفوق البصر کأن یطوی بعض الأجسام الفلزیة کالملعقة والشوکة دون أن یشیر لها بیده! وقد قاموا بتلک الأفعال أمام أنظار المراسلین حتّی صورهم التلفاز الانجلیزی حتّی أذعن الانجلیز بعدم وجود خدعة فی مثل هذه الأفعال، والواقع هو أنّ هذه الامور استثنائیة حقّاً.

ولعلّ الجمیع سمع عن ذلک الفتی الایرانی الذی یتناول المصباح والزجاج وکأنّها أطعمة، والحال لو تناول ذلک بعض الأفراد العادیین لانبغی خضوعهم لعملیة جراحیة! قرأت فی بعض الصحف عن شخص یتمتع بقوّة خارقة تمکن من ترویض الحیوانات الوحشیة والمفترسة وهو یقترب منها دون خوف.

وقیل فی سیرة ابن سینا ذلک الطبیب والفیلسوف المعروف أنّه کان یحفظ فی المکتب کلّ ما کان یقرأه التلامیذ للُاستاذ؛ وقد ألم فی بخاری فی العاشرة من عمره ببعض العلوم التی أثارت دهشة الآخرین؛ وتصدی فی الثانیة عشرة من عمره للفتیا، فکان یفتی فی بخاری.

ألف فی السادسة عشرة کتابه (القانون فی علم الطب) وهوالکتاب الذی درس لقرون فی الجامعات الأوروبیة الطبیة، أما الأخبار التی نقلت فی حدّة نظره وشدّة سمعه فمما تثیر الدهشة، ولا یسعنا التطرق إلیها «۱».

کلّ هؤلاء أفراد استثنائیون یتمتعون ببعض الخصائص التی یعجز عن تفسیرها العلماء کونها لا تنسجم مع الضوابط والمقررات السائدة لدی الجنس البشری، إلّاأنّ عدم الانسجام هذا لا یمنع من أن نذعن لها ونقر

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۳

بوجودها.

کما نقر من خلالها بقانون کلی فی أنّ ما نشاهده فی «النباتات» و «الأحیاء البحریة والصحراویة» و «الناس» لیس بقانون عام ودائمی؛ بل من الممکن أن یکون فیها بعض الأفراد الاستثنائیین بصفات خاصة خارقة للعادة سواء من حیث العمر أو القدرة الروحیة والبدنیة، ووضعها الاستثنائی لا یدلّ أبداً علی عدم علمیة قبولها؛ بل لابدّ أن نذعن بأنّ دائرة جمیع المقررات والضوابط التی یتبناها العلم تقتصر علی الأفراد العادیین، والاستثناء من الأفراد خارجون عن دائرة هذه المقررات.

أصحاب الإشکال:

إن کان إشکال طول عمر المهدی علیه السلام یطرح من قبل المادیین الذین یرون کلّ شیء بمنظار القوانین الطبیعیة، فالجواب ما ذکرناه سابقاً، أما إن طرح من قبل أتباع الأدیان کأتباع موسی علیه السلام وعیسی علیه السلام والاخوة من أبناء العامة، فإضافة لما ذکرنا، فإننا نورد بعض الامور ومنها:

۱- إنّهم یعتقدون بقدرة اللّه المطلقة وخوارق أنبیائه ورسله ومعجزاتهم، بعبارة اخری یؤمنون بأنّ قوانین الطبیعةخاضعة لقدرة اللّه لا محکومة لها، فهل شفاء المرضی الذین یصعب شفاؤهم عن طریق الطب، أو إحیاء الموتی من قبل المسیح، أو سائر المعجزات من موسی علیه السلام بواسطة العصا (التی تعتبر قطعة خشبیة غیر ذات قیمة) والید البیضاء وعبور النیل بتلک الطریقة الخارقة للعادة من الامور التی تنسجم مع الضوابط الطبیعیة المتداولة؟

لا شک أنّ تفسیر کافّة أتباع الأدیان لمثل هذه الظواهر هو فاعلیة اللّه فی

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۴

تأثیر جمیع القوانین والأسباب الطبیعیة، وإن أراد شیئاً آخر تحقق، وإرادته تفوق العلل الطبیعیة. ولو کان الوضع منذ البدایة کذلک فی

أنّ الإنسان يحيى مرة اخرى بعد الموت أو الذى يولد أعمى يبصر بعد مضى مدة من الزمان أو يكون متوسط عمر الإنسان ألف سنة، فهل هنالك من يتعجب من هذه الامور ويراها مخالفة للعقل ...؟ قطعاً لا!

وعليه فإنّ نقض مثل هذه القوانين ليس بنقض لحكم عقلى ومنطقى، بل نقض لحالة عادية ألِفناها على ضوء مشاهدة الأفراد العاديين.

۲- يعتقد النصارى أنّ أعداء المسيح عليه السلام صلبوه ودفنوه، ثمّ نهض من بين الموتى وعرج إلى السماء وهو حى الآن. والمسلمون أيضاً يرونه حياً، رغم عدم قبولهم بصلب عيسى وقتله على ضوء القرآن، وهذا ما يقره كافّة علماء الإسلام- سوى القلّة القليلة- ولو كان هذا الاستثناء ليس خلافاً للعقل، ويمكن أن يحيى الإنسان مجدداً بعد موته ودفنه ويعمر ألف سنة، فكيف يعتبر الكلام عن عمر طويل فقط لأكثر من ألف سنة محالًا وغير منطقى!

۳- لا يوجد مسلم ينكر طول عمر نوح، ذلك لأنّه ممّا صرّح به القرآن فى أنّه استغرق تسعمئة وخمسين سنة فقط فى الدعوة إلى عبادة اللّه والتوحيد «فَلَبِثَ فِيهِم أَلَف سَنَةٍ إلَّاخَمْسِينَ عاما» «۱»

. كما سمعنا الكثير عن الخضر وعمره الطويل.

العجيب أنّ طائفة أقرت بكلّ هذه المطالب، غير أنّها ما أن تصطدم بعقيدة الشيعة بشأن طول عمر المهدى حتّى تصاب بالذهول والدهشة والتنكر

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۵

لذلك، وأحياناً يكتفون بابتسامة عريضة تفيد تعارض هذه العقيدة مع العقل والمنطق...!!

وهذا نموذج واضح للازدواج!

ولكن كما قلنا فإنّ مسألة طول العمر وبغض النظر عن العقائد الدينية بشأن قدرة اللّه وقضية الاعجاز، فإنّها تنسجم تماماً ومنطق العلوم الطبيعية الحديثة، أمّا المشكلة الوحيدة فهى ضرورة تحرير أفكارنا وأنفسنا من بعض الأحكام المسبقة والتعصبات المقيتة والعادات التى ألِفناها، والتسليم للدليل والمنطق والبحث العلمى.

إننا حين نسمع برجل نمساوى عمَّر أكثر من ۱۴۰ سنة ولم يمرض ولو لمرّة واحدة!

أو رجل كولومبى بلغ ۱۶۷ سنة من عمره ومازال فتى!

أو رجل صينى أبيضَّ شعره بعد ۲۵۳ سنة من عمره! نشعر بالدهشة؛ وذلك لأنّه يختلف عن العادة، ولكن لو كان هناك تركيز إعلامى على هذا الخبر وورد بصورة قطعية فإننا سنقر به كحقيقة واقعة.

ولكن ما أنّ نقرأ فى الحديث:

«القائم هو الذى إذا خرج كان فى سن الشيوخ ومنظر الشبان؛ قوى فى بدنه».

حتّى يعترى البعض الحيرة والذهول. وهنا تتساءل الشيعة: لِمَ يعتقد البعض بطول عمر نوح والمسيح ويذكرون تلك الخصائص العجيبة لابن سينا، ولا يتسمون لمشاهدة انحناء الأجسام الفلزية بنظرة من شاب ورؤية الأشجار والأحياء المعمرة، ولكن ما أن يرد الحديث عن طول عمر المهدى عليه السلام حتّى يقطب البعض ويخطف لونه ويتساءل على نحو الانكار

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۷۶

عن إمكانية ذلك.

زبدة الكلام إنّ مسألة طول العمر ليست من المسائل التى يمكن الاشكال عليها والتنكر لها على ضوء الأحكام المنطقية والعقلية.

۲- فلسفة الغيبة

اشارة

قلنا: السؤال الآخر الذی یطرح بشأن عقیدة الشیعة فی المهدی علیه السلام وموضوع غیبته الطویلة والذی یرد بعد قبول أمان طول عمره. والسؤال:

لماذا لا یظهر المهدی علیه السلام وقد عمّ الظلم والفساد؟

لماذا لا یقوم لیملأها عدلًا وقسطاً؟

إلی متی هذا الجلوس ومشاهدة الظلم وسفک الدماء وطغیان حفنة من الغاشمین؟

لماذا هذه الغیبة الطویلة؟ تری ماذا ینتظر؟

وبالتالی ما سرّ هذه الغیبة الطویلة؟

ولکن ینبغی الالتفات إلی أنّ هذا السؤال وإن طرح عادة علی الشیعة بشأن مسألة الغیبة، إلّاأنّ أدنی تمعن سیفید أنّ للآخرین نصیباً من ذلک، أی یتوجه إلی سائر المؤمنین بظهور مصلح عالمی عظیم ینهض یوماً ویملأ العالم بالعدل والقسط، وإن رفضوا عقیدة الشیعة فی طول العمر والغیبة.

فالسؤال الذی یساورهم لِمَ لم یولد ذلک المصلح العظیم لحدّ الآن، وإنّ ولد لم لا ینهض ویملأ الدنیا بالعدل؟ وعلیه فمن الخطأ أن یتوجه هذا الإشکال إلی خصوص الشیعة.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۷

وبعبارة اخری، ممّا لا شک فیه أنّ مسألة طول العمر (البحث السابق) ومسألة وجود الإمام فی الغیبة (البحث القادم) لمن الأسئلة التی تقتصر علی الشیعة، أمّا مسألة تأخیر ظهوره فمن المطالب التی ینبغی أن یفکر بها کافة المعتقدین بظهور ذلک المصلح العالمی، فی أنّ الظروف العالمیة مؤاتیة فلماذا لا یحصل ذلک الظهور؟ (ینبغی التمعن).

علی کلّ حال لهذا السؤال جواب بسیط وآخر مسهب. الجواب القصیر:

إنّ وجود الزعیم الکفوء لوحده لا یکفی فی قیام نهضة شاملة علی مستوی عالمی، بل لابدّ من استعداد عام، وللأسف مازال العالم لحدّ الآن غیر مستعد لتلک النهضة والحکومة، وما أن یبرز هذا الاستعداد حتّی یکون قیامه قطعیاً!

أما توضیح هذا الکلام:

أوّلًا: لابدّ من الالتفات- کما أشرنا سابقاً- إلی أنّ قیام المهدی علیه السلام کسائر نهضات جمیع الأنبیاء یتم عبر الوسائل والأسباب الطبیعیة، ولیس هنالک من مجال للاعجاز، فللمعجزات بعد استثنائی ولیس لها من تدخل فی المشاریع الاصلاحیة للقادة الربانیین سوی فی بعض المواقع الاستثنائیة.

ومن هنا کان الأنبیاء یستفیدون من الأسلحة السائدة وإعداد الأفراد الاکفاء والاستشارة المطلوبة وطرح الخطط المؤثرة والتکتیکات العسکریة اللازمة، وبالتالی توفیر کافة الامکانات المادیة والمعنویة للنهوض بأهدافهم، ولا یفکرون فی حدوث المعجزة فی مجابهة العدو، أو اعداد

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۸

الأنصار وتکاملهم.

وعلیه فلابدّ أن یتحقق تنفیذ مشروع حکومة الحقّ والعدل علی المستوی العالمی من خلال الاستعانة بالوسائل المادیة والمعنویة اللازمة، سوی فی بعض الحالات.

بعبارة اخری، إنّ المهدی علیه السلام لا یأتی بمدرسة جدیدة، بل ینفذ المشاریع الثوریة السماویة التی لم تدخل حیز التنفیذ. فرسالته لا تکمن فی الانذار والتربیه والتعلیم والتذکیر، بل رسالته اجراء کافة الاصول والمبادئ فی ظلّ حکومة العلم والإیمان، وهو الأمر الذی لا یتیسّر دون الاستعدادات المسبقة.

ثانیاً: یتضح من خلال ما تقدّم ما نقوله من عدم وجود مثل هذا الاستعداد، وذلک لأنه ینبغی توفر عدة أنواع من الاستعدادات وهی:

أ) استعداد القبول (الاستعداد النفسی)

لابدّ أن یقف العالم کما ینبغی علی مرارة هذا الوضع القائم والظلم السائد.

ولابدّ أن یلمسوا ضعف القوانین البشریة وعجزها عن تطبیق العدالة الاجتماعیة.

وینبغی أن یدرکوا هذه الحقیقة وهی أنّ المشکلة لا تحل من خلال المعادلات المادیة والضمانة الإجرائیة والمقررات التی وضعها الإنسان، بل إنّ هذه المشکلة تسلک منحنیاً تصاعدیاً فی التعقید بما یرهق کاهل البشریة.

ولابدّ أن یفهم العالم أنّ الأزمات المعاصرة ولیدة الأنظمة الراهنة، وهی

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۷۹

الأنظمة التی تعجز فی خاتمة المطاف عن حلّ هذه الأزمات.

ولابدّ أن یعی العالم ضرورة وجود أنظمة ومبادئ جدیدة بغیة تحقیق هذه الأهداف الکبری، المبادئ التی تستند إلی الإیمان والقیم الإنسانیة والعواطف البشریة والمثل الأخلاقیة، لا المبادئ المادیة الجافة الخالیة من الروح والإنسانیة.

ولابدّ أن یبلغ العالم هذه المرحلة من الوعی الاجتماعی بحیث یدرک أنّ التطور التقنی لا یعنی الزاماً تطور البشریة وضمان سعادتها ورفاهیتها، بل الازدهار والتطور التقنی الذی یجلب السعادة والخیر للبشریة هو ذلک الذی یتمّ من خلال سلسلة من المبادئ المعنویة والإنسانیة، وإلّا کان هذا التطور- کما لمسناه مراراً- وبالًا علی البشریة وسبب دمارها وانهیارها.

ولابدّ أن یفهم العالم أنّ الصناعات أنّ ارتدت ثوب الصنمیة ستضاعف من حجم المشاکل الراهنة.

ولابدّ أن تصبح وسیله تحت سیطرة البشریة.

وبالتالی لابدّ أن یشعر العالم بالعطش وما لم یشعر به فلا یتجه صوب الماء.

وبعبارة اخری، ما لم یعِش العالم قضیة الطلب فلیس هنالک من تأثیر لعرض أیّة مشاریع اصلاحیة، فقانون العرض والطلب ساری المفعول فی القضایا الاجتاعیة علی غرار المسائل الاقتصادیة.

وهنا یرد هذا السؤال: ما هو العامل الذی یفرز حالة العطش والطلب؟

نقول فی الجواب:

جانب من ذلک، مرور الزمان ولا یمکن بدونه، أما الجانب الآخر فیتوقف

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۰

علی التربیة والتعلیم، فینبغی أن یصبح عملیاً من خلال النهضة الفکریة من جانب العلماء الملتزمین والمسؤولین عن شؤون المجتمع. ینبغی لهؤلاء وبمشاریعهم التی تهدف تهذیب الإنسان أن یبلغوا بالعالم علی الأقل هذه الحالة من الوعی فی الانسجام مع هذه المبادئ والقوانین، وهذا الأمر یتطلب بطبیعة الحال قدراً من الزمان.

ب) التکامل الثقافی والصناعی

من جانب آخر فإن حشد العالم تحت رایة واحدة ووضع حدّ لغطرسة الجبابرة والطواغیت واشاعة أجواء التربیة والتعلیم فی أرقی صورها وإفهام الآخرین بأنّ اختلاف اللسان والعرق والمنطقة الجغرافیة وما شابه ذلک لا تدلّ علی أنّ أفراد العالم لا یستطیعون العیش کأخوة ضمن اسرة واحدة فی ظلّ الإسلام والعدل والتآخی.

وتوفیر اقتصاد سالم وکافٍ لجمیع الناس یتطلب وعیاً ثقافیاً ورفع المستوی العلمی للبشریة من جانب، وتکامل الوسائل الصناعیة من جانب آخر؛ الوسائل التی یسعها إرساء ارتباطات سریعة وقریبة ودائمیة بین کافة بقاع العالم، وهذا ما لا یتحقق أیضاً دون تقادم الزمان.
وکیف لحکومة أن تتعامل مع الوضع العالمی إن کانت هذه الارتباطات بطیئة؟
أم کیف یمکن إدارة شؤون العالم بالوسائل التی یستغرق إرسال رسالة فیها إلی مناطق العالم النائیة عدّة سنوات من الزمان؟
یستفاد من بعض الروایات التی رسمت صورة عن حیاة الناس فی عصر
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۱
ظهور المهدی علیه السلام- والتی سیمر البحث عنها فی المباحث القادمة- أنّ التطور التکنولوجی والصناعی خاصة صنائع الحمل والنقل والارتباط فی ذلک العصر سیکون علی درجة من الرقی والازدهار بحیث تصبح قارات العالم بصورة مناطق متقاربة، ویکون الشرق والغرب بمثابة بیت واحد، فلا یبقی هنالک من مشکلة علی صعید الزمان والمکان.
طبعاً یمکن أن یحصل بعض هذه الامور أثر حرکة وثورة صناعیة فی ذلک العصر، ولکن لابدّ من استعداد علمی کأرضیة لذلک العصر.

ج) اعداد القوی الثوریة

بالتالی لابدّ من إعداد ثلّة مهما کانت قلیلة تکون نواة الجیش الثوری لذلک المصلح العظیم.
فلابدّ من تبرعم زهور فی هذه النار المحرقة لتکون مقدمة لذلک البستان؛ وینبغی أن یتحلی أفراد تلک الثلّة بالوعی التام والشجاعة والأخلاص والفداء والتضحیة وهذا بدوره یتطلب مقداراً من الزمان وإن تعاقبت الأجیال الثوریة.
وإن قیل: مَن الشخص الذی ینبغی أن ینهض بمسؤولیة إعداد أولئک الأفراد؟
فالجواب: ذلک الزعیم الذی یمارس هذا المشروع بصورة مباشرة أو غیر مباشرة (سیرد شرح ذلک فی المبحث القادم إن شاء اللَّه).
إنّ إحدی علل الغیبة کما ورد فی بعض الروایات الإسلامیة یکمن فی اختبار الناس واختیار الأصلح والذی یمکن أن یکون إشارة إلی هذا
الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۸۲
الموضوع.
توضیح ذلک: أنّ الاختبار الإلهی لیس من قبیل الاختبارات بغیة التعرف علی وضع الذی یؤدی الاختبار، بل یعنی تربیة الاستعدادات واظهار الکفاءات وتمییز الصفوف. وبعبارة اخری الهدف هو التربیة والتکامل أو خلق الاستعداد، ذلک لأن احاطة اللَّه العلمیة بکلّ شیء تسلب أی هدف فی ابتغاء طلب الوقوف والعلم من الاختبارات.
وهکذا یتضح ممّا تقدّم سبب غیبة المهدی هذه المدة.

۳- فلسفة وجود الإمام حین الغیبة

اشارة

السؤال الآخر الذی یرد بشأن عقیدة الشیعة حول وجود المهدی هو:
الإمام علی کلّ حال زعیم وقائد ووجود القائد مهم ومفید حین یکون علی صلة بأتباعه، فکیف ینهض الزعیم بمسؤولیته إن کان غائباً عن الأنظار؟

بعبارة اخرى فإنّ حياة الإمام إبان الغيبة حياة خاصة ليست اجتماعية، وهنا يحقّ لنا أن نسأل ما الأثر الذى يلعبه هذا الزعيم بالنسبة للناس، وكيف ينتفع به الآخرون؟

فهو كعين الماء الصافية ولا يسع الآخرون وصولها!

أضف إلى ذلك هل غيبة الإمام عليه السلام بمعنى استبدال وجوده بروح لا مرئية أو أمواج واثير وما شابه ذلك؟

وهل ينسجم هذا مع العلم؟

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۳

هذا السؤال- بلا شك- مهم، ولكن من الخطأ أن نظن بصعوبة الاجابة عنه، لكن دعونا نردّ بادىء الأمر على الشق الأخير الذى أدّى إلى الكثير من سوء الفهم، ومن ثمّ نخوض فى الردّ على سائر الأسئلة.

لابدّ من القول صراحة إنّ الغيبة- كما أشرنا- لا تعنى أنّ وجود الإمام فى الغيبة هو وجود غير مرئى وخيالى وأشبه بوجود وهمى، بل له من حيث المعيشة حياة طبيعية وعينية خارجية، غاية الأمر بعمر مديد، يتردد دائماً بين الأوساط الاجتماعية، ويقطن مختلف المناطق، وإن كان هنالك من استثناء فى حياته فهو عمره الطويل فقط.

إنّه يعيش بصورة غير معروفة فى المجتمع، ولم يقل أحد بأكثر من ذلك فى غيبته، وهنالك بون شاسع بين «غير معروف» و «غير مرئى»! وبعد أن فرغنا من هذا الأمر، نخوض فى هذا الموضوع: حسناً، إلّاأن هذه الحياة يمكن توجيهها بالنسبة لفرد عادى، ولكن هل يمكن قبوله بالنسبة لزعيم بالذات ذلك الزعيم الربانى؟!

كيف يسع التلميذ الذى لا يعرف استاذه والمريض الذى لا يعلم بعيادة الطبيب والعطشان الذى لا يعلم بعين الماء- مهما كان قريباً من هذه الامور- أن ينتفع بهم؟

جدير بالذكر:

إنّ هذا السؤال لم يطرح الآن، بل ورد فى الروايات الإسلامية أنّه طرح حتى قبل ولادة المهدى عليه السلام وإبان عصر الأئمّة حين كانوا يتحدثون عن المهدى وغيبته يطرح عليهم هذا السؤال فيردون عليه، وإليك جانب من ذلك.

فائدة الإمام فى الغيبة: «۱»

اشارة

هنالك عباره رائعة فى عدّة روايات بشأن فلسفة ووجود الإمام عليه السلام فى عصر الغيبة، يمكن أن تساعدنا فى حلّ هذه المشكلة، حيث قال النبى صلى الله عليه و آله بشأن فائدة الإمام فى الغيبة:

«أى والذى بعثنى بالنبوة أنّهم ينتفعون به، ويستضيئون بنور ولايته فى غيبته كانتفاع الناس بالشمس وإن جللها السحاب» «۲».

ولابدّ أن نتعرف هنا على دور الشمس بصورة كلية وحين تكون خلف السحاب:

فللشمس نوعان من الضوء.

ضوء واضح وآخر مخفى.

أو بعبارة اخرى ضوء مباشر وآخر غير مباشر.

وتشاهد الأشعة بوضوح فى الضوء المباشر وإن احيط بطبقات الجو الضخمة وكأنّها زجاجة ضخمة؛ الزجاجة التى تحد من اشراقة الشمس وتسهل تحمله، كما تصفى ذلك الضياء وتحيط آثار أشعتها المميتة، ولكن لا تمنع على كلّ حال شعاعها المباشر.

أمّا فى الأشعة غير المباشرة، فالغيوم كالزجاجة المعتمة تمتص ضياء الشمس المباشر وتنشره.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۵

ولضوء الشمس دور مهم فى حياة كافة الكائنات.

فالضوء والحرارة التى تنطلق من الشمس هنا وهناك، والطاقة العظيمة للنبات والحيوان والإنسان؛

وتكامل الكائنات الحية ونموها؛

وتغذيتها وانجابها؛

والحس والحركة؛

وسقى الأراضى الميتة.

وأصوات أمواج البحار.

وحركة الرياح.

وزمزمة أصوات الشلالات.

وتغريد الطيور.

والجمال الساحر للازهار.

ودوران الدم فى عروق الإنسان.

ونبض القلب.

وانتقال الأفكار عبر حواجز الدماغ، كلّها تعتمد بصورة مباشرة أو غير مباشرة على ضياء الشمس، ودون ذلك تخمد وتؤول إلى الخمود والانطفاء، وهذا ما يمكن ادراكه بسهولة.

والآن يرد هذا السؤال: هل تقتصر هذه البركات والآثار الحيوية على الضياء المباشر للشمس؟

الجواب عن هذا السؤال واضح: كلا، فهذه الآثار موجودة حتّى حين تغيب الشمس خلف السحب.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۶

مثلًا هنالك بعض البلدان والمدن التى تختفى فيها الشمس لأشهر أو سنوات خلف الغيوم، ولكن هنالك الحرارة ونمو النباتات والطاقة اللازمة لإدامة عجلة الحياة ونضج الفاكهة والثمار وتفتح البراعم.

وعليه فإنّ لشروق الشمس من خلف السحب جانباً من الآثار والبركات، ولا ـ تنطوى على جانب من تلك الآثار التى تتطلب أشعة مباشرة، فمثلًا نعلم أنّ لشعاع الشمس أثره الحيوى على جلد الإنسان وسائر أعضائه ومن هنا فإنّ الناس فى أغلب البلدان المحرومة من هذا الشعاع يلجأون فى الأيّام المشمسة إلى الحمامات الشمسية ويتعرون تماماً أمام شعاع الشمس لتقوم مساماتهم بامتصاص تلك الأشعة. كما أنّ أشعة الشمس المباشرة وعلاوة على مضاعفتها للحرارة والضوء فإنّ لها أثراً عظيماً- بسبب الأشعة فوق البنفسجية- فى قتل أنواع المكروبات والابقاء على سلامة البيئة.

ونستنتج من هذا البحث أنّ حجب السحب وإن امتصت بعض آثار الشمس، إلّاأنّ الجانب الأكبر من تلك الآثار باق. كان هذا الكلام فى المشبه به، يعنى الشمس، ونعود الآن إلى وضع المشبه يعنى وجود الزعيم الربانى فى الغيبة، فللأشعة المعنوية غير المرئية لوجود الإمام عليه السلام حين تكون خلف سحب الغيبة عدّة آثار تكشف عن فلسفته الوجودية، رغم تعطيل مسألة التعليم والتربية والزعامة المباشرة ومنها:

۱- بث الأمل

إن جلّ اهتمام الجنود الأوفياء فى ميدان القتال يتمثل فى حفظ الرايهٔ خفاقهٔ تجاه هجمات الأعداء، بينما يسعى العدو جهد الأمكان إلى الاطاحهٔ بهذه الرايهٔ، ذلك لأنّ انتصاب الرايهٔ يبث روح الأمل والمقاومهٔ والصمود وديمومهٔ القتال.

كما أنّ وجود القائد- مهما كان صامتاً- يبعث على رفع المعنويات وتجديد القوى وتعبئهٔ الطاقات والاندفاع نحو القتال حيث يشعرون بقوّهٔ حين يرون القائد واهتزاز الرايهٔ.

أمّا أن أشيع قتل القائد بين المقاتلين فإنّه يؤدى إلى بعثرهٔ صفوف الجيش مهما كان عظيماً، وكانّ ماءاً بارداً سكب عليهم ليبرد إرادتهم، بل كأن روحهم سلت من أبدانهم.

كما أنّ المجتمع يواصل حركته ونظامه وإن سافر رئيسه إلى خارج البلد مادام على قيد الحياهٔ، إلّاأنّ خبر موته يبعث فى قلوبهم الشعور باليأس والاحباط.

والشيعهٔ تعتقد بوجود إمامها حيّاً وإن لم تره بينها، بالتالى فهى لا ترى نفسها وحيدهٔ فى الساحهٔ (لابدّ من التأمل).

فهى تنتظر قدومه وتحتمله فى كلّ لحظهٔ وهذا ما يؤثر على مسيرتها ايجابياً.

ومن هنا يمكن إدراك الأثر النفسى لهذا الاسلوب من التفكير فى بثّ الأمل والرجاء فى قلوب الأفراد وسوقهم نحو التهذيب والاستعداد لتلك

الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۸

النهضهٔ الكبرى التى مضى شرحها فى بحث الانتظار.

أمّا إن لم يكن لهذا الزعيم من وجود خارجى وينتظر اتباعه ولادته فى المستقبل فالوضع يختلف تماماً.

ولو أضفنا نقطهٔ اخرى إلى هذا الموضوع لأصبحت القضيهٔ أكثر جديهٔ وهى: على ضوء الاعتقاد العام للشيعهٔ فقد وردت فى أغلب الروايات فى المصادر الشيعيهٔ أنّ الإمام يتفقد طيلهٔ غيبته وبصوره مستمرهٔ أوضاع شيعته، ويقف على تفاصيل أعمالهم عن طريق الالهام وما شابه، وحسب الروايات فإنّ أعمالهم تعرض عليه كلّ اسبوع ويحيط علماً بتصرفاتهم وأفعالهم «۱».

وهذا الاعتقاد يجعل هؤلاء الاتباع يخضعون لمراقبهٔ دائميهٔ يستحضرونها عند كلّ قول وفعل، الأمر الذى يمكن انكار دوره النفسى والتربوى.

۲- حمايهٔ الدين

قال على عليه السلام ذلك الرجل الفذ فى بعض الكلمات القصار فى إشارته إلى ضرورهٔ وجود الزعماء الربّانيين فى كلّ عصر وزمان: «اللّهم بلى لا تخلو الأرض من قائم للّه‌بحجّهٔ إمّا ظاهراً مشهوراً وإمّا خائفاً مغموراً لئلّا تبطل حجج اللّه وبيناته» «۲».

الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۸۹

وإليك توضيح ذلك:

إنّ مرور الزمان واختلاط الأذواق والأفكار الشخصيهٔ بالامور الدينيهٔ والنزعات المختلفهٔ نحو المدارس الانحرافيهٔ المزيفهٔ وتسلل الأيادى الأثيمهٔ إلى المفاهيم السماويهٔ يؤدى إلى أن تفقد بعض هذه الاصول والمبادىء أصالتها وتتعرض إلى جانب من التحريف.

وبالطبع فإن هذا الماء العذب الفرات الذى ينزل من سماء الوحى ويعبر من فكر هذا وذاك يجعله يفقد بعض صفائه بالتدريج، على غرار الضياء الذى يصطدم بالزجاج المعتم فيفقد بريقه.

والخلاصهٔ، تبدو هناك بعض المشاكل والصعوبات فى التعرف على القضايا الأصليهٔ بفعل ممارسات بعض الأفراد ذوى الافق الضيق،

حتّی انبری أحد الشعراء باسلوبه المعهود فی المبالغة مخاطباً النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بأنّ ما حدث فی الدین واضیف إلیه، بلغ درجة بحیث لو عدت الیوم لما رأیته کما کان.

وعلی هذا الأساس، أولیس من الضروری أن ینبری من بین المسلمین من یصون التعالیم الإسلامیة ویعیدها إلی مسارها الأصلی ویحفظها کما هی للأجیال القادمة؟

أو ینزل الوحی السماوی ثانیة علی إنسان؟ قطعاً لا. فقد اغلق باب الوحی بمسألة الخاتمیة.

فکیف ینبغی حفظ أصالة الدین، والحیلولة دون التحریفات

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۰

والخرافات؟

هل یتمّ ذلک سوی من جانب الإمام المعصوم سواء کان مشهوراً ومعلوماً أو مغموراً ومجهولًا «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبیناته».

تعلم أنّ فی کلّ مؤسسة مهمّة «صندوق محکم» تحفظ فیه الوثائق المهمة لتلک المؤسسة لتبقی بعیدة عن أیدی اللصوص؛ إضافة إلی ذلک إن حدث حریق فی هذا المکان مثلًا کان ذلک الصندوق بعیداً عنه. فصدر الإمام وروحه العظیمة هی صندوق حفظ معالم الدین وخصائص المفاهیم السماویة الرفیعة «لئلّا تبطل حجج اللَّه وبیناته».

۳- إعداد ثلّة ثوریة واعیة

خلافاً لما یعتقده البعض من قطع الارتباط المطلق بین الإمام والامّة فی عصر الغیبة، بل کما یستفاد من الروایات الإسلامیة فإنّ هنالک ثلّة من الأفراد الذین یعیشون عشق اللَّه ویتمتعون بقلب یفیض بالإیمان والأخلاص والتفکیر فی إصلاح العالم، مرتبطة بالإمام وتعد بالتدریج من خلال هذه الرابطة وتتکهرب بروح الثورة التی تستأصل جذور الظلم والجور من کافة أنحاء العالم.

ربّما یتوفی هؤلاء قبل انطلاقة النهضة، ولا یقدح ذلک فی الهدف فهم ینقلون تلک التعالیم التعبویة إلی أجیالهم القادمة لیجدوا ویجتهدوا فی إعداد الثلّة الصالحة.

قلنا سابقاً أنّ غیبة الإمام علیه السلام لا تعنی کونه یتحول إلی روح غیر مرئیة أو أشعة غیر ظاهرة، بل یتمتع بحیاة طبیعیة هادئة ویعیش بشکل مجهول بین الناس ویستقطب القلوب المستعدة ویستحوذ علیها فیجعلها أکثر تأهباً واستعداداً. ویتفاوت الأفراد حسب استعداداتهم فی نیل سعادة اللقاء،

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۱

فبعضهم یلتقیه لحظات وآخر ساعات وثالث عدة أیّام وشهور وربّما سنوات!

بعبارة أوضح إنّ البعض بلغ منزلة رفیعة من العلم والورع والتقوی بحیث أصبح کالراکب فی الطائرة التی تحلق فی عنان السماء وهی تخترق السحب والغیوم، بینما ما زال البعض الآخر یعیش تحت السحب فی الظلمات.

وهذا هو الحساب الصائب، فلا ینبغی أن أجلس وانتظر لاسحب الشمس تحت السحب وأراه، فهذا الانتظار خطأ محض ووهم زائف؛ أنا الذی ینبغی أن أحلق فوق السحب والغیوم لاستضییء بضیاء الشمس وانتهل من نورها.

علی کلّ حال فإنّ تربیة هذه الثلة، تعد من الآثار المترتبة علی فلسفة وجوده فی هذا العصر.

۴- النفوذ الروحی والتلقائی

نعلم أنّ للشمس أشعة مرئيـة تظهر من تركبها الألوان السبعة، كما لها أشعة غير مرئية هى «الاشعة فوق البنفسجية» و «الأشعة تحت الحمراء».

كـذلك للزعيم الربّانى سواء النبى أو الإمام وإضافة إلى التربيـة التشريعية عن طريق القول والفعل والسلوك والتعليم والتربية العادية، فإنّ هناك تربيـة روحيـة من خلال النفوذ المعنوى فى القلوب والأفكار والتى يمكن الاصطلاح عليها بالتربيـة التكوينيـة، ليس هنا من فاعلية للألفاظ والكلمات والأقوال والأفعال، بل الكلمة الفصل للجذب الباطنى.

ونرى فى سيرة أغلب أولياء اللّه العظام فى أنّ بعض الأفراد المنحرفين

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۲

والملوثين وأثر اتصال خاطف يغيرون مسيرتهم بصورة تامة فتتغير عاقبتهم جذرياً، فيتحولون إلى أفراد مؤمنين مخلصين لا يألون جهداً فى التضحية بالغالى والنفيس من أجل الدين.

فهذه التغييرات السريعة والشاملة، وهذا الانقلاب العظيم الجامع والذى يحصل من نظرة أو ارتباط بسيط (طبعاً رغم التلوث فإنّ هنالك استعداداً عالياً لديهم) فإنّه لا يمكن أن يعزى إلى التعليم والتربية العادية، بل معلول لاثر نفسى غير مرئى وجذبة تلقائية يعبر عنها أحياناً بنفوذ الشخصية.

ولعلّ أغلب الأفراد جرّبوا ذلك فى حياتهم أنّهم حين يتلقون بعض الأفراد من ذوى الروح الرفيعة والعاليـة فإنّه يتأثر تلقائياً ودون أن يتمالك نفسه حتّى يصعب عليه التحدث بحضرتهم؛ فيرون أنفسهم وسط هالة عظيمة يصعب عليهم تصويرها. طبعاً يمكن توجيه بعض هـذه الامور بالتلقين أحياناً؛ لكن من المسلم به أنّ هـذا التفسير ليس صحيحاً فى جميع الموارد، بل ليس أمامنا من سبيل سوى بأن نذعن بأنّ هذه الآثار تفرز من قبل ومضات سرية تنبعث من باطن الذات الإنسانية العظيمة.

وإننا نرى القصص الكثيرة فى تاريخ الأئمّة العظام والتى لا يمكن تفسيرها سوى من خلال هذا السبيل، كقصة قدوم شاب عاص على النبى الأكرم صلى الله عليه و آله وتحوّله المعنوى والروحى

أو لقاء أسعد بن زرارة الوثنى بالنبى الأكرم صلى الله عليه و آله عند الكعبة وتغيّر فكره وعقائده.

أو ما يسميه أعداء النبى الأكرم صلى الله عليه و آله سحراً والذى كان يؤثر به على من يقترب منه، كلّ ذلك يعكس نفوذ شخصية النبى صلى الله عليه و آله إلى أعماق أولئك

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۱۹۳

الأفراد.

وهكذا ما ورد بشأن تأثير كلام الإمام الحسين عليه السلام على «زهير» فى مساره إلى كربلاء، حتّى أنّه لم يستطع وضع ما كان فى يده من طعام فى فمه، فطرحه أرضاً وانطلق.

أو الجذبـة العظيمـة التى شعر بها الحرّ بن يزيد الرياحى فأخذ يرتعش كالسعفة رغم شجاعته؛ فقاده ذلك إلى الالتحاق بركب الإمام حسين عليه السلام ونيل الشهادة.

أو قصـة الفتى الـذى كان يسكن جوار «أبو بصير» والـذى كان ثرياً ويعيش فى دعة ورفاهية إثر خدمته لبنى أمية، حتّى تغيّر تماماً إثر رسالة الإمام الصادق عليه السلام فهجر كلّ أفعاله وأعاد كافة الأموال التى حصل عليها من الطرق غير المشروعة إلى أصحابها، وانفق الباقى فى سبيل اللّه.

أو تلك الخادمـة الحسناء لدى هارون والتى بعث بها إلى الإمام الكاظم عليه السلام ظناً منه بأنّه يؤثر على الإمام عليه السلام فعاشت ذلـك الانقلاب الروحى خلال تلك المـدّة القصيرة حتّى سلبت لب هارون بمنطقها و ... كلّ ذلك نماذج من هـذا التأثير التلقائى والعفوى الـذى يمكن اعتباره شعبة من الولايـة التكوينيـة للنبى صلى الله عليه و آله أو الإمام عليه السلام، ذلـك لأن عامل التربية

والتكامل هنا ليس الألفاظ والجمل والطرق المتعارفة والعادية، بل هو الجذبة المعنوية والنفوذ الروحى.
ولا يقتصر هـذا الأمر- كما قلنا- على الأنبياء والأئمّـة، بل لبعض أولياء اللّه ودعاة الحقّ هالـة من هذا النفوذ والتأثير العفوى، غاية الأمر ليست هنالك من نسبة للمقارنة بين دائرة تأثير الفريق الأوّل والثانى من حيث السعة
الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٩٤
والشمولية.
ولوجود الإمام عليه السـلام خلف غيوم الغيبه مثل هـذا الأثر عن طريق الأشـعة الخارقـة والشاملة لنفوذ شخصـيته فى اسـتقطاب القلوب القاصية والدانية وإعدادها باتجاه السمو والتكامل.
إننا لا نرى بأعيننا قطبى المغناطيس الأرضـى، غير أننا نلمس أثرهما على عقارب البوصـلات والسـفن فى البحار والطائرات فى السـماء وسائر الوسائل والأدوات. ولعلّ ملايين المسافرين يهتـدون ببركات هذه الأمواج المغناطيسـية فى كافة الأماكن، وكذلك وسائط النقل الصغيرة والكبيرة التى تتخلص بأوامر هذه العقارب الصغيرة من الحيرة والضلال.
فهـل من العجيب أن يهـدى الإمـام عليه السـلام فى غيبته بـأمواج جـاذبيته المعنويـة أفكـار العديـد من الأفراد هنا وهناك وينجيهم من الحيرة والضلال؟
لكن لا ينبغى ولا يمكن أن ننسـى بأنّ الأمواج المغناطيسـية كما لا تؤثر على كلّ قطعة حديدية تافهة، بل يقتصـر تأثيرها على العقارب الظريفة والحساسة ولها سـنخية مع القطب المرسل للأمواج المغناطيسـية، كذلك إنّما تتأثر بالإمام القلوب التى لها سـنخية وشبه روحى به. وهكذا يتضح ممّا مرّ معنا الأثر الآخر من آثار فلسفة وجود الإمام عليه السلام فى الغيبة.

۵- هدف الخليقة

ليس هنالك من عاقل يتقـدم دون هـدف، وكلّ حركـة تتم فى ظلّ العقل والعلم تتجه نحو هدف معين. مع هذا الفارق فى أنّ الهدف من أعمال الإنسان رفع حاجاته وتلبية متطلباته، أمّا الهدف من أفعال اللّه هو الآخرين
الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ١٩٥
واشباع حاجاتهم، ذلك لأنّ ذاته غنية من جميع الجهات ومنزهة من كلّ نقص، وعليه فلا معنى لمصلحته فى أفعاله.
والآن التفتوا إلى هذا المثال:
نقيم بسـتاناً مليئاً بالفاكهة والثمار فى أرض خصـبة، وهنالك العلف الذى ينبت بين الأشـجار والورد، وكلما سـقينا تلك الأشـجار فإنّ العلف يروى من تلك المياه.
وهنا يكون لدينا هدفان:
الهدف الأصلى سقى الأشجار والورود.
والهدف التبعى سقى العلف.
لا شك أنّ الهـدف التبعى ليس هو الـدافع للعمل، أو موجه لحكمته؛ والمهم الهدف الأصـلى الذى ينطوى على الجانب المنطقى! ولو افترضنا الآن جفاف أكثر اشجار البستان وعدم بقاء أكثر من شجرة واحدة، لكنها الشجرة التى تعطينا الفاكهة والثمار التى لا تتوقعها من آلاف الأشجار، فممّا لا شك فيه أننا نواصل سقى تلك الشجرة، وكأن مزيداً من العلف أيضاً يستفيد من تلك المياه، ولو جفت تلك الشجرة يوماً فإننا سنتخلى عن السقى وإن مات كلّ ذلك العلف.
عالم الخلق كذلك البسـتان الزاهر والناس أشـجاره. ومن سار نحو المال فهو بمثابة الشـجرة المثمرة، ومن نزع نحو الانحراف والتسافل

کعلف ذلک البستان.

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۶

لا ـ شک فی أنّ هذه الشمس المشرقهٔ وذرات الهواء وکلّ برکات الأرض والسماء لم تخلق من أجل حفنهٔ من المفسدین الذین یتنازعون فیما بینهم ویأکل قویهم ضعیفهم ولا یذوق المجتمع سوی ظلمهم وجورهم وفسادهم.

کلا، حقّاً هذا لیس الهدف من الخلق!

فقد خلق هذا العالم وجمیع النعم- من وجههٔ نظر فرد عابد وعارف ببعض المفاهیم کعلم اللَّه وحکمته- للصالحین والطاهرین، وهکذا ستخرج آخر الأمر من أیدی غاصبیها وتقع بید أصحابها «وَلَقَدْ کَتَبْنا فِی الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّکْرِ أَنَّ الأَرْضَ یَرِثُها عِبادِیَ الصَّالِحُونَ» «۱».

وبستان الخلیقهٔ (عالم الوجود الواسع) یواصل عطاءه من أجل هذه الفئهٔ؛ وإن انتفع به العلف کهدف تبعی، إلّاأنّ الهدف الأصلی تلک الفئهٔ.

ولو فرض الیوم الذی ینقرض فیه آخر نسل من فئهٔ الصالحین من علی الأرض قطعاً ستتوقف مواصله النعم.

آنذاک یربک استقرار الأرض وتمنع السماء برکاتها، وتقتر الأرض علی الإنسان منافعها.

یعتبر النبی أو الإمام رمز الثلّهٔ الصالحهٔ ونموذج الإنسان الکامل، أی الفئهٔ التی تمثل الهدف الأصلی للخلیقهٔ، ومن هنا فإنّ وجوده بمفرده یوجه هدف الخلیقهٔ ومصدر نزول کلّ خیر وبرکهٔ وهطول أمطار الفیض ورحمهٔ اللَّه، سواء کان ظاهراً وسط الناس أو مخفیاً غیر معروف.

صحیح أنّ سائر الأفراد الصالحین کلّ منهم هدف للخلیقهٔ، أو بعبارهٔ

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۷

اخری جزء من الهدف العظیم، إلّاأنّ النموذج التام لهذا الهدف هو هؤلاء الأفراد القدوهٔ والزعماء الربّانیون، وإن کان دور الآخرین محفوظاً.

ویتضح من هنا ما ورد فی بعض العبارات مثل:

«بیمنه رزق الوری وبجوده تثبت الأرض والسماء».

فهذه لیست من قبیل «المبالغهٔ» و «مجانبهٔ المنطق» أو «الشرک».

وکذلک العبارهٔ الواردهٔ فی الحدیث القدسی الذی خاطب النبی «لولاک لما خلقت الأفلاک» التی تبیّن حقیقهٔ ولیست مبالغهٔ، غایهٔ الأمر أنّه ذروهٔ هدف الخلیقهٔ، وسائر الصالحین جزء من هذا الهدف.

ونستنتج من مجموع ما أوردناه فی هذا الفصل تحت العناوین الخمسهٔ أنّ أولئک الذین قبعوا فی زاویهٔ وظنوا أنّ وجود الإمام فی عصر الغیبهٔ هو وجود شخصی دون ثمرهٔ اجتماعیهٔ وحملوا- کما ذهبت الشیعهٔ- علی فلسفهٔ هذا الوجود وما عسی أن یکون انتفاع الخلق بزعامته، قد اخطأوا فی حساباتهم وأنّ الأمر لیس کما ظنّوا فآثاره حتّی فی هذه الحالهٔ أعظم من أن تحصی.

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۱۹۹

سبیل انتصار ذلک المصلح العظیم

هل ینهض الإمام بالسیف

إنّ التفوق فی القوهٔ یعد شرطاً مهماً فی الانتصار علی العدو، ولا ـ تقتصر هذه القوهٔ علی الجانب العسکری، بل التفوق من حیث القدرات الروحیهٔ والإیمان بالهدف ورصانهٔ الدعائم الاقتصادیهٔ والاجتماعیهٔ، کلّ هذه من الامور التی تلعب دوراً أساسیاً فی تحقیق

الغلبة.

وليس هنالك من سبب يكمن فى فشل المجتمعات واحباطها واستسلامها للذلة والخنوع سوى عدم سعيها باتجاه توفير تلك العناصر الضرورية لتحقيق النصر.

وعلى هذا الأساس ترد بعض الأسئلة بشأن قيام المصلح العالمى الكبير ومنها:

١- هل يعتمد زعيم هذه النهضة العالمية الشاملة من الأسلحة التقليدية للعصور السابقة (الأسلحة الحديدية البسيطة) بغية تحقيق العدل العالمى وتحقيق النصر وهزيمة الجبابرة والطواغيت من قبل جند الحقّ. إن كان

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٢

كذلك فكيف يسعه اقناع الآخرين بهذا الاسلوب القتالى، وأنّى لهذا السلام بالصمود مقابل أسلحة العصر المتطورة والفتاكة وبالتالى هزم العدو وتحقيق النصر؟ أم أنّه سيستعين بسلاح أكثر تطوراً من الأسلحة المتوفرة الآن لدى البلدان المتقدمة؟ ما ماهية هذا السلاح وكيف سيحصل هو وأتباعه عليه؟

٢- بغض النظر عمّا سبق فقد جاء فى الروايات:

إنّه عليه السلام «يقوم بالسيف»؛ الأمر الذى يفيد اعتماده على الأسلحة البسيطة.

وهنا يرد الإشكال السابق: كيف يمكن تعطيل الأسلحة المتطورة والعودة إلى عصر الأسلحة المتواضعة؟

هل ستشهد الدنيا المعاصرة حرباً ذرية- كما يعتقد بعض العلماء- مدمرة بحيث لا يكون هناك من مجال سوى العودة إلى الماضى وآنذاك يظهر ويمارس النهضة؟

هل يمكن قبول هذا الاحتمال؟

٣- أيضاً يرد هذا السؤال: هل تزول كلّ هذه الوسائل الحديثة والمتطورة المعدة لرفاه البشرية وسعادتها بحيث يرجع الإنسان إلى العصور القديمة؟

أيمكن قبول هذا النمط من التخلف والرجعية؟

أم بالعكس لا تبقى فقط، بل تتكامل بسرعة بالنحو الذى يجنبها آثار حياة المكننة السلبية؟ بعبارة اخرى حصول التطور الذى يختزن التكامل والنقاء.

للاجابة عن هذه الأسئلة يمكن الاستعانة ببعض المصادر الروائية إلى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠٣

جانب الأدلة العقلية، لارتباطها بهذين المصدرين.

يصرح العقل بأنّ العودة إلى الوراء ليست ممكنة ولا منطقية، وهذا خلاف سنّة الخلق وأصل تكامل الحياة؛ وعليه ليس هناك من دليل على جمود المجتمع وايقاف عجلة تطوره بغية تحقيق الحقّ والعدالة، وأنّ قيام المصلح العالمى الكبير بهدف بسط العدل والحرية فى كافّة أنحاء العالم لا يؤدى بأى شكل من الاشكال إلى ركود أو إزالة الحركة الصناعية وما عليها من تطور.

فالتطور الصناعى الراهن لم يتمكن من حلّ أغلب المعضلات التى تواجه الإنسان فى حياته فحسب، بل كما ذكرنا فى الأبحاث السابقة فإنّه يشكل أحد دعائم استقرار الحكومة العالمية الواحدة وتقريب المناطق العالمية على صعيد الارتباط والعلاقات الاجتماعية، وهى الامور التى يتعذر تحقيقها دون التكامل الصناعى. ولكن لا شك فى أنّ هذه الحركة والنهضة الصناعية والتكامل التقنى ينبغى أن يخضع إلى غربلة لينقى من العوالق السلبية والمضرة ويصب فى صالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى العدل والحرية، وهذا ما ستمارسه قطعاً حكومة العدل. هذا بشأن التطور الصناعى والتقنى.

وامّا بشأن السلاح فنقول: لابدّ من الاطاحة بالحكومات الجائرة والمستبدة من أجل استقرار حكومة العدل، وينبغى على الأقل توفير

الاسلحة الأفضل للقضاء على تلك الحكومات، السلاح الذى ربّما يصعب علينا اليوم حتّى تصوره.

فهل سيكون هذا السلاح من قبيل الأشعة المجهولة التى تفوق الأسلحة

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠۴

المتطورة السائدة الآن وباستطاعتها القضاء عليها جميعاً؟

أم من خلال التأثير النفسى وشل قدراتهم الفكرية بحيث لا يستطيعون المبادرة إلى استخدام الأسلحة الفتاكة؟

أم حصول شيء من قبيل الشعور بالخوف والهلع والرعب الذى يحول دون الاقدام؟

أم هنالك شيء آخر...

لا ندرى. ولا يسعنا الإشارة إلى هذا السلاح من الناحية المادية أو النفسية أو سائر النواحى، وكلّ ما يسعنا قوله أنّه سيكون السلاح الأقوى، كما نعلم أنّه ليس ذلك السلاح الذى يأتى على الأخضر واليابس فيقضى على هذا وذاك ليقيم صرح العدالة على أساس الظلم.

هذا من حيث التحليل العقلى.

وأمّا من حيث المصادر الروائية:

فقد وردت بعض العبارات فى مصادر الروايات تتضمن اجابات واضحة عن الأسئلة المذكورة ومنها:

١- روى عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ قائمنا إذا قام أشرقت الأرض بنور ربّها واستغنى العباد عن ضوء الشمس» «١».

ويفهم من هذه العبارة أنّ قضية الضوء والطاقة ستحل بحيث يستفاد فى

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠۵

الليل والنهار من أعظم ضوء يسعه أن يحل محل ضياء الشمس.

وهل ينبغى أن نصبغ هذا الموضوع بصبغة الاعجاز، فى حين ينبغى أن تدور مشاريع الحياة اليومية- وبصورة مستمرة- حول محور السنن الطبيعية لا الاعجاز؛ فالإعجاز أمر استثنائى عند بعض الموارد الضرورية وفى اطار اثبات حقانية دعوى النبوة أو الإمامة.

على كلّ حال فإنّ الحياة العادية للناس لم تجر على أساس الإعجاز فى عصر أى نبى. وعليه فإن تكامل العلم والصناعة سيبلغ مرحلة تمكن الناس بقيادة ذلك الزعيم من اكتشاف بعض مصادر الطاقة التى تغنيهم عن أشعة الشمس.

فهل سيكون السلاح اللازم لتحقيق العدل والسلام والحرية من أسلحة القرون الماضية، وهل هناك من تناسب بين الأمرين؟

٢- ورد فى رواية اخرى عن أبى بصير عن الإمام الصادق عليه السلام قال:

«إنّه إذا تناهت الامور إلى صاحب هذا الأمر رفع اللَّه تبارك وتعالى له كلّ منخفض من الأرض، وخفض له كلّ مرتفع حتّى تكون الدنيا عنده بمنزلة راحته، فأيّكم لو كانت فى راحته شعرة لم يبصرها» «١».

تنصب اليوم بعض المرسلات على الجبال لتساعد فى نقل الصور إلى مختلف نقاط العالم، كما استفيد من الاقمار الصناعية فى تغطية عدة مناطق

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ٢٠۶

بهذه الصور، حتّى يتمكن كلّ من كان لديه جهاز استقبال من التقاطها.

إلّا أنّ عكس هذا الموضوع لا يبدو عملياً على الأقل فى الوقت الحاضر، أى يمكن نقل الصور من نقطة إلى مختلف نقاط العالم، بينما لا يمكن نقلها من مختلف النقاط إلى نقطة معينة، إلّاأن تكون هناك مرسلة فى كلّ بيت ومنطقة وصحراء وجبل وكلّ بقعة من بقاع

العالم ليمكن الوقوف على كلّ ما فى العالم، وهذا الأمر لا يبدو ممكناً بالوسائل الموجودة اليوم.

أمّا الذى يفهم من الحديث المذكور أنّ عصر المهدى عليه السلام سيشهد وجود نظام دقيق ومجهز يتولى نقل الصور، ولعله يصعب علينا اليوم تصوره، بحيث يصبح العالم بأسره كراحة اليد دون ظهور المرتفعات والمنخفضات التى تحجب رؤية ما على الأرض.

طبعاً لا يمكن انبثاق الحكومة العالمية الواحدة التى تبسط العدل والقسط والأمن والسلام فى كافّة أرجاء العالم دون أن تمتلك مثل هذه الأنظمة الاستخبارية المتطورة.

وتؤكد مرّة اخرى بأنّ هذه الامور ذات الصلة بالحياة اليومية للناس، من المستبعد أن تتم على أساس الاعجاز، بل على ضوء الأسباب الاعتيادية وتطور العلم والصناعة.

كما يتضح أنّ هذه الأنظمة المتطورة لا ينبغى أن تكون فى مجتمع متخلف، بل لابدّ أن يكون هنالك من تناسب بين سائر مرافق الحياة وهذا الأمر من حيث التطور والازدهار، بما فى ذلك السلاح والآلة العسكرية.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۷

۳- عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«ذخر لصاحبكم الصعب! قلت: وما الصعب؟ قال: ما كان من سحاب فيه رعد وصاعقة أو برق، فصاحبكم يركبه، أما أنّه سيركب السحاب ويرقى فى الأسباب؛ أسباب السموات السبع والأرضين» «۱».

طبعا ليس المراد من السحاب هذا السحاب العادى، لأنّ السحب ليست من الوسائل التى يمكن السفر بواسطتها إلى الفضاء، فالسحب تتحرك فى جو قريب من الأرض ولا تبعد مسافة تذكر عنها ولا يمكنها الارتفاع كثيراً عن الأرض، بل هى إشارة إلى وسيلة غاية فى السرعة بحيث تبدو فى السماء بصورة كتلة مضغوطة من السحب لها صوت كالرعد وقدرة وشدة كالصاعقة والبرق، تشق السماء حين الحركة بقوتها الفائقة وتستطيع أن تبلغ أيّة نقطة فى السماء.

وعليه فهى وسيلة تفوق الحداثة لا يوجد ما يشبهها فى الوسائل الموجودة، ولعلّها أكثر شبها بالصحون الطائره والوسائل الفضائيه ذات السرعة المذهلة التى نسمع عنها اليوم الكثير من القصص ولا نعرف على وجه الدقّة مدى علميتها وواقعيتها، مع ذلك فهى ليست صحون طائرة.

على كلّ حال يمكن أن نفهم من الرواية المذكورة أن ليس هنالك من تخلف صناعى، بل بالعكس هنالك التطور والازدهار والذى يعنى تطور وتكامل سائر المجالات.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۸

۴- الرواية الواردة عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال:

«إنّما سمّى المهدى لأنّه يهدى إلى أمر خفى، حتّى أنّه يبعث إلى رجل لا يعلم الناس له ذنباً فيقتله حتّى أنّ أحدهم يتكلّم فى بيته فيخاف أن يشهد عليه الجدار» «۱».

فهذه الرواية تدلّ على أنّ عصره وإن شهد حرية واستقرار الصالحين، إلّا أنّ العصاة الأشرار يشعرون بأنّهم خاضعون لسيطرة دقيقة بحيث يمكن التعرف على أمواجهم الصوتية من خلال بعض الوسائل المتطورة وهم داخل بيوتهم وبالتالى يمكن معرفة الكلام الذى أوردوه عند الضرورة اللازمة لذلك.

ولعلّ هذا الكلام لا يعنى قبل أكثر من مئة سنة سوى الاعجاز. بينما لا نراه اليوم كذلك ونحن نرى كيف تتمّ السيطرة فى أغلب البلدان على حركة السيارات بأجهزة الرادار من الطرق البعيدة ودون حضور الشرطة، أو ما نسمعه من أنّ العلماء تمكنوا من خلال بعض الأمواج على الصفائح فى المتاحف المصرية من أحياء أصوات أولئك الذين صنعوها قبل ألفى سنة، أو نسمع بوجود أجهزة تستطيع ببعض الأمواج الحرارية (الأمواج تحت الأشعة الحمراء) أن تلتقط الصور لتتعرف على السارق أو القاتل الذى ترك المكان تواً

وغادره.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۰۹

وهكذا تتضح إجابات الأسئلة المذكورة ممّا ذكرناه سابقاً، حيث قضية التخلف الصناعى ليست غير واردة فى عصر المهدى عليه السلام فحسب، بل هنالك تطور وإزدهار خارق للصناعة والتكنولوجيا لا يصب سوى فى ضمان مصالح الإنسان وتحقيق أهدافه فى الحرية والعدل والسلام.

مفهوم السيف:

لم يبق سوى هذا السؤال: ترى ما المراد بكلّ هذه العبارات التى تحدثت عن قيام المهدى عليه السلام بالسيف؟ حتّى فى الأدعية التى تلهمنا دروس الاستعداد لخوض غمار هذا الجهاد فاننا نقول: «شاهراً سيفه» فنسأل اللّه أن يوفقنا للالتحاق بصفوف المجاهدين وشهر السيف من أجل نصرة الحقّ.

الواقع هو أنّ «السيف» كان ومازال يرمز إلى القوة والقدرة العسكرية على غرار «القلم» الذى يرمز إلى العلم والثقافة.

وممّا لا شك فيه أنّه كانت هنالك بعض الأسلحة التى تختلف عن السيف فى الحروب السابقة من قبيل القوس والحربة والسهم والخنجر، إلّاأنّ الغالب فى الألفاظ هو السيف فيقال: ليس لك عندى سوى السيف إن لم تسلِّم لهذا الأمر، أو ما تعارف سابقاً من أنّ شؤون البلاد تدار بالسيف والقلم، وكلّ ذلك من قبيل الرمز إلى القوة والثقافة والعلم. ولدينا اليوم العديد من الأمثال التى تضرب بهذا الخصوص من قبيل:

سلَّ فلان سيفه، أى أظهر قدرته علانية.

سيحكم السيف بيننا وبينكم، اشارة إلى عدم وجود حلّ سوى السيف

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۰

والقتال.

ولن أغمد سيفى حتّى أحقق هدفى، أى سأواصل المعركة حتّى الرمق الأخير.

إن فلاناً له سيف ذو حدين، يعنى يحارب من جانبين.

وتشير كلّ هذه التعبيرات على سبيل الكناية إلى القوة والمواجهة، كما ورد ذلك فى بعض الروايات الإسلامية مثل:

«الجنّة تحت ظلال السيوف»

«السيوف مقاليد الجنّة».

وكلّها ترمز إلى الجهاد والتضحية واستعمال القوة، ومثل هذه التعبيرات الرمزية بالسيف والقلم كثيرة فى مختلف اللغات. ومن هنا يتضح أنّ المراد من قيام المهدى عليه السلام بالسيف هو استعانته بالقوة؛ حتّى لا يظن بأن نهضة هذا المصلح الربانى تقتصر على الوعظ وإسداء النصح والإرشادات فى الميادين الاجتماعية. بل هو زعيم ينطلق فى نهضته من محورين؛ يتمثل الأوّل فى المنطق وحيث لا يجدى نفعاً سيّما تجاه الجبابرة والطواغيت، فإنّه يلجأ إلى السيف، أى يستعين بالقوة فى مواجهة الظلمة، والواقع ليس هنالك من سبيل لممارسة الإصلاح والقضاء على الفساد سوى ذلك، «الناس لا يقيمهم إلّا السيف».

وبعبارة اخرى أنّ وظيفته لا تقتصر على إرائة الطريق، بل مهمته الأعمق- إضافة لما تقدّم- إجراء القوانين الشرعية وتطبيق الأحكام الدينية وبلوغ السمو والكمال.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۱

ويبدو أنّ نقطة قد اتضحت ممّا ذكر وهى: خلافاً لما يظنه بعض ضيقى الافق من أنّ قيامه يستند دون مقدمة إلى السلاح، وعلى ضوء

تلك الخرافة فإنّه يسفك الدماء حتّى تبلغ ركابه، فإنّه سيبدأ المواجهة بادئ الأمر من خلال الحوار الفكرى وفى كافة الأصعدة، أى على ضوء الاصطلاح الدينى يتمّ الحجّة على الخصوم بحيث يستجيب له كلّ من إمتلك بعض الاستعداد لقبول الحقّ، فلا يبقى سوى من لا تجدى معه الأساليب الاخرى نفعاً غير القوة.

فالذى نستفيده من القرائن القائمة على هذا الموضوع- بغض النظر عن دليله- أنّ اسلوبه وسيرته هى سيرة رسول اللَّه صلى الله عليه و آله؛ فقد مارس الدعوة السرية فى مكّة لثلاث عشرة سنة وقد إلتف حوله أولئك الذين يسمعون منطق الحقّ، بينما هب لمواجهته أولئك الجفاة الذين يشكلون الأكثرية الساذجة، فاضطر للهجرة إلى المدينة وأرسى دعائم الحكومة الإسلامية واستعد لمواجهة الأعداء وشقّ طريقه نحو دعوة عامة الناس.

ورغم الدعايات المغرضة التى تثار ضد الدعوة الإسلامية من أنّها دعوة السيف، إلّاأنّ أفضل سند لدينا اليوم والذى لا يسعهم اخفاءه أو إزالته هو القرآن الكريم.

ولو كان الإسلام دين العنف والقوة لما غص القرآن بكلّ تلك الأدلة والبراهين لإثبات الحقائق، ولا سيّما فى موضوعَىْ معرفة اللَّه والمعاد اللذين يشكلان أهم المحاور الأساسية للإسلام، ولما طالب أصحاب الفكر والعقل والمنطق بإصدار الأحكام، ولما تحدث بهذه الطريقة عن العلم والمعرفة،

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۲

فالنظام الذى يتصف بالعنف لا يعرف من معنى للدليل والبرهان.

والإسلام حتّى حين يلجأ إلى القوّة ليكشف عن موقفه بالأدلّة والبراهين مشيراً إلى عدم امكانية التغاضى عن تلك القوة.

على كلّ حال فهو يسير بسيرة النبى الأكرم صلى الله عليه و آله، إضافة إلى رقى المستوى الفكرى للناس فى عصره وتأكد ضرورة اعتماد المنطق، على غرار ضرورة اعتماد القوة تجاه الطغاة.

طبعاً ستكون بعض جوانب هذه الثورة دموية حيث تهدف إلى إراقة تلك الدماء الملوثة، وهل هنالك من سبيل للاصلاحات الجذرية فى المجتمعات الفاسدة سوى ذلك، إلّاأنّ هذا لا يعنى أنّه يسفك الدماء عبثاً، فهو بالضبط كالطبيب الحاذق فى امتصاصه للدماء الملوثة من بدن مريضه!

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۱۳

سيرة الحكومة العالمية

العصور الثلاثة

هنالك ثلاثة عصور بشأن النهضة التاريخية الكبرى للمهدى، هى:

۱- عصر الاستعداد والانتظار وعلامات الظهور.

۲- عصر النهضة ومواجهة الظلم والفساد.

۳- عصر الحقّ والعدل.

تحدثنا بإسهاب عن العصر الأوّل والثانى، ونخوض هنا فى العصر الثالث الذى يمثل نتيجة ومحصله تلك النهضة الشاملة، فلم تسلط الأضواء على هذا الموضوع كما ينبغى رغم أهميته.

على كلّ حال يتوقع انبثاق عالم خالٍ من التمييز العنصرى والتفاوت الطبقى وسائر أصناف الفرقة والتشتت ونشوب الحروب وسفك الدماء والاعتداء واللهجة الاستعمارية الغاشمة وانين الشرائح المعدمة والمحرومة.

ویـاله من عـالم رائع یبعث علی الراحـة والنشـاط. وبالطبع کما یسـهل نظریاً تصویر مثل هـذا العالم فی الخیال، فإنّه شائکٌ ومعقـدٌ من الناحیة العملیة، ولکن علی کلّ حال فلابد للبشریة من سلوک هذا الطریق وإلّا لیس

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۱۶

هنالک سوی الفساد والانحراف.

وقـد تضـمنت الروایات بعض الإشارات إلی الخطوط العامـة لـذلک المجتمع، وأنّها حقّاً لعبارات حیـة ورائعة بالرغم من کونها وردت قبل ثلاثة عشر قرناً.

ونشیر هنا إلی بعضها:

تطور العلوم فی عصر المهدی علیه السلام:

لیس هنالک من نهضـة دون طفرة فکریـة وثقافیـة أصـیلة تنشـد الرقی والکمال؛ وعلیه فالخطوة الاولی لتحقیق هـذا الهـدف تکمن فی انطلاقة النهضة الثقافیة التی تسوق الأفکار إلی الحرکة باتجاهین:

الأوّل: فی مجال العلوم التی تحتاجها المجتمعات الحرة والصحیة (هذا من حیث النظره المادیة).

والثانی: علی صعید الوقوف علی مبادئ الحیاة الإنسانیة المفعمة بالإیمان (النظرة المعنویة).

جاء فی حدیث للإمام الصادق علیه السلام أنّه قال:

«العلم سبعة وعشـرون حرفاً فجمیع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم یعرف الناس حتّی الیوم غیر الحرفین، فإذا قام قائمنا أخرج الخمسـة والعشرین حرفاً، فبثها فی الناس وضمّ إلیها الحرفین، حتّی یبثها سبعة وعشرین حرفاً» «۱».

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۱۷

فالحدیث یشیر إلی الطفرة الثقافیة والعلمیة التی یشهدها عصر النهضة للإمام المهدی علیه السلام والذی یعادل ۱۲ ضعفاً بالنسبة للعلوم والمعارف التی کانت سائدة فی عصور الأنبیاء جمیعاً، حیث تفتح بوجه البشریة کافّة أبواب العلوم البناءة والنافعة، فیجتاز الإنسان بمدة قصیرة اثنی عشر ضعفاً ما بلغته البشریة خلال آلاف السنین؛ وهل هنالک طفرة أعمق وأرفع من هذه.

کما ورد حدیث آخر عن الإمام الباقر علیه السلام یکمل سابقه حیث قال:

«إذا قام قائمنا وضع یده علی رؤوس العباد، فجمع بها عقولهم وکملت بها أحلامهم» «۱».

وهکـذا تنطلق العقول باتجاه الکمال فی ظلّ إرشادات وتوجیهات المهدی علیه السـلام وعنایته ولطفه، وتنضج الرؤی والأفکار، وتزول کافة الرؤی الضیقة والأفکار الضحلة التی تعد مصدر جمیع التضاد والتزاحم والنزاعات الاجتماعیة العنیفة.

فالأفراد یتمتعون آنـذاک بسعة الافق والأفکار الحرة والصـدور الرحبة والهمة العالیة والنظرة الثاقبة فیتمکنون من حلّ أغلب المصاعب الاجتماعیة بروحهم السامیة ویبنون العالم الملیئ بالأمن والسلام.

والحقّ أنّ کلّ اصلاح اجتماعی إنّما یعتمد علی هذا الانقلاب الفکری والروحی.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۱۸

التطور الصناعی المذهل فی عصر المهدی علیه السلام

تشیر الأحادیث التی أوردناها بتسـلسل ۱ و ۲ و ۳ و ۴ فی مبحث «سبیل الانتصار» أنّ هـذه الطفرة العلمیـة والصـناعیة سـتکون شاملة واسعة.

وسـتکون وسائل جمع المعلومات غایة فی التطور بحیث تصـبح الدنیا کراحة الید فی وضوحها فتکون هنالک سیطرة تامة علی أوضاع

العالم دون ضياع الوقت فى معالجة المشاكل؛ بحيث يقضى على بؤر الفساد (المتعمدة وغير المتعمدة) فى مهدها «١».

كما تحل قضية الضوء والطاقة بحيث لم تعد هناك من حاجة إلى الطاقة الشمسية التى تنبثق منها أنواع الطاقة سوى الطاقة الذرية.

ولعلّ ذلك سيكون فى ظلّ نظام ذرى متكامل للطاقة خال من الاشعاعات الحالية الضارة التى تحول دون الاستفادة من هذه الطاقة «٢». كما سيشهد تطور وسائط النقل التى تأبى المقارنة بالوسائل السائدة اليوم، والتى لا تقتصر على الحركة بأقصر مدّة على سطح الكرة الأرضية، بل تقوم برحلاتها الفضائية فى فترة قياسية «٣».

وهذا ما يمّهد السبيل أمام تلك الحكومة لتحقيق مشاريعها الإصلاحية.

وورد فى حديث آخر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ قائمنا إذا قام مدّ اللّه بشيعتنا فى أسماعهم وأبصارهم، حتى لا يكون بينهم وبين القائم بريد، يكلمهم فيسمعون وينظرون إليه وهو

فى مكانه» «١».

أى يتمتع كافّة الناس بوسائل نقل «الصوت» و «الصورة» بشكل بسيط وسهل، بحيث لم تعد هنالك من حاجة إلى وجود دائرة باسم البريد فى حكومته ودولته، كما تحل أغلب القضايا دون الحاجة إلى الأوراق- كما هى سائدة اليوم والتى تتطلب عدداً من الأفراد الذين يمارسون مهامهم ويستغرقون مدّة طويلة بغية كشف الحقّ والواقع- فهنالك أجهزة الشهود والحضور التى تدير شؤون المجتمع، ويا لها من أجهزة تشيع أجواء الهدوء والاستقرار والاستفادة من عامل الوقت.

كما ورد عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إنّ المؤمن فى زمان القائم وهو بالمشرق سيرى أخاه الذى فى المغرب؛ وكذا الذى فى المغرب يرى أخاه الذى بالمشرق» «٢».

فالارتباط قائم بين الجميع ولا يقتصر على مستوى الحكومة، ومن شأن الارتباطات الظاهرية والبدنية ترسيخ الوشائج المعنوية بحيث يصبح العالم بمثابة البيت وناسه اسرة واحدة.

وهكذا سيكون العلم والمعرفة والصناعة وسيلة لتحسين أوضاع العالم وتعميق اسس الاخوة، لا التفرقة والهدم كما هى عليه اليوم.

التطور الاقتصادى والعدل الاجتماعى:

تتمتع الأرض التى نعيش عليها بإمكانات ضخمة تسعنا وسائر الأجيال القادمة وما لا يحصى من السكان البشرى، إلّاأنّ عدم الاطلاع الكافى على المصادر المتوفرة بالفعل ومصادر الطاقة بالقوة، من جانب، وعدم وجود النظام الصحيح لتوزيع الثروات، من جانب آخر، أدّى إلى بروز مختلف الأزمات والحاجات؛ إلى درجة أنّ عصرنا يشهد يومياً موت العديد من المحرومين جوعاً.

فالنظام الذى يحكم الاقتصاد العالمى الراهن نظام استعمارى وإلى جانبه نظام حربى ظالم يستهدف القضاء على الطاقات الفكرية والبشرية التى ينبغى استغلالها فى البحث عن المصادر والمنابع الضرورية لتحسين حياة الإنسان والنهوض بمستواه المعاشى.

والواقع ما أن ينهار هذا النظام حتّى تتكاتف الجهود لاستخراج المصادر الضرورية والتى تعتمد الوسائل العلمية المتطورة لتحقق تلك الانجازات العملاقة التى تسهم فى انعاش الاقتصاد العالمى.

ولذلك نرى بعض الإشارات إلى هذه السعة الاقتصادية المتعلقة بحكومة المصلح العظيم فى بعض الروايات الإسلامية ومنها:

«إنّه يبلغ سلطانه المشرق والمغرب؛ وتظهر له الكنوز؛ ولا يبقى فى الأرض خراب إلّايعمره» «١».

والحقّ، لابدّ أن يكون الأمر كذلك، ذلك لأن خراب الأرض ليس بسبب قلة الطاقة البشرية ولا الازمة المالية، بل وليد خراب الإنسان وهدر

الطاقات الإنسانية وعدم الشعور بالمسؤولية، فإن غيبت هذه الامور فى ظلّ النظام الاجتماعى الصحيح، فإنّ العمارة ستكون قطعية، سيّما أنها تستند إلى طاقات خارقة جديدة.

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

«إذا قام القائم حكم بالعدل

وارتفع فى أيّامه الجور

وأمنت به السبل

واخرجت الأرض بركاتها

ورد كلّ حقّ إلى أهله...

وحكم بين الناس بحكم داود عليه السلام وحكم محمّد صلى الله عليه و آله

فحينئذٍ تظهر الأرض كنوزها

وتبدى بركاتها

ولا يجد الرجل منكم يومئذٍ موضعاً لصدقته ولا لبره لشمول الغنى جميع المؤمنين » «... ۱».

ويفيد التركيز على ظهور بركات الأرض واستخراج الكنوز ازدهار القطاع الزراعى حتّى يبلغ ذروته، إلى جانب اكتشاف المصادر الجوفية والاستفادة منها.

وسيرتفع الدخل السنوى للأفراد بحيث لا يبقى فى المجتمع فقير، والكلّ يعيش حالة الاكتفاء وعدم الحاجة.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۲

وممّا لا شك فيه أنّ اجراء مبادئ العدل والقسط واستقطاب الطاقات البشرية واستغلالها بالشكل الصحيح يفرز تلك النتائج الايجابية؛ وذلك لأن الجوع والفقر والفاقة ليست من افرازات الأزمة والقلّة، بل هى نتيجة مباشرة وغير مباشرة للمظالم والتميز وانعدام العدالة وهدر الطاقات وتضييع الثروات.

وورد فى حديث آخر فى مصادر العامة عن أبى سعيد الخدرى. قال رسول اللَّه صلى الله عليه و آله:

«أُبشركم بالمهدى يملأ الأرض قسطاً كما ملئت جوراً وظلماً، يرضى عنه سكان السماء والأرض، يقسم الماء صحاحاً؛ فقال رجل: ما معنى صحاحاً، قال بالسوية بين الناس؛ ويملأ قلوب امّة محمّد صلى الله عليه و آله غنى؛ ويسعهم عدله، حتّى يأمر منادياً ينادى ويقول من له بالمال حاجة فليقم فما يقوم من الناس إلّارجل واحد، ثمّ يأمر له بالمال فيأخذه ثمّ يندم ويرده» «۱».

ولابدّ من الالتفات إلى بعض الامور فى تفسير هذا الحديث.

۱- المراد من رضى سكان السماء عن حكومته ربّما يكون إشارة إلى ملائكة السماء وملائكة اللَّه المقربين، أو إشارة إلى سعة حكومته إلى سائر الكرات المأهولة وافتتاح طرق السموات والرحلات الفضائية إلى نقاط العالم النائية.

۲- المراد من التقسيم العادل للثروة بالسوية- بالاستناد إلى علمنا بأنّ

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۳

الإمام المهدى عليه السلام حافظ ومروّج لأحكام الإسلام التى تقر بضرورة العطاء الأكثر بالنسبة للجهود الأكثر والكفاءات الأعمق- إمّا إشارة إلى أموال بيت المال والأموال العامّة بصورة كلية التى يتساوى فيها الجميع فى الحكومة الإسلامية- كما ورد ذلك فى سيرة النبى صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام على العكس ممّا ورد فى سيرة أغلب الخلفاء كعثمان الذى اعتمد صنوف التميز- أو إشارة إلى التسوية فى العطاء فى ظل الظروف المتساوية، بالعكس ممّا عليه الوضع الآن حيث يتقاضى عامل مثلًا فى منطقة من العالم عشرة دولارات مقابل الساعة من العمل، بينما لا يتقاضى عامل آخر فى منطقة اخرى وفى ظلّ ذات الظروف دولاراً واحداً إزاء عمل

عشر ساعات، وهذا قمة الظلم والاجحاف.

۳- النقطة الاخرى التی نستفیدها من الحدیث المذکور هی عدم وجود حتّی فرد واحد معدم ومحتاج فی ذلک العصر، بدلیل أنّ ذلک الفرد الذی یقوم لم یکن غنیاً علی صعید الروح ویشعر بالحرص والطمع، وإلّا لم یکن محتاجاً من الناحیة المادیة، والمهم أنّ ذلک الزعیم یملأ القلوب بالغنی المعنوی والنفسی ویستأصل منها جذور الحرص المقیتة؛ ذلک الحرص الذی یعد المصدر الرئیسی لتلک الجهود الجبّارة التی یبذلها اللاهثون وراء الثروة والذین لا یکفّون عن طلب المزید، وکأنّهم مصابون بمرض الاستسقاء الذی لا یجعلهم یرتوون من الماء مهما نهلوا منه. ولعلّ العامل الآخر الذی یقف وراء جمع الثروة هو عدم الوثوق بالمستقبل، وهو الأمر الذی یزول بالمرء فی ظلّ عدالته الاجتماعیة، فلا یری شخص فی نفسه من حاجة لجمع الثروة، ذلک لأن یومه وغده مضمون.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۲۴

کما ورد فی حدیث آخر عن النبی الأکرم صلی الله علیه و آله أنّه قال:

«.. حتّی تملأ الأرض جوراً فلا یقدر أحد أن یقول: اللَّه! ثمّ یبعث اللَّه عزّوجلّ رجلًا منّی ومن عترتی فیملأ الأرض عدلًا کما ملأها من کان قبله جوراً وتخرج له الأرض أفلاذ کبدها ویحثو المال حثواً ولا یعدّه عداً» «۱».

«أفلاذ»: جمع (فلذ) بمعنی القطعة. ویقال للأشیاء النفیسة، أفلاذ الکبد، وهی هنا إشارة إلی المصادر الثمینة والقیمة تحت الأرض.

کما یحتمل أن تکون إشارة إلی أنّ الإنسان سیظفر بالنواة المذابة داخل جوف الأرض وهی عبارة عن قطعة نار وحرارة یمکن أن یستفید منها کمصدر مهم للطاقة، کما یمکن أن یستخرج منها مصادر حیویة اخری من فلزاتها ومعادنها.

وهکذا السُّمو الأخلاقی وضمان الحاجات المستقبلیة واتساع مصادر الدخل، والخلاصة، إنّ جمع الغنی الروحی والمادی سیؤدی إلی عدم الحاجة إلی عدّ الأموال، فلکلّ محتاج أن یقصد بیت المال ویسحب ما یشاء دون عناء.

کلّ هذا من جهة ومن جهة اخری:

فإنّ هنالک بعض الأخبار التی تشیر إلی تمتع عصره بحرکة عمرانیة من قبیل بناء المدن وشق الطرق وبناء المساجد المتواضعة البعیدة عن التکلّف الظاهری، إلی جانب هَدْم المبانی التی تسبب بعض الحرج للناس. ومن

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۲۵

ذلک:

۱- قال الإمام الصادق علیه السلام:

«ویبنی فی ظهر الکوفة مسجداً له ألف باب ویتصل ببیوت الکوفة بنهر کربلاء وبالحیرة» «۱».

ونعلم أنّ المسافة بین هاتین المدینتین تبلغ أکثر من ۷۰ کیلومتراً.

۲- قال الإمام الباقر علیه السلام:

«إذا قام القائم ...

تکون المساجد کلها جماء لاشرف لها کما کان‌علی عهد رسول اللَّه صلی الله علیه و آله

ویوسع الطریق الأعظم فیصیر ستین ذراعاً

ویهدم کلّ مسجد علی الطریق

ویسد کلّ کوة إلی الطریق

وکلّ جناح وکنیف ومیزاب إلی الطریق» «۲».

۳- وورد فی حدیث طویل عن الصادق علیه السلام أنّه قال:

...« ولیصیّرنَ الکوفة أربعة وخمسین میلًا ولیجاورن قصورها کربلاء، ولیصیرن اللَّه کربلاء معقلًا ومقاماً» «۳».

۴- وكثيرة هى الروايات الواردة بشأن تقدم الزراعة ومضاعفة المنتجات الزراعية ووفرة المياه والعمران فى كافة المجالات «۴».

التقدم القضائى:

إنّ الوقوف بوجه الظلم والفساد يتطلب من جانب، ترسيخ دعائم الإيمان والأخلاق، ومن جانب آخر، وجود نظام قضائى مقتدر يتحلى باليقظة التامة والاحاطة الشاملة.

قطعاً يزود التطور الصناعى الإنسان بوسائل وأجهزة يمكن بواسطتها- عند الضرورة- السيطرة على كافّة الأفراد ورصد المشبوهين فهم الذين تُشمُّ منهم رائحة الفساد والانحراف، والتقاط الصور لما يخلفه المجرمون من آثار فى مواقع ارتكاب الجريمة، وتسجيل أصواتهم والتعرف عليهم من خلالها.

حقّاً أن تمتع الحكومة الصالحة بهذه الإمكانات يمنحها الحصانة ضد الفساد والظلم وإحقاق الحقوق وإيصالها إلى أصحابها.

لا شك فى أنّ البرامج الأخلاقية إلى جانب الوسائل الغاية فى التطور ستأخذ مجراها فى عصر ذلك المصلح العظيم بحيث تسير أغلبية المجتمع بالاتجاه الإنسانى الصحيح المفعم بالعدل والسلام.

ولكن طالما خلق الإنسان حراً، وليس هنالك ما يجبره على أفعاله فسوف يكون هنالك، شئنا أم أبينا، بعض الأفراد- وإن كانوا أقلية- وسط ذلك المجتمع الصالح الذين يسيئون الحرية ويستغلونها بغية تحقيق اطماعهم وأهدافهم وعليه، فلابدّ من وجود جهاز قضائى فعال ومقتدر ينتصف للمظلوم من الظالم.

ويتضح من خلال تأمل الجرائم والجنايات والمفاسد الاجتماعية وطرق معالجتها، أنّه:

أوّلًا: أنّ بسط العدالة الاجتماعية والتوزيع العادل للثروات سيستأصل

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۷

جذور أغلب المفاسد الاجتماعية التى تنبثق من التنازع على الأموال والثروات واستغلال الطبقات الضعيفة والتزييف والخداع وأنواع الغش والكذب والخيانة وارتكاب الجريمة من أجل الحصول على الدخل الأكثر؛ ولعلّ تنامى حدة الفساد والظلم فى كلّ مجتمع إنما تتوقف على تلك الامور ومدى انتشارها.

ثانياً: للتعليم والتربية الصحيحة عظيم الأثر فى مكافحة الفساد والانحراف الاجتماعى والأخلاقى؛ وأحد علل اتساع رقعة الفساد فى المجتمعات المعاصرة إنّما يتمثل فى عدم الاستفادة الصحيحة من التعليم؛ بل عادة ما يوظف فى خدمة المشاريع الاستعمارية الفاسدة، والانهماك ليل نهار فى عرض الأفلام المبتذلة والقصص المضلة وإشاعة الأخبار الكاذبة التى تضمن مصالح الاستعمار العالمى.

طبعاً لبعض هذه الامور جذور اقتصادية كما تهدف إلى تخدير العقول واستنزاف القوى الفاعلة والواعية فى كلّ مجتمع لضمان مصالح الاستعمار الاقتصادى.

وبالطبع إن تغيّرت هذه الأوضاع فإنّ جانباً كبيراً من الفساد الاجتماعى سيزول خلال مدة قصيرة، ولا يتمّ ذلك إلّامن قبل حكومة عالمية صالحة تنشد تحقيق مصالح البشرية جمعاء- لا مصالح المستغلين- وبناء عالم معمور وحر مملوء بالعدل والسلام.

ثالثاً: أنّ وجود جهاز قضائى يقظ وفاعل ووسائل مراقبة دقيقة بحيث لا يفلت مجرم من سيطرته ولا يستطيع انتهاك عدالته، هو العنصر الآخر الذى يحد من انتشار الفساد وانتهاك حرمة القانون.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۲۸

فلو اتصلت هذه الأبعاد الثلاثة مع بعضها، لكانت أبعادها التأثيرية كثيرة للغاية.

يستفاد من الأحاديث المرتبطة بعصر حكومة المهدى عليه السلام أنّه يستعين بهذه العناصر الوقائيه الثلاثة فى نهضته، حتّى وردت بشأن دولته تلك العبارة والتى أصبحت مثلًا يضربه الناس، فى أنّ عصره سيشهد عيش الذئب إلى جانب الشاة.

قطعاً لیس هنالک من تغییر فی ماهیهٔ الذئاب ولا داعٍ أصلًا لذلک، کما لا تفارق الشاهٔ حالتها الطبیعیهٔ؛ وهذا إشارهٔ إلی بسط العدل فی العالم وتغییر اسلوب الأفراد الذئاب فی صفاتهم والذین یتواطأون مع الحکومات الجبارهٔ فی إمتصاص دماء الطبقات الضعیفهٔ فی المجتمع البشری.

فإمّا أن تتغیر روحیات هؤلاء بصورهٔ تامهٔ فی ظلّ النظام الجدید، ذلک لأنّ الذئبیهٔ لیست من طبیعهٔ الإنسان، ومن الصفات العرضیهٔ التی یمکن تغییرها، أو علی الأقل کبح جماحها، والانتفاع بنعم اللّه بصورهٔ عادله بدلًا من هضم منافع الآخرین.

ومن الامور الجدیرهٔ بالتأمل فی هذا المجال ما ورد فی حدیث النبی الأکرم صلی الله علیه و آله بشأن التوزیع الصحیح للأموال حیث یعیش الناس حالهٔ من الغنی الروحی والمادی حتّی تبقی الأموال دون من یطلبها، أی أنّهم یبلغون مرحلهٔ تربویهٔ تجعلهم یرون المال الزائد علی حاجتهم وبالًا علیهم.

لیس هنالک ما یقلقهم بشأن ضمان معیشتهم لحاضرهم ومستقبلهم

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۲۹

بحیث یقارفون الخطیئهٔ بغیهٔ الحصول علیها.

کما ورد فی حدیث آخر أنّ المستوی الفکری للناس فی عصره یبلغ مرحلهٔ یصعب مقارنتها بالعصر الراهن، وبالطبع سوف تغیب کافّهٔ النزاعات والخلافات التی یفرزها قصر النظر وضیق الافق وضحالهٔ المستوی الفکری واستغراق الجهود فی الأموال والثروات.

وعلی ضوء ما أوردناه سابقاً بشأن المراقبهٔ الدقیقهٔ فی حکومته حسبما ورد فی الروایات فإنّ المجرمین لا یشعرون بالأمن حتّی فی بیوتهم، ربّما لوجود بعض الأجهزهٔ المتطورهٔ التی تحصی حتّی أمواجهم الصوتیهٔ، وهذا بحد ذاته إشارهٔ إلی سعهٔ ابعاد التصدی للفساد فی عصر الإمام.

وعبارهٔ (حکمه کحکم داود علیه السلام ومحمّد صلی الله علیه و آله) کأنّها تشیر إلی نقطهٔ لطیفهٔ فی أنّه یستعین بالضوابط القضائیهٔ الظاهریهٔ من قبیل الاقرار والشهادهٔ وما شابه ذلک إلی جانب الطرق النفسیهٔ والعلمیهٔ فی التعرف علی المجرمین، علی ضوء بعض النماذج فی عصر داود علیه السلام.

بالاضافهٔ إلی أنّ وسائل کشف الجرم تحرز تطوراً باهراً علی غرار تطور العلوم والتقنیات بحیث یصعب علی المجرم أن یفلت من العدالهٔ.

قرأت فی بعض الصحف بشأن عجائب دماغ الإنسان، أنّ هذا الدماغ یبعث بأمواج تتناسب مع مکنوناته الباطنیهٔ بحیث یمکن تمییز صدقه من کذبه علی ضوء تصریحاته! قطعاً أنّ هذه الوسائل تتکامل وستخترع وسائل متطورهٔ اخری، وبالاستعانهٔ بالأسالیب النفسیهٔ المتطورهٔ یمکن السیطرهٔ

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۳۰

علی المجرمین، وإن قلّ تعداد المجرمین فی مثل هذا المجتمع (مع ذلک فالقضیهٔ تبدو مهمهٔ).

واکرر مراراً: من الخطأ الاعتقاد بأنّ کلّ هذه الامور تعالج فی عصره من خلال المعجزهٔ، ذلک لأنّ المعجزهٔ استثناء وحین الضرورهٔ سیّما فی اثبات حقانیهٔ دعوی النبی صلی الله علیه و آله أو الإمام علیه السلام. ولا ترد لتنظیم شؤون الحیاهٔ الیومیهٔ والطبیعیهٔ، والدلیل علی ذلک لم یعتمدها أی نبی لهذه الاغراض.

وعلیه فإنّ مسیرهٔ حکومته العالمیهٔ من ذلک النموذج الذی أشرنا إلیه، لا نموذج الاعجاز.

علی کلّ حال فإنّ الأمن فی ظلّ حکومته العالمیهٔ علی درجهٔ من السعهٔ والشمولیهٔ بحیث تستطیع المرأهٔ- کما ورد فی الروایهٔ- أن تسیر لوحدها من شرق العالم إلی غربه دون أن یتعرض لها أحد!

وأخیراً إن أضفنا مسألهٔ تواضع عیشهٔ المهدی علیه السلام- کما جاء فی بعض الروایات- تتضح الامور السابقهٔ بجلاء، فسیرته قدوهٔ

واسوهٔ لاتباعه فضلًا عن عامهٔ الناس. وبالاستناد إلی هذا الموضوع فی أنّ القسم الأعظم من الجرائم والجنایات والمفاسد الاجتماعیهٔ التی تفرزها الحیاهٔ الموغلهٔ فی الرفاه والمصارف العبثیهٔ الطائشهٔ، فإنّه یتضح الدلیل الآخر علی إزالهٔ المفاسد فی ظلّ حکومته العالمیهٔ.

فقد ورد عن الإمام الرضا علیه السلام أنّه قال:

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۳۱

«وما لباس القائم علیه السلام إلّاالغلیظ وما طعامه إلّاالجشب» «۱».

کما ورد نفس هذا المضمون عن الإمام الصادق علیه السلام «۲».

الحکومهٔ المدیدهٔ:

رغم ما ورد فی بعض الروایات أنّ مدهٔ حکومته تمتد من خمس أو سبع سنوات إلی ۳۰۹ سنهٔ (مدهٔ مکث أصحاب الکهف)- والتی تشیر فی الواقع إلی مراحل وعصور تلک الحکومهٔ (حیث یستغرق تبلورها وتشکیلها مدهٔ خمس أو سبع سنوات وعصر تکاملها ۴۰ سنهٔ وعصرها الأخیر أکثر من ثلاثمئهٔ سنهٔ! لابدّ من التمعن- ولکن بغض النظر عن الروایات الإسلامیهٔ فمن المفروغ منه أنّ کلّ هذه المقدمات لیست من أجل عصر قصیر المدهٔ، بل قطعاً من أجل مدهٔ طویله تتناسب وجمیع هذا التحمل والسعی والجهد!

بناء علی جمیع الأصعدهٔ الفکریهٔ والثقافیهٔ:

إنّ الأدیان السماویهٔ فی الواقع کالماء الذی ینزل من السماء، فقطرات میاه المطر الشفافهٔ- إن لم یکن الجو ملوثاً- نقیهٔ ولطیفهٔ وحیویهٔ وخالیهٔ من أی تلوث، فهی تحمل بشائر الحیاهٔ أینما حلّت لتروی العطاشی وتمنحهم الروعهٔ والجمال.

أمّا إن سقطت علی أرض ملوثهٔ فإنّها تفقد صفاءَها ونقاءَها بالتدریج، بل

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۳۲

تبدو أحیاناً کریههٔ عفنهٔ یهرب من رائحتها کلّ من یراها. والأدیان السماویهٔ تبدو بادئ الأمر بصفاء ونقاء تلک القطرات واشراقهٔ الشمس وجمال الربیع، وأثر اتصالها بالأفکار المنحطهٔ للجهال والأیدی الأثیمهٔ للمغرضین والامتزاج بالعادات والتقالید والاذواق والأمزجهٔ الشخصیهٔ، تنحرف أحیاناً حتّی تفقد بریقها وجاذبیتها بالمرهٔ.

ولم یسلم من ذلک، الدین الإسلامی، هذا الدین الحی المفعم بالحیویهٔ والنشاط والذی نهض بتلک الامّهٔ المتخلفهٔ لیجعلها تتربع علی ذروهٔ المدنیهٔ، رغم سلامهٔ القرآن ووجود المخلصین من العلماء الذین یذبون عن حریم الدین ویضحون من أجل حفظ أصالهٔ تعالیمه ومفاهیمه، ولکن لابدّ من الاذعان بأنّ الکثیر من مفاهیمه قد مسخت لدی الکثیر من المسلمین، بحیث یمکن القول إنّ الإسلام الأصیل علی عهد النبی صلی الله علیه و آله بدا غریباً فی أکثر الأوساط.

وقد بلغت بعض المفاهیم من قبیل الزهد والتقوی والصبر والشهادهٔ والانتظار والشفاعهٔ والعبادهٔ درجهٔ من التحریف بحیث عادت غریبهٔ عن هذا الدین الحقّ.

کما آلت أغلب الأحکام الإسلامیهٔ بالحیل الشرعیهٔ وغیر الشرعیهٔ إلی الاضمحلال کحکم الربا والفائز والذی لم یبق سوی اسمه.

کما اعتری النسیان البعض الآخر- کالهجرهٔ والجهاد والشهادهٔ- أو علی الأقل اقتصرت علی صیغتها التاریخیهٔ والمختصهٔ بعهد معین فی صدر الإسلام.

واختلط التوحید بالشرک وعاشت مدرسهٔ أهل البیت علیهم السلام التی تمثل

الحکومهٔ العالمیهٔ للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۳۳

الإسلام الأصیل علی ضوء: «إنّی تارک فیکم الثقلین کتاب اللّه وعترتی» «۱»

الغربة بين أغلب الأوساط الإسلامية وقد أبتعد عنها الناس ابتعد أن قذفت بأشنع التهم.
وسيقوم المصلح على غرار البستانى الماهر الذى يستأصل العلف من النبتة الأصيلة رغم تعلقه بها وصعوبة فصله عنها، باستئصال كلّ ما علق بهذا الدين، وسيقطع كلّ غصن أعوج اتصل بشجرة الإسلام.
وسيزيل تلك التفاسير المنحرفة للدين ويقطع الأيدى الأثيمة التى تطاولت على حرمة مفاهيمه القيمة.
وخلاصة القول فإنّه سيعيد الإسلام إلى سابق عزّه على عهد رسول اللّه صلى الله عليه و آله وعلى عليه السلام.
إنّ إحدى مهام المهدى عليه السلام تطهير الإسلام ممّا علق به من الغبار، وبعبارة اخرى إعادة بناء صرحه العملاق.
فقد كان المسجد آنذاك مركزاً لكافة الأنشطة السياسية والعلمية والثقافية والاجتماعية والأخلاقية، وأصبح اليوم بؤرة للعجزة والعاطلين ووسيلة لقضاء الوقت، وربّما عادت طبيعية، وسيعيده إلى سابق عهده، وسينفخ روح الحياة فى جسد الجهاد، ويطهر التوحيد من كافة أنواع الشرك، ويفسر مفاهيم الدين بما يقضى على كلّ انحراف وتشويه، وسيطرح الآراء
الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۴
الشخصية المفروضة على الدين، ويبعده عن صدأ العادات والتقاليد، وسينهض بالإسلام ويخرجه من حالة التقوقع الوطنى والقومى ويظهره بشكله العالمى الأصيل، وسيقطع تلك الأيدى الأثيمة التى دست الحيل الشرعية فى الدين، ويعرض أحكامه وقوانينه كما ينبغى.
ويبدو أنّ سلسلة هذه التغييرات على قدر من السعة والشمولية بحيث عبرت عنها بعض الروايات الإسلامية بالدين الجديد.
روى صاحب كتاب اثبات الهداة حديثاً عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:
«إذا خرج القائم يقوم بأمر جديد، وكتاب جديد، وسنة جديدة، وقضاء جديد» «۱».
ومن الواضح أنّ هذا الأمر الجديد والكتاب الجديد والقضاء الجديد لا يعنى أنّه يأتى بدين جديد، بل يخرج الإسلام من خضم ما علق به من أساطير وخرافات وتحريفات وتفاسير خاطئة فيبدو وكأنّه دين جديد وبناء حديث.
كما أنّ الكتاب الجديد لا يعنى نزول كتاب جديد عليه من السماء، ذلك لأن الإمام قائم وحافظ للدين، لا أنّه نبى ويأتى بكتاب جديد، بل يعيد القرآن الكريم إلى سابق عزّه فيبدو وكأنّه كتاب جديد بعد أن يطرح عنه التحريفات المعنوية والتفاسير المشبوهة.
والشاهد على ذلك وإضافة إلى صراحة القرآن فى مسألة ختم النبوة فى
الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۵
الآية ۴۰ من سورة الأحزاب والروايات التى اثبتت صراحة خاتمية النبى صلى الله عليه و آله، بعض الأحاديث التى صرحت بأن سيرته سيرة جده رسول اللّه صلى الله عليه و آله والكتاب والسنّة.
سأل عبداللّه بن عطاء الإمام الصادق عليه السلام عن سيرة المهدى عليه السلام فقال عليه السلام:
«يصنع ما صنع رسول اللّه صلى الله عليه و آله يهدم ما كان قبله كما هدم رسول اللّه صلى الله عليه و آله أمر الجاهلية ويستأنف الإسلام جديداً».
وورد فى كتاب اثبات الهداة أنّ رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:
«القائم من ولدى؛ اسمه اسمى وكنيته كنيتى، وشمائله شمائلى، وسنته سنتى، يقيم الناس على شريعتى وطاعتى، ويدعوهم إلى كتاب ربّى» «۱».
وورد فى كتاب «منتخب الاثر» عن رسول اللّه صلى الله عليه و آله قال:
«وأنّ الثانى عشر من ولدى يغيب حتّى لا يرى، ويأتى على امّتى بزمن لا يبقى من الإسلام إلّااسمه، ولا يبقى من القرآن إلّارسمه فحينئذٍ يأذن اللّه له تبارك وتعالى بالخروج فيظهر الإسلام به ويجدده» «۲».

وهذه الأخبار صريحة بما يغنينا عن أى توضيح.

وحدهٔ الدين:

لا شك أنّ الخلافات المذهبيهٔ لا تنسجم والنظام التوحيدى فى كافّهٔ

الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۶

المجالات؛ لأن هذه الخلافات تكفى للقضاء على أيهٔ وحدهٔ.

وبالعكس فإنّ أحد العوامل المهمّهٔ للوحدهٔ هو وحدهٔ الدين والمذهب التى يسعها أن تفوق كلّ خلاف وفرقهٔ واستيعاب كافهٔ الاعراق واللغات والقوميات والثقافات المتعددهٔ لتخلق منها مجتمعاً يعيش فيه الجميع باخوهٔ ومحبهٔ «إنّما المُؤمِنُونَ أخوَةٌ».

ولذلك فإنّ أحد أهداف هذا المصلح العظيم توحيد الصفوف فى ظلّ توحيد المذهب.

ولكن لا ينبغى الشك فى أنّ هذا التوحيد لا يمكن أن يستند إلى منطق الجبر. فالمذهب يتعامل مع قلب الإنسان وروحه، ونعلم جميعاً بأنّ القلب والروح خارجهٔ عن دائرهٔ الجبر والاكراه.

أضف إلى ذلك إنّ سنّهٔ النبى الأكرم صلى الله عليه و آله- كما يشهد لها القرآن- لم تكن قائمهٔ على أساس الجبر والاكراه «لاإِكْرَاهَ فِى الدِّينِ».

ومن هنا استوعب الإسلام أهل الكتاب كأقليهٔ ووفرّ لهم الدعم والاسناد ما لم يخرجوا على الدولهٔ الإسلاميهٔ، وعلى ضوء تمتع تلك الحكومهٔ العالميهٔ على عهد ذلك المصلح العظيم بكافّهٔ الوسائل المتطورهٔ وتطهير الإسلام ممّا علق به من الشوائب والأدران إلى جانب جاذبيته القويهٔ فإنّه يمكن التكهن بأنّ الأغلبيهٔ الساحقهٔ ستتعاطف مع الإسلام وتجنح إليه فتصبح وحدهٔ الأديان عمليهٔ من خلال الإسلام.

وقد وقفنا على هذه الحقيقهٔ على ضوء الأدلّهٔ العقليهٔ، والروايات الإسلاميهٔ هى الاخرى تثبت ذلك.

روى المفضل فى حديث طويل عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال:

الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۷

«.. فواللَّه يا مفضل ليرفع عن الملل والأديان الاختلاف ويكون الدين كله واحداً، كما قال جلّ ذكره: إنّ الدِّين عند اللَّه‌الإسلام» «۱».

ورد فى تفسير بعض الآيات القرآنيهٔ التى أشارت إلى قيام المهدى عليه السلام.

وهكذا يرد الإسلام جميع القلوب والبيوت وزوايا الحياهٔ بتوحيده الناصع.

مع ذلك لا يمكن القول إنّه سوف لن يكون هناك من وجود بصورهٔ مطلقهٔ لتلك الأقليات من اتباع الديانات الاخرى فى تلك الدولهٔ، ذلك لأنّ الإنسان حر الإرادهٔ وليس هنالك من اكراه فى ذلك النظام، فمن الممكن أن يدفع الخطأ والتعصب بعض الأفراد لمواصلهٔ عقائدهم السابقهٔ وإن كان الإسلام هو الغالب وهذه مسأله طبيعيهٔ.

لكن على كلّ حال إن كانت هناك مثل هذه الأقليهٔ فهى أقليهٔ وادعهٔ، وبالتزامها بالمقررات الواردهٔ فى أهل الذمهٔ فإنها تحظى بحمايهٔ الدولهٔ الإسلاميهٔ.

الحكومهٔ العالميهٔ للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۳۹

الأدعياء المزيفون

ألم يظهر المهدى

يطالعنا التاريخ منذ القرن الأوّل بظهور بعض الأفراد الذين ادعوا وانتحلوا عنوان المهدى، أم نسبهم الآخرون إلى ذلك، رغم أنّ هؤلاء الأفراد لم يفلحوا فى تحقيق مدعاهم من قبيل بسط العدل والقسط واصلاح العالم، بل لم يتمكنوا من ممارسة الاصلاح حتّى على مستوى المناطق الصغيرة التى عاشوا فيها.

ولعلّ أوّل فرد جعلوا له ذلك الاسم- رغم عدم رضاه- محمّد بن الحنفية، حيث كانت تعتقد الكيسانية:

أنّه المهدى الموعود وأنه لم يمت، بل هو فى جبل رضوى «۱» يحفظه أسدان.

والحال نعلم أنّ محمّد بن الحنفية توفى عام ۸۰ أو ۸۱ ه ودفن فى البقيع (المقبرة المعروفة فى المدينة)، وبالطبع فقد خمدت اليوم أصوات تلك الفرقة ولم تعد تسمع.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۲

ثمّ أقدم بعض خلفاء بنى العباس بغية الخلافة واستغلال عقائد بعض السذج من الناس، وعلى ضوء الاستعداد الذهنى للمسلمين وانتظار المهدى الموعود، بانتحال هذا الاسم وزعموا أنّهم المهدى.

إلّا أنّ مضى الزمان أثبت أنّهم ليس فقط لم يكونوا المهدى، بل كانوا من الظلمة الذين ينبغى القضاء عليهم بسيف المهدى.

وقد استمر هذا الأمر فكان البعض هنا وهناك يزعم أنّه المهدى ويجتمع حوله عدد من الأفراد، لكن سرعان ما ينكشف أمره.

طبعاً هذا الادّعاء يبدو كبيراً لا يصمد أمامه صاحبه وذلك لأنّ أهداف هذا المصلح تتمثل فى مل الأرض قسطاً وعدلًا، وهذا يكفى لإفشال مخططات كلّ من يدعى أنّه المهدى.

وقد تفاوتت دوافع الأفراد فى هذا الادّعاء، فالبعض كان مصاباً ببعض الأمراض النفسية أو السذاجة على الأقل، بينما كان البعض الآخر يسعى وراء المنصب فادّعى ذلك لإشباع رغبته دون التأمل فى عواقب الأمر.

كما كان البعض أُلعوبة بيد أعداء الإسلام الذين يستغلونهم لحرف أفكارهم من القضايا الحيوية التى يواجهونها، أو لبث الفرقة والاختلاف والنفاق بين صفوف المسلمين وإضعاف قدرة المذهب ولا سيّما قدرة علماء الدين الذين يشكلون الخطر الرئيسى الذى يهدد مصالحهم.

والخلاصة إنّ ادّعاء المهدوية تواصل حتّى الفتره الأخيره حين برز «السيّد محمّد على باب»، رغم عدم قدرته بادئ الأمر على مثل هذا الادّعاء، بل على ضوء الوثائق الحية وشهادته المذكورة فى كتبه أنّه لم يدع المهدوية، بل اكتفى بادعائه الباب وأنّه النائب الخاصّ للمهدى.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۳

ولكن مع مرور الزمان وتجمع البعض حوله جعله يغير رأيه فزعم أنّه المهدى «۱».

وتفيد القرائن والوثائق عن سيرته وحياته وأتباعه- وقد جمعت بشكل رائع- أنّ ادّعاءه هذا يعزى إلى الأسباب الثلاثة؛ أى من جانب عملاء الدول الاستعمارية- كروسية وبريطانيا وامريكا- حيث كان يتحرك على ضوء توجيهاتهم ويحظى بدعمهم وإسنادهم، كما كان يسعى إلى الحصول على المنصب، وكان يشكو من بعض الأمراض النفسية «۲».

ويبدو أنّه كانت هناك شبكة كبيرة، وقد عده بعض أعوانه متخلفاً فمنحوه شخصية تلعب دور مقدمة الظهور، وكان لهم دعاة كثيرون.

إلّا أن تشتت هذه الفرق «۳» من جانب، ونشر الوثائق الحية عن الارتباط المباشر بالدول الاستعمارية، من جانب آخر «۴».

والأهم من كلّ ذلك عدم وجود المضمون الذى يسعه تلبية رغبات حتّى عوام الناس، إلى جانب فضحهم من قبل بعض المسلمين الواعين على أنّهم «حزب سياسى استعمارى»، كلّ هذه الامور كشفت سريعاً عن حقيقة أمرهم.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۴

طبعاً بحثنا ليس فى تقصى نقاط ضعف هؤلاء، فهذا يتطلب كتاباً مستقلًا، ولحسن الحظّ فقد أُلفت الكثير من الكتب بهذا الشأن وأنّ

بعضها رائع فى مضمونه «۱».

وهدفنا هنا بيان موضوعين:

۱- يقول البعض:

نعلم أنّ استغلالًا كبيراً حصل ويحصل بالنسبة للاعتقاد بظهور المهدى! أوليس من الأفضل أن نسكت عن هذا الموضوع لكى لا يكون شماعة فيستغله الآخرون، ولماذا نقر بشىء يمكن أن ينعكس علينا سلباً؟

۲- السؤال الآخر الذى يقابل السؤال الأوّل تقريباً:

هل كلّ من ادّعى المهدوية كان كاذباً، ألا- يحتمل صدق البعض، فلم يكن الجميع ممّن يسعى إلى المنصب أو كان أُلعوبة بيد الاستعمار؟

وهدفنا هنا الجواب عن هذين السؤالين مع تحليل لهما.

أمّا بشأن السؤال الأوّل، فلابدّ بادئ الأمر من طرح هذا السؤال:

هل هنالك من حقيقة فى هذه الدنيا لم تستغل من قبل الآخرين؟

أوَ لم يدلنا التاريخ على كلّ أولئك الذين ادّعوا النبوة، ومازالت هذه الادعاءات قائمة حتّى فى عصر الذرة والفضاء.

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۵

فما أحرانا أن ننسى أصل دعوة الأنبياء ونتنكر كالبراهمة لأصل النبوة لكى نتخلص من الادعياء المستغلين!

هل هذا كلام منطقى؟

لقد سمعنا ونسمع الكثير من الأفراد الذين ينتحلون مهنة الطب والهندسة بغية إشباع بطونهم والحصول على الأموال، فهل يسعنا القول إنّ عنوان الطبيب أخذ يستغل من قبل البعض ولابدّ من التنكر بصورة تامة لهذه المهنة.

إنّ مثل هذا الكلام وإن بدا غاية البعد عن المنطق، إلّاأنّ المؤسف انه مذكور فى بعض كتب من ينكر أصل ظهور المهدى.

على كلّ حال فإن هذه قاعدة كلية فى أنّ كلّ كذب يسعى لأن يلبس ثوب الصدق ليحظى بالاعتبار المطلوب، ليس هنالك من خائن وسارق وكاذب يظهر بصورته الحقيقية، بل يسعى لتحقيق أهدافه من خلال التظاهر بالأمانة والطهر والصدق. فهل هذا دليل على عدم اعتبارية هذه المفاهيم الإنسانية الرفيعة. هذا أوّلًا.

وثانياً: هل الاعتقاد بظهور المهدى حقيقة مستغلة أم وهم وخيال؟ إن سلمنا بأنّه حقيقة- وينبغى أن تكون كذلك لوجود عدّة أدلة على ذلك- فلا يمكن التخلى عنها لاستغلالها من قبل هذا أو ذاك، ولو (فرضاً) لم تكن حقيقة، فلابدّ من اسقاطها، سواء استغلت أم لم تستغل!

على كلّ حال فإنّ اسلوب الاستفادة الصحيحة أو غير الصحيحة من موضوع لا يمكن أن تكون وسيله لاصدار الحكم بشأن ذلك الموضوع.

فلو أصبحت الطاقة الذرية وسيلة حربية مستغلة من قبل الظلمة لتضرب

الحكومة العالمية للإمام المهدى(عج)، ص: ۲۴۶

بها منطقة هيروشيما وخلفت ثلاثمئة ألف قتيل ونفس هذا العدد من الجرحى الذين مازالوا يعانون من تلك الجروح بعد مرور ثلاثين سنة، فهل يدعونا هذا إلى التخلى عن هذه الطاقة العظيمة أو انكار أصل وجودها؟ أم نسعى إلى الاستفادة الصحيحة منها ولضمان مصالح المجتمع البشرى.

أمّا السؤال الثانى فيبدو أهم وهو: هل كلّ من ادّعى المهدوية كان كاذباً؟

ونعتقد أنّ الجواب عن هذا السؤال يبدو سهلًا على ضوء العلامات ونتائج هذا الظهور العظيم.

فقد علمنا فی الأبحاث السابقة أنّ للمهدی رسالة عالمیة یسعی إلی تحقیقها من خلال الاستفادة من کافة الوسائل والامکانات المتاحة. ورسالته الأصلیة القضاء علی کافة أنواع الظلم والجور وإرساء قواعد الحکومة العالمیة علی أساس العدل والقسط ومکافحة التمییز والاستعمار والاستغلال.

فهو ینهض بمستوی الأفکار.

وهو الذی یعمل علی تقدم العلوم والمعارف.

وهو الذی یحرک العالم فی کافة المجالات.

وهو الذی یجمع کافة أتباع الأدیان تحت رایة واحدة.

وهو الذی یقوم بالتوزیع العادل لثروات العالم.

وهو الذی ینعش الاقتصاد العالمی بحیث لا یبقی محتاج فی العالم.

وهو الذی یعطی کلّ ذی حقّ حقه.

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۴۷

وهو الذی لا یدع مکاناً خرباً إلّاعمّره.

وسیبلغ الأمن فی عصره مرحلة تجعل المرأة تنطلق من شرق العالم إلی غربه دون أن یسیئ لها أحد.

وسیستخرج کنوز الأرض ویصنع المجتمع التوحیدی الموحد.

هذه هی المشاریع العملیة والخطط المنبثقة عن تلک النهضة العالمیة الکبری فی أکبر نهضة للتاریخ البشری، والتی أشارت إلیها مختلف المصادر، وقد ذکرنا تفاصیلها فی الفصول السابقة.

فهل استطاع أی من أولئک الادعیاء تحقیق واحد بالألف من هذه المشاریع، بل هل استطاع أی منهم أن ینظم منطقته أو حیّه علی ضوء هذه البرامج؟

إننا نری الیوم مدی اتساع رقعة الظلم والجور والاعتداء وهضم الحقوق؛ وقد أودت الحرب العالمیة الاولی والثانیة بحیاة الملایین وجرحت الملایین وملأت العالم بالدماء.

ومازالت الهوة تتعمق یوماً بعد آخر بین البلدان الغنیة والفقیرة، بحیث ینام کلّ لیله ألف ملیون من هذا العالم جوعی، ومازالت السجون ملیئة بالأبریاء، ومازال الجبابرة یجرعون الناس أنواع العذاب، أی أنّ العالم مازال یأنُّ من الظلم والجور، فلیت شعری متی ملئ بالعدل والقسط؟ وهذا أقوی دلیل علی مزاعم أولئک الادعیاء، رد قصیر لکنه حاسم وقاطع.

أجل ما زالت تلک الشمس لم تخترق الحجب ولا بدّ من الانتظار حتّی ذلک الیوم الذی تنقشع فیه کافة السحب والغیوم فیضیء هذا

الحکومة العالمیة للإمام المهدی(عج)، ص: ۲۴۸

العالم المظلم بنور طلعته البهیة، وما أقرب هذا الیوم «ألیس الصبح بقریب».

انارک نائین «۱» - ناصر مکارم الشیرازی

رمضان ۱۳۹۸ ه

تموز ۱۹۷۸ م

تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

جاهِدُوا بِأَمْوالِکُمْ وَ أَنْفُسِکُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَیهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْیَا أمْرَنَا... َ یَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ یُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ

كَلَامِنَـا لَاتَّبَعُونَـا... (بَـنـادِرُ البِـحـار – فى تلخيص بحـار الأنـوار، للعلّامـة فيض الاسـلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبـارِ الرِّضـا(ع)، الشـّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّـِس مُجتمَع " القائميّـة "الثّقافىّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشـهيد آيـة الله" الشـمس آباذى – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحـداً من جَهابـذة هـذه المدينة، الذى قدِ اشـتهَرَ بشَـغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علـَيهـم) و لاسـيَّما بحضـرة الإمام علىّ بن موسَـى الرِّضا (عليه السّـلام) و بـساحـة صـاحِب الزّمـان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهـذا أسّـِس مع نظره و درايته، فى سَـنـَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسـيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُـتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز" القائميّة "للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأ أنشِـطتَهُ من سَـنـَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عنايـة سـماحة آيـة الله الحـاجّ السـيّد حسن الإمـامىّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَـدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحـوزات العلميّـة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهـمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائـل الدّينيّـة، تخليف المطـالب النّـافعـة – مكـانَ البَلاتيثِ المبتذلـة أو الرّديئـة – فى المحـاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّـلام – بباعث نشـر المعارف، خـدمات للمحققين و الطّلّاب، توسـعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغـة هُواةِ برامِـج العلوم الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشـّبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

- مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشـرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنـّه يُمكِن تسـريعُ إبراز المَرافِق و التسـهيلاتِ– فى آكناف البلد - و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم - مِن جـهةٍ اُخرَى.

- من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثـّلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى" القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخـَرَ

ه) إنتاج المُنتـَجات العرضيّة، الخـَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع" ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنـَةِ

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com
المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com
الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۳۱۱)
الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)
مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)
التِّجاریّة و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹
امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجَّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فَرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.



مركز
القائمیه
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للایصاء من فضلکم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹